

قِصَّةُ الْبَقْرَةِ وَقَتْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً
 قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ
 يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ
 فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا
 لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ
 النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ
 تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
 إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا
 شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَيْفَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا
 يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا
 كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ
 الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ
 قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ
 مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ
 فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا
 اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾



معناها	الكلمة
أتهزأ بنا وتسخر منا؟ هرمة مُسنة.	(أَنْتَخِذُوا هُزُؤًا) ﴿١﴾ (فَارِضٌ) ﴿٢﴾
البكر هي: الصغيرة التي لم يفتح لها الفحل. وسط (أي: وسط بين الفارض والبكر) وقال بعض العلماء: هي التي ولدت مرة أو مرتين. شديد الصفرة.	(بِكْرٌ) ﴿٣﴾ (عَوَانٌ) ﴿٤﴾ (صَفْرًا فَاقِعٌ لَوْنُهَا) ﴿٥﴾
اختلط. لم يذللها العمل.	(تَشَبَّهَ) ﴿٦﴾ (أَلْذَلُّ) ﴿٧﴾
تقلبها للحرث (والمعنى: أنها لا تثير الأرض أي: ليست ذلولاً؛ لأنها لا تثير الأرض). صحيحه سليمة من العيوب.	(تَثِيرُ الْأَرْضِ) ﴿٨﴾ (مُسَلَّمَةٌ) ﴿٩﴾
ليس فيها بياض ولا سواد ^(١) ولا حمرة (أي: صفراء لا يخالطها لون آخر) وأصله: من وشي الثوب وهو: تحسينه بالألوان. كادوا أن لا يفعلوا.	(لَا شَيْءَ فِيهَا) ﴿١٠﴾ (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) ﴿١١﴾
اختلفتم - تنازعتم - تخاصمتم. ما كنتم تسرونه من أمر القاتل وقاتله. الغفلة هي: ترك الشيء على وجه السهو.	(فَأَذْرَئْتُمْ) ﴿١٢﴾ (مَا كُنْتُمْ تَكْنُؤُونَ) ﴿١٣﴾ (يَغْفِلُ) ﴿١٤﴾



(١) ونقل عن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لا شية فيها، أي: لا سواد فيها كما في (مرويات الإمام أحمد في التفسير).

س: ما مناسبة قول موسى ﷺ لقومه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]؟
 ج: مناسبة - والله أعلم - أنهم سألوه عن رجل منهم قُتل فاختلفوا في قاتله من الذي قتله^(١).

وذكر الطبري رحمه الله بأسانيده إلى عددٍ من السلف - وأجمل القول - فقال: فذكر جميعهم أن السبب الذي من أجله قال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] نحو السبب الذي ذكره عبيدة وأبو العالية والسدي، غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القتيل الذي اختصم في أمره إلى موسى كان أخا المقتول، وذكر بعضهم أنه كان ابن أخيه وقال بعضهم بل كانوا جماعة ورثة استبطئوا حياته^(٢) إلا أنهم جميعاً مجمعون على أن موسى إنما أمرهم بذبح البقرة من أجل القتيل إذ احتكموا إليه عن أمر الله إياهم^(٣) بذلك فقالوا له: وما ذبح البقرة؟ يبين لنا خصوصتنا التي اختصمنا فيها إليك في قتل من قتل فادّعي على بعضنا أنه القاتل؟



س: البقرة اسم للأنثى من البقر فما اسم ذكرها؟

ج: ذكْرُها هو الثور.

(١) شاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفساً فادّروا فيها﴾ [البقرة: ٧٢]
 وقد أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله (أثر ٢٧١١) وابن أبي حاتم في التفسير (٥٩٦) بإسناد صحيح إلى عبيدة السلماني رحمه الله قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم - أو عاقر - قال: فقتله وليه، ثم احتمله فألقاه في سبط غير سبطه. قال: فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح. قال: فقال أولو النهى: أتقتلون وفيكم رسول الله؟! قال: فأتوا نبي الله. فقال: اذبحوا بقرة. فقالوا: أتتخذنا هزواً، قال: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [٧٧] قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ ﴿﴾، إلى قوله: ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١ - ٧٦] قال: فضرب، فأخبرهم بقاتله.

قال: ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهباً، قال: ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم فلم يورث قاتل بعد ذلك.
 (٢) قُتِلَتْ: وكل هذا خلاف لا يضر فالعبرة حاصلة وكائنه وعلى أي وجه كان القاتل أو المقتول، والله أعلم.
 (٣) صَوَّبَ الشيخ أحمد شاكر رحمه الله هذه اللفظة فقال: الأجود أن يكون (عن أمر الله إياه بذلك) وما صوّبه الشيخ هو الراجح لدي، والله أعلم.



س: البقر أخذ من ماذا (من ناحية اللغة)؟

ج: بَقَرَ أي: شقَّ فالبقر مأخوذ من البَقْر وهو الشق فالبقرة تشق الأرض للحرثة فمن ثم أطلق عليها بقرة، وأبو جعفر الباقر (وهو محمد بن علي بن الحسين الملقب بزین العابدین) أطلق عليه الباقر لأنه بقر العلم وعرف أصله (قاله بعض العلماء) (١).



س: البقر يُذبح كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] فهل تُنحر البقر أيضًا، وما الأولى في الغنم والإبل والخيل؟

ج: البقر يذبح، وينحر كذلك لقول النبي ﷺ: «رأيت بقراً تُنحر» (٢) الحديث، ولقول النبي ﷺ: «ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا ليس السن والظفر...» (٣) وبعض أهل العلم يفضل للبقر الذبح لأنه المذكور في كتاب الله ﷻ وأيضاً لم يرد أن النبي ﷺ نحر بقراً.

✽ أما الغنم فالأولى فيها الذبح، والإبل الأولى فيها النحر (٤).

✽ أما الخيل فالذي يظهر لي أن الأولى فيها النحر لحديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نحرنا فرساً على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه (٥).



س: لماذا تعود موسى ﷺ بالله عندما قالوا له: ﴿أَنْدِخْدُنَا هُرُورًا﴾ [البقرة: ٦٧]؟

(١) نقلاً عن القرطبي.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٦/٦٣٤): وعند أحمد والنسائي وابن سعد من حديث جابر بسند صحيح في هذا الحديث: «ورأيت بقراً منحرّة...» الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩٤٥)، ومسلم (٨٦٩١) من حديث رافع ابن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً.

(٤) قال القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا خلاف بين العلماء أن الذبح أولى في الغنم، والنحر أولى في الإبل والتخيير في البقر، وقيل: الذبح أولى لأنه هو الذي ذكره الله.

(٥) أخرجه البخاري (١٠١٥٥)، ومسلم (٢٤٩١) من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد ورد بلفظ (ذبحنا...) وجنح إلى ترجيح (نحرنا) فريق من أهل العلم، والله أعلم.

ج: تعود موسى عليه السلام، لأن السخرية أثناء تبليغ دعوة الله عز وجل، جهل وسفه ^(١)، فلم يكن لهم أن يظنوا بنبيهم عليه السلام غير الحق وهو يبلغهم عن الله عز وجل.



س: من العلماء من قال إن قوله تعالى: ﴿صَفْرَاءُ﴾ [البقرة: ٦٩] في وصف البقرة المطلوب ذبحها يعني به سوداء، ما مدى صحة هذا القول؟

ج: هذا القول، وإن ورد عن بعض أهل العلم إلا أنه ليس بصحيح وظاهر كتاب الله يرده ثم أقوال جمهور المفسرين على خلافه ^(٢).



س: أيهما أصح في الوقف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَقْرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ أو ﴿إِنَّمَا بَقْرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ **ثِيْرُ الْأَرْضِ** [البقرة: ٧١] فهل الوقف الأصح عند لا ذلول أو عند الأرض؟

(١) ولم يكن موسى عليه السلام مازحاً كذلك لما قال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] وإن كان هناك فرق بين المزاح والاستهزاء إلا أن موسى عليه السلام لم يكن في هذا ولا ذاك بسبيل عليه السلام.

قال القرطبي رحمته الله (١/٧٤٤):

مسئلة - في الآية دليل على منع الاستهزاء بدين الله ودين المسلمين ومن يجب تعظيمه، وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد. وليس المزاح من الاستهزاء بسبيل؛ ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح والأئمة بعده. قال ابن خوزين مناد: وقد بلغنا أن رجلاً تقدم إلى عبيد الله بن الحسن وهو قاضي الكوفة فهازحه عبيد الله فقال: جبتك هذه من صوف نعجة أو صوف كبش؟ فقال له: لا تجهل أيها القاضي! فقال له عبيد الله: وأين وجدت الموح جهلاً! فتلا عليه هذه الآية؛ فأعرض عنه عبيد الله؛ لأنه رآه جاهلاً لا يعرف المزح من الاستهزاء، وليس أحدهما من الآخر بسبيل.

(٢) قال الطبري رحمته الله (٢/٢٠٠، ٢٠١): وأحسب أن الذي قال في قوله: «صفراء»، يعني به سوداء، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السود: «هذه إبل صفر، وهذه ناقة صفراء» يعني بها سوداء. وإنما قيل ذلك في الإبل، لأن سوادها يضرب إلى الصفرة، ومنه قول الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هـن صفر، أولادهما كالزيب

يعني بقوله: «هن صفر»، هن سود وذلك إن وصفت الإبل به، فليس مما توصف به البقر. مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع، وإنما تصف السواد - إذا وصفته بالشدة - بالحلوكة ونحوها، فتقول: هو أسود حالك وحنك وحلكوك، وأسود غريب ودجوجي - ولا تقول: هو أسود فاقع. وإنما تقول: «هو أصفر فاقع». فوصفه إياه بـ «الفقوع»، من الدليل البين على خلاف التأويل الذي تأول قوله: ﴿إِنَّمَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ﴾ [البقرة: ٦٩] المتأول، بأن معناه سوداء شديدة السواد.

ج: الجمهور من العلماء على أن الوقف عند الأرض والمعنى أنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نفى عنها إثارة الأرض كسياق الآية الكريمة: ﴿لَا ذُلُّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ **[البقرة: ٧١]** أي: لم يُذَلِّها العمل بإثارة الأرض فهي لم تذَلْ بإثارة الأرض ولا بسقي الحرث، والله أعلم.



س: لماذا كادوا ألا يذبحوا البقرة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

❁ **منها:** أنه لغلاء ثمن البقرة التي انطبقت عليها تلك المواصفات التي ذكرها لهم نبي الله موسى **ﷺ**، وقد ذكر البعض أن أصل ثمنها كان قليلاً^(١) إلا أن صاحبها رفع ذلك الثمن.

❁ **ومنها:** أنهم كادوا ألا يذبحوها خوفاً من الفضيحة التي ستحل بالقاتل وقومه. ولا مانع من أن يكون المانع لهم من المبادرة إلى الذبح الأمرين معاً (أي: غلاء الثمن وخوف الفضيحة) وهذا هو الذي جنح إليه الطبري **رحمته**، فقال **رحمته** في تفسيره: والصواب من التأويل عندنا أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة للخلتين كليهما إحداهما غلاء ثمنها، مع ما ذكر لنا من صغر خطرهما وقلة قيمتها، والأخرى خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم بإظهار نبي الله موسى - صلوات الله عليه وأتباعه - على قاتله.

أما الحافظ ابن كثير **رحمته** فصوّب ما أورده من طريق الضحاك عن ابن عباس **رضي الله عنهما**: ﴿فَذَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ **[البقرة: ٧١]** يقول: كادوا لا يفعلون ولم يكن الذي أرادوا لأنهم أرادوا ألا يذبحوها وهذا الذي أورده ابن كثير عن ابن عباس ضعيف الإسناد عن ابن عباس^(٢) قال ابن كثير **رحمته** في شرح «أثر ابن عباس» **رضي الله عنهما**: يعني أنهم

(١) أما كون ثمنها كان قليلاً فروى الطبري (٨٨٢١)، وابن أبي حاتم (٩٤٧) بإسناد صحيح إلى عكرمة قال: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير.

(٢) فقد أخرجه الطبري (٧٧٢١) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس **رضي الله عنهما**، وهذا إسناد ضعيف فضلاً عن انقطاعه.

مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد، وفي هذا ذمُّ لهم وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت فلهذا ما كادوا يذبحونها.

قلت: وهذا استنادًا إلى «أثر ابن عباس» الضعيف، وأيضًا يظهر لي - والله أعلم - أن في قولهم: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠]، ما يرد هذا الذي ذكره الحافظ ابن كثير رحمته الله، والله أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَاتَلْتُمُ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة ٧٢] مؤخر في التلاوة ومعناه متقدم، فما وجه تأخيره؟

ج: وجه تأخيره أنه لغة للعرب الذين جاء القرآن بلسانهم، وشاهده من التنزيل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ (١) قِيمًا﴾ [الكهف: ١، ٢]، فالظاهر أن المعنى: قِيمًا ولم يجعل له عوجًا فأخر المقدم وقدم المؤخر^(١).
وقال الألويسي في «روح المعاني»: وقدم^(٢) لاستقلاله بنوع من مساوئهم التي قصد نعيها عليهم، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال، ولو أجرى على النظم لكانت قصة واحدة ولذهبت تثنية التقرير. وبنحوه قال بعض المعاصرين من المفسرين.

قال وهبة الزحيلي في تفسيره^(٣): إنما أخره بالذكر عن ذكر موقفهم الاستهزائي العنادي

(١) قاله ابن الجوزي في «زاد المسير»، وأورد قول الفرزدق:

إن الفرزدق صخرة ملمومة طالت فليس تنالها الأوعال
قال: أراد طالت الأوعال. وقول جرير:

طاف الخيال وأين منك لمامًا فارجع لزورك بالسلام سلامًا
قال: أراد طاف الخيال لمامًا وأين هو منك. وقول الآخر:

خير من القوم العصاة أميرهم يا قوم فاستحيوا النساء الجلّس
أراد خير من القوم العصاة النساء فاستحيوا من ذلك.

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

(٣) «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج».

اهتمامًا واستهجانًا وتقريعًا لموقف العناد وتشويقًا إلى معرفة سبب ذبح البقرة.



س: رجلٌ وُجد يتشحط في دمه وقال: فلان قتلني هل يؤخذ بقوله؟

ج: الصحيح أنه لا يؤخذ بقوله إلا بالقرائن المحتمفة إن كان لها وجه قبول كإقرار القاتل مثلاً أو وجود شهود أو نحو ذلك فالقرائن قد تقضي بصحة ما قال وقد تقضي ببطلانه، وقد أخرج البخاري في «صحيحه»^(١) من حديث أنس رضي الله عنه أن يهودياً رصّ رأس جارية بين حجرين، فقبل لها: من فعل أفلان أو فلان؟ حتى سمي اليهودي فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل به حتى أفرّ فرصّ رأسه بالحجارة.



س: هل في قوله تعالى: ﴿مَقُلْنَا أَضْرَبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُعَى اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣] دليل على أن المقتول إذا قال: قتلني فلان أخذ بقوله؟

ج: الذي يظهر لي - والله أعلم - أن هذه معجزة خاصة لا تنطبق إلى ما سواها لأنه لم يكن الرجل ليحييه الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أماته ثم يكذب على الناس وفيهم نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم.



س: ما معنى القسامة؟

- (١) حديث (٦٧٨٦)، وقد بَوَّبَ له البخاري رضي الله عنه باب: سؤال القاتل حتى يقر والإقرار في الحدود.
- وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله (فتح الباري ٢١/٨٠٢): وقال النووي ذهب مالك إلى ثبوت قتل المتهم بمجرد قول المجروح، واستدل بهذا الحديث، ولا دلالة فيه بل هو قول باطل لأن اليهودي اعترف كما وقع التصريح به في بعض الطرق ونازعه بعض المالكية فقال: لم يقل مالك ولا أحد من أهل مذهبه بثبوت القتل على المتهم بمجرد قول المجروح وإن قالوا: إن قول المحتضر عند موته فلان قتلني لوثٌ يوجب القسامة فيقسم اثنان فصاعداً من عصبته بشرط الذكورية، وقد وافق بعض المالكية الجمهور.
- (٢) وبنحو ذلك قال بعض المفسرين، فقال ابن جُزَي الكلبِي رحمته الله في تفسيره: وقصته معجزة لنبي فلا يتأتى أن يكذب المقتول، بخلاف غيره.

ج: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ (١): القسامة (بفتح القاف وتخفيف المهملة) اليمين، وهي في عرف الشرع حلف معين عند التهمة بالقتل على الإثبات أو النفي، وقيل: هي مأخوذة من قسمة الأيمان على الحالفين.

وقال أيضًا (٢): وهي الأيمان تقسم على أولياء القتل إذا ادعوا الدم أو على المدعي عليهم الدم، وخصَّ القسم على الدم بلفظ القسامة.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: لا يحلف في القسامة أقل من خمسين يمينًا لقول النبي ﷺ في حديث حويصة ومحبيصة: «يقسم خمسون منكم على رجل منهم».

قلت: ولتوضيح معنى القسامة وبيانها نسوق بعض ما ورد فيها من أحاديث: أخرج البخاري رَحِمَهُ اللهُ في «صحيحه» (٣) من حديث سهل ابن أبي حثمة رَحِمَهُ اللهُ أن نفرًا من قومه انطلقوا إلى خيبر فتفرقوا فيها ووجدوا أحدهم قتيلاً، وقالوا للذي وجدوا فيهم: قد قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدهم قتيلاً، فقال: «الكُبر الكُبر». فقال لهم: «تأتون بالبينة على من قتله؟» قالوا: ما لنا بينة. قال: «فيحلفون». قالوا: لا نرضى بأيمان اليهود، فكره رسول الله ﷺ أن يُطلَّ دمه فوداه مائةً من إبل الصدقة.

وأخرج البخاري أيضًا (٩٩٨٦) من طريق أبي قلابة أن عمر بن عبد العزيز أبرز سريره يوماً للناس ثم أذن لهم فدخلوا، فقال: ما تقولون في القسامة؟ قالوا: نقول القسامة القود بها حق وقد أقادت بها الخلفاء. قال لي: ما تقول يا أبا قلابة؟ ونصبني للناس، فقلت: يا أمير المؤمنين، عندك رءوس الأجناد وأشرف العرب، رأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل محصن بدمشق أنه قد زنى ولم يروه أكنت ترجمه؟ قال: لا. قلت: رأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل بحمص أنه سرق أكنت

(١) «الفتح» (٧/٢٩١).

(٢) «الفتح» (٢١/٠٤٢).

(٣) حديث (٨٩٨٦).

تقطعه ولم يروه؟ قال: لا. قلت: فوالله ما قتل رسول الله ﷺ أحداً قط إلا في إحدى ثلاث خصال: رجل قتل بجريرة نفسه فقتل، أو رجل زنى بعد إحصان، أو رجل حارب الله ورسوله وارتد عن الإسلام فقال القوم: أو ليس قد حدث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قطع في السرقة وسمل العين ثم نبذهم في الشمس؟ فقلت: أنا أحدثكم حديث أنس، حدثني أنس أن نفرًا من عُكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا الأرض فسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ قال: «أفلا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من ألبانها وأبوالها؟» قالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحوا فقتلوا راعي رسول الله ﷺ وأطردوا النعم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل في آثارهم فأدركوا، فجيء بهم، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم نبذهم في الشمس حتى ماتوا. قلت: وأي شيء أشد مما صنع هؤلاء؟ ارتدوا عن الإسلام وقتلوا وسرقوا فقال عبسة بن سعيد: والله إن سمعت كاليوم قط، فقلت: أترد عليّ حديثي يا عبسة؟ قال: لا؛ ولكن جئت بالحديث على وجهه والله لا يزال هذا الجند بخير ما عاش هذا الشيخ بين أظهرهم. قلت: وقد كان في هذا سنة من رسول الله ﷺ: دخل عليه نفر من الأنصار فتحدثوا عنده، فخرج رجل منهم بين أيديهم فقتل، فخرجوا بعده فإذا هم بصاحبهم يتشحط في الدم، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، صاحبنا كان يحدث معنا فخرج بين أيدينا فإذا نحن به يتشحط في الدم، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «بمن تظنون - أو: ترون - قتله؟» قالوا: نرى أن اليهود قتلته. فأرسل إلى اليهود فدعاهم فقال: «أنتم قتلتم هذا؟» قالوا: لا. قال: «أترضون نفل خمسين من اليهود ما قتلوه؟» فقالوا: ما يبالون أن يقتلونا أجمعين ثم يتفلون. قال: أفتستحقون الدية بأيمان خمسين منكم؟ قالوا: ما كنا لنحلف. فوداه من عنده. قلت: وقد كانت هذيل خلعوا خليعاً لهم في الجاهلية، فطرق أهل بيت من اليمن بالبطحاء فانتبه له رجل منهم، فحذفه بالسيف فقتله، فجاءت هذيل فأخذوا اليماني فرفعوه إلى عمر بالموسم وقالوا: قتل صاحبنا. فقال: إنهم قد خلعوه. فقال: يقسم خمسون من هذيل: ما خلعوه قال:

فأقسم منهم تسعة وأربعون رجلاً، وقدم رجل من الشام فسأله أن يقسم فافتدى يمينه منهم بألف درهم فأدخلوا مكانه رجلاً آخر فدفعه إلى أخي المقتول فقرنت يده بيده، قالوا: فانطلقا والخمسون الذين أقسموا، حتى إذا كانوا بنخلة أخذتهم السماء، فدخلوا في غار في الجبل فانهدم الغار على الخمسين الذين أقسموا، فماتوا جميعاً وأفلت القرينان واتبعهما حجر. فكسر رجل أخي المقتول، فعاش حولاً ثم مات. قلت: وقد كان عبد الملك بن مروان أقاد رجلاً بالقسامة ثم ندم بعد ما صنع، فأمر بالخمسين الذين أقسموا فمحووا من الديوان وسيرهم إلى الشام.

وأخرج البخاري (١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن أول قسامة كانت في الجاهلية لفينا بني هاشم: كان رجل من بني هاشم استأجره رجل من قريش من فخذ أخرى فانطلق معه في إبله، فمر به رجل من بني هاشم قد انقطعت عروة جواقه فقال: أغثني بعقال أشد به عروة جواقتي لا تنفر الإبل فأعطاه عقلاً فشد به عروة جواقه. فلما نزلوا عقلت الإبل إلا بغيراً واحداً، فقال الذي استأجره: ما شأن هذا البعير لم يعقل من بين الإبل؟ قال: ليس له عقال. قال: فأين عقاله؟ قال: فحذفه بعضاً كان فيها أجله. فمر به رجل من أهل اليمن، فقال: أتشهد الموسم؟ قال: ما أشهد وربما شهدته. قال: هل أنت مبلغ عني رسالة مرة من الدهر؟ قال: نعم. قال: فكتب إذا أنت شهدت الموسم فناد يا آل قريش، فإذا أجابوك فناد يا آل بني هاشم، فإن أجابوك فاسأل عن أبي طالب فأخبره أن فلاناً قتلني في عقال. ومات المستأجر. فلما قدم الذي استأجره أتاه أبو طالب فقال: ما فعل صاحبنا؟ قال: مرض فأحسنتم القيام عليه، فوليت دفنه. قال: قد كان أهل ذاك منك. فمكث حيناً ثم إن الرجل الذي أوصي إليه أن يبلغ عنه وافي الموسم فقال: يا آل قريش، قالوا: هذه قريش. قال: يا بني هاشم، قالوا: هذه بنو هاشم. قال: أين أبو طالب؟ قالوا: هذا أبو طالب. قال: أمرني فلان أن أبلغك رسالة أن فلاناً قتله في عقال. فأتاه أبو طالب فقال له: اختر منا إحدى

(١) حديث (٥٤٨٣).

ثلاث: إن شئت أن تؤدي مائة من الإبل فإنك قتلت صاحبنا، وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتله، وإن أبيت قتلناك به. فأتى قومه فقالوا: نحلف. فأتته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجل منهم قد ولدت له فقالت: يا أبا طالب أحب أن تجيز ابني هذا برجل من الخمسين ولا تصبر يمينه حيث تصبر الأيمان، ففعل. فأتاه رجل منهم فقال: يا أبا طالب أردت خمسين رجلاً أن يحلفوا مكان مائة من الإبل، يصيب كل رجل بعيران، هذان بعيران فاقبلهما مني ولا تصبر يميني حيث تصبر الأيمان فقبلهما. وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا. قال ابن عباس: فوالذي نفسي بيده ما حال الحول ومن الثمانية والأربعين عين تطرف).



س: هل يُعمل بالقسامة؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: اختلف العلماء في الحكم بالقسامة، فروى عن سالم وأبي قلابة وعمر بن عبد العزيز والحكم بن عتيبة التوقف في الحكم بها، وإليه مال البخاري لأنه أتى بحديث القسامة في غير موضعه.

✽ وقال الجمهور: الحكم بالقسامة ثابت عن النبي ﷺ.



س: ما الموجب للقسامة؟

ج: الموجب للقسامة هو اللوث ولا بد منه، واللوث أمانة تغلب على الظن صدق مدعي القتل كشهادة العدل الواحد على رؤية القتل أو يرى المقتول يتشحط في دمه والتمهم نحوه أو قربه عليه آثار القتل^(١) قاله القرطبي رَحِمَهُ اللهُ.

(١) وقال القرطبي عقب الكلام المذكور: وقد اختلف في اللوث والعمل به فقال مالك: هو قول المقتول دمي عند فلان، والشاهد العدل لوث، كذا في رواية ابن القاسم عنه وروى أشهب عن مالك أنه يقسم مع الشاهد غير العدل ومع المرأة. وروى ابن وهب أن شهادة النساء لوث. وذكر محمد عن ابن القاسم أن شهادة المرأتين لوث دون شهادة المرأة الواحدة

قال القاضي أبو بكر بن العربي: اختلف في اللوث اختلافاً كثيراً؛ مشهور المذهب أنه الشاهد العدل. وقال

س: قوله تعالى: ﴿أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣] ما هو هذا البعض الذي أمر الله ﷻ أن يُضرب به الميت؟

ج: ليس في الآية الكريمة شيء واضح يبين ما هو هذا البعض الذي أمر الله ﷻ أن يُضرب به الميت، ولا نعلم شيئاً من سنة رسول الله ﷺ يوضح هذا البعض كذلك، ولم يُطبق المفسرون على شيء واحد في هذا الباب أيضاً.

﴿وكما قال الطبري رحمه الله﴾: ولا يضرب الجاهل بأي ذلك ضربوا القتل، ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله. ﴿وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله﴾: هذا البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن، وقد كان معيناً في نفس الأمر فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا، ولكن أهمه ولم يجيء من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبههم كما أهمه الله تعالى.

قُلْتُ: والأمر كما قال العالمان الجليلان الطبري وابن كثير رحمهما الله تعالى، وعلى هذا المنوال نسير في مثل هذه المواطن التي سكت عنها ربنا سبحانه ولم بينها نبينا ﷺ، فتمَّ خلافات لا طائل لها في مسائل ليس من وراء معرفتها كبير فائدة ولا

محمد: هو أحب إلي. قال: وأخذ به ابن القاسم وابن عبد الحكم. وروي عن عبد الملك بن مروان: أن المجروح أو المضروب إذا قال: دمي عند فلان ومات كانت القسامة. وبه قال مالك والليث بن سعد. واحتج مالك بقتيل بني إسرائيل أنه قال: قتلتني فلان.

وقال الشافعي: اللوث الشاهد العدل، أو يأتي بيينة وإن لم يكونوا عدولاً. وأوجب الثوري والكوفيون القسامة بوجود القتل فقط واستغنوا عن مراعاة قول المقتول وعن الشاهد، قالوا: إذا وجد قتل في محلة قوم وبه أئثر حلف أهل ذلك الموضع أنهم لم يقتلوه ويكون عقله عليهم؛ وإذا لم يكن به أثر لم يكن على العاقلة شيء إلا أن تقوم البينة على واحد. وقال سفيان: وهذا مما أجمع عليه عندنا. وهو قول ضعيف خالفوا فيه أهل العلم، ولا سلف لهم فيه، وهو مخالف للقرآن والسنة؛ ولأن فيه إلزام العاقلة مالا يغير بينة ثبتت عليهم ولا إقرار منهم. وذهب مالك والشافعي إلى أن القتل إذا وجد في محلة قوم أنه هدر، لا يؤخذ به أقرب الناس داراً؛ لأن القتل قد يقتل ثم يلقى على باب قوم ليلطخوا به، فلا يؤخذ بمثل ذلك حتى تكون الأسباب التي شرطوها في وجوب القسامة. وقد قال عمر بن عبد العزيز: هذا مما يؤخر فيه القضاء حتى يقضي الله فيه يوم القيامة.

صغيرها يضيع فيها كثيرٌ من المفسرين أوقاتاً ويسودون بها صفحات، ولا طائل من وراء هذا التضييع وذاك التسويد، ومن أمثلة هذا مثلاً أوقاتاً يضيعها بعض المفسرين في تسمية كلب أهل الكهف وتسمية حمار العزيز، وتسمية امرأة العزيز، وتسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وعدد أصحاب الكهف وصفتهم، و... إلى غير ذلك من الأمور التي لا يُرجى من ورائها فائدة، إذ لو كان من وراء معرفتها فائدة لبينها لنا ربنا ﷺ في كتابه الكريم الذي ما فرط فيه من شيء، ولأوضحها لنا نبينا ﷺ.

س: الأمر يفيد الوجوب عند كثير من أهل العلم، اذكر دليلاً من قصة موسى ﷺ مع قومه لما أمرهم بذبح البقرة يفيد ذلك، ودليلاً آخر من غيرها من السور؟ ودليلاً من السنة؟

ج: أما الدليل الأول فهو قول موسى ﷺ لقومه: ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨].

أما الدليل الآخر فهو قول الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ومن السنة قول النبي ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت»، والله تعالى أعلم.



س: بعض أهل العلم يستنبط من قصة قوم موسى في شأن البقرة أن حکم الله ﷻ يكون على العموم الظاهر دون الخصوص الباطن إلا أن يأتي دليل من الكتاب أو السنة يخص هذا العموم وهذا الظاهر. وضح ذلك، واذكر قائله؟

ج: أما قائله فهو ابن جرير الطبري ﷺ، قاله في تفسيره وهاك بيان قوله: **قال ﷺ:** وهذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه - من الصحابة والتابعين

(١) صحيح، انظر سنن الترمذي (حديث: ٥٥٠٣)، وتفسير الطبري (٧/ ٣٥).

والخالفين بعدهم، من قولهم: إِنَّ بني إسرائيل لو كانوا أخذوا أدنى بقرة فذبحوها أجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدّد الله عليهم - من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أنّ حكم الله فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رَسوله ﷺ، على العموم الظاهر، دون الخصوص الباطن، إلا أن يخص بعض ما عمّه ظاهر التنزيل، كتابٌ من الله أو رسولُ الله؛ وأن التنزيل أو الرسول، إن خصَّ بعض ما عمّه ظاهرُ التنزيل بحكم خلاف ما دلَّ عليه الظاهر، فالمخصوص من ذلك خارجٌ من حكم الآية التي عمّت ذلك الجنس خاصة، وسائرُ حكم الآية على العموم؛ على نحو ما قد بيناه في كتابنا «كتاب الرسالة» من لطيف القول في البيان عن أصول الأحكام - في قولنا في العموم والخصوص، وموافقة قولهم في ذلك قولنا ومذهبهم مذهبنا، وتخطتتهم قول القائلين بالخصوص في الأحكام، وشهادتهم على فساد قول من قال: حُكْم الآية الجائية مجيء العموم على العموم، ما لم يُختصَّ منها بعض ما عمّته الآية. فإن خصَّ منها بعضٌ، فحكم الآية حينئذٍ على الخصوص فيما خصَّ منها، وسائر ذلك على العموم.

وذلك أن جميع مَنْ ذكرنا قوله آنفاً - ممن عاب على بني إسرائيل مسألتهم نبيهم ﷺ عن صفة البقرة التي أمروا بذبحها وسنّها وحليتها - وأوا أنهم كانوا في مسألتهم رسول الله ﷺ موسى ذلك مخطئين، وأنهم لو كانوا استعرضوا أدنى بقرة من البقر - إذ أمروا بذبحها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]، فذبحوها - كانوا للواجب عليهم من أمر الله في ذلك مؤدّين، وللحق مُطيعين، إذ لم يكن القوم حُصروا على نوع من البقر دون نوع، وسنٌّ دون سنٍّ.

ورأوا مع ذلك أنّهم - إذ سألوا موسى عن سنّها فأخبرهم عنها، وحصرهم منها على سنٍّ دون سنٍّ ونوع دون نوع، وخصَّ من جميع أنواع البقر نوعاً منها - كانوا في مسألتهم إيّاه في المسألة الثانية، بعد الذي خصَّ لهم من أنواع البقر، من الخطأ على مثل الذي كانوا عليه من الخطأ في مسألتهم إيّاه المسألة الأولى.

وكذلك رأوا أنهم في المسألة الثالثة على مثل الذي كانوا عليه من ذلك في الأولى

والثانية، وأن اللازم كان لهم في الحالة الأولى، استعمال ظاهر الأمر، وذبح أي بهيمة شاءوا مما وقع عليها اسم بقرة.

وكذلك رأوا أن اللازم كان لهم في الحال الثانية، استعمال ظاهر الأمر وذبح أي بهيمة شاءوا مما وقع عليها اسم بقرة عوان لا فارض ولا بكر، ولم يروا أن حكمهم - إذ خصَّ لهم بعض البقر دون البعض في الحالة الثانية - انتقل عن اللازم الذي كان لهم في الحالة الأولى، من استعمال ظاهر الأمر إلى الخصوص.

ففي إجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك - مع الرواية التي رويناها عن رسول الله ﷺ بالموافقة لقولهم - دليل واضح على صحة قولنا في العموم والخصوص، وأن أحكام الله جل ثناؤه في أي كتابه - فيما أمر ونهى - على العموم، ما لم يخص ذلك ما يجب التسليم له. وأنه إذا خص منه شيء، فالمخصوص منه خارج حكمه من حكم الآية العامة الظاهر، وسائر حكم الآية على ظاهرها العام - ومؤيد حقيقة ما قلنا في ذلك، وشاهد عدل على فساد قول من خالف قولنا فيه.

وقد زعم بعض من عظمت جهالته، واشتدت حيرته، أن القوم إنما سألوا موسى ما سألوا بعد أمر الله إياهم بذبح بقرة من البقر، لأنهم ظنوا أنهم أمروا بذبح بقرة بعينها خصت بذلك، كما خصت عصا موسى في معناها، فسألوه أن يحلها لهم ليعرفوها.

ولو كان الجاهل تدبر قوله هذا، لسهل عليه ما استصعب من القول. وذلك أنه استعظم من القوم مسألتهم نبيهم ما سألوه تشددًا منهم في دينهم، ثم أضاف إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكره أن يكون كان منهم. فزعم أنهم كانوا يرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضًا، ويتعبد لهم بعبادة، ثم لا يبين لهم ما يفرض عليهم ويتعبد لهم به، حتى يسألوا بيان ذلك لهم! فأضاف إلى الله تعالى ذكره ما لا يجوز إضافته إليه، ونسب القوم من الجهل إلى ما لا يُنسب المجانين إليه! فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض، فنعوذ بالله من الحيرة، ونسأله التوفيق والهداية.



س: قاتل العمدهل يرث من المال شيئاً؟

ج: قال القرطبي رحمته:

ولا خلاف بين العلماء أنه لا يرث قاتل العمد من الدية ولا من المال إلا فرقة شذت عن الجمهور كلهم أهل بدع^(١).



س: التعمق في سؤال الأنبياء والعلماء عن المسكوت عنه مذموم ومن شدد شدد الله

عزبك عليه وضح ذلك؟

ج: إيضاح ذلك أن الله عزبك أمر بني إسرائيل بذبح بقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]، ولم يبين لهم شبهانة وتعالى شروطاً لها فلو ذبحوا أي بقرة أجزأتهم وكانوا قد امتثلوا أمر الله تعالى، فلما طلبوا بياناً عن سنّها بقولهم: ﴿أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِّينَ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] كان هذا منهم تشديداً على أنفسهم فشدد عليهم ثم تعنتوا تعنتاً آخر فقالوا: ﴿أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِّينَ لَنَا مَا لَوْ نُهَا﴾ [البقرة: ٦٩]... ثم تعنتاً ثالثاً بقولهم: ﴿أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِّينَ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠] فكل هذا منهم تشديداً على أنفسهم^(٢).

(١) قُلْتُ: إن كان استدلاله بقصة بقرة بني إسرائيل وما ورد فيها من آثار فهي آثار لا تقوم بها حجة على هذه المسألة، وقد

قال ابن جزي الكلبي في تفسيره: واستدلوا أيضاً بها على أن القاتل لا يرث، ولا دليل فيها على ذلك.

هذا وتحتاج المسألة مني إلى تحرير أسأل الله أن يسره، وإن شاء الله يأتي في بابه.

(٢) وقد قال عبيدة السلماني رحمته: فلو لم يعترضوا البقرة لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فشدد عليهم.

وتقدم الأثر عنه في ذلك وقال عكرمة رحمته (عند الطبري ٩٣٢١ بإسناد صحيح): لو أخذ بنو إسرائيل بقرة

لأجزأت عنهم، ولولا قولهم: ﴿وَلِنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠] لما وجدوها.

رحمته وصح عن ابن عباس كذلك (عند الطبري ٥٣٢١) أنه قال: لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها، لكنهم شددوا

فشدد الله عليهم.

وكذلك روي نحو هذا القول عن عددٍ كبير من أهل العلم.

رحمته وقال الطبري رحمته (ص ٢/٩٨١): لأنه جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرة من البقر - أي بقرة شاءوا ذبحها من

غير أن يحصر لهم ذلك على نوعٍ منها دون نوعٍ أو صنفٍ دون صنفٍ فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم

وسوء أفهامهم وتكلف ما قد وضع الله عنهم مؤنثته تعنتاً منهم لرسول الله رحمته.. فذكر بأسانيده إلى السلف...

﴿أَدْعُ لِنَارِكَ﴾ [البقرة: ٦٩] وقال (ص: ٨٩١):

=

❁ وقد قال النبي ﷺ لأصحابه: «ذروني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»^(١).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَّلْ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنْ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جَرْمًا مِنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ..»^(٢)

ومعنى ذلك: قال قوم موسى لموسى: ﴿أَدْعُ لِنَارِيكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْ نُهَا﴾ [البقرة: ٦٩]؛ أي: لون البقرة التي أمرتنا بذبحها. وهذا أيضًا تعنت آخر منهم بعد الأول، وتكلف طلب ما قد كُفوه في المرة الثانية والمسألة الآخرة. وذلك أنهم لم يكونوا حُصروا في المرة الثانية - إذ قيل لهم بعد مسألتهم عن حلية البقرة التي كانوا أمروا بذبحها، فأبوا إلا تكلف ما قد كُفوه من المسألة عن صفتها، فحُصروا على نوع دون سائر الأنواع؛ عقوبةً من الله لهم على مسألتهم التي سألوها نبيهم ﷺ، تعنتًا منهم له. ثم لم يحُصروهم على لون منها دون لون، فأبوا إلا تكلف ما كانوا عن تكلفه أغنياء، فقالوا - تعنتًا منهم لنبيهم ﷺ، كما ذكر ابن عباس -: ﴿أَدْعُ لِنَارِيكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْ نُهَا﴾ [البقرة: ٦٩]، فقيل لهم عقوبةً لهم: ﴿إِنَّمَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْ نُهَا تَسْرُ النَّظِيرِ﴾ [البقرة: ٦٩]. فحُصروا على لون منها دون لون. ومعنى ذلك: إن البقرة التي أمرتكم بذبحها صفراء فاقع لونها.

قال أبو جعفر: يعني بقوله: ﴿قَالُوا﴾ قال قوم موسى - الذين أمروا بذبح البقرة - لموسى فترك ذكر موسى، وذكر عائد ذكره، اكتفاءً بما دل عليه ظاهر الكلام. وذلك أن معنى الكلام: قالوا له: ادع ربك. فلم يذكر «له» لما وصفنا.

وقوله: ﴿يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٧٠]، خبر من الله عن القوم بجهلة منهم ثالثة. وذلك أنهم لو كانوا إذ أمروا بذبح البقرة، ذبحوا أيتها تيسرت مما يقع عليه اسم بقرة، كانت عنهم مجزئة، ولم يكن عليهم غيرها، لأنهم لم يكونوا كلّفوها بصفة دون صفة.

فلما سألوها بيانها بأي صفة هي، بين لهم أنها بسن من الأسنان دون سن سائر الأسنان، فقيل لهم: هي عوان بين الفارض والبكر والضرع. فكانوا - إذ بينت لهم سنّها - لو ذبحوا أدنى بقرة بالسّن التي بينت لهم، كانت عنهم مجزئة، لأنهم لم يكونوا كلّفوها بغير السن التي حُدّت لهم، ولا كانوا حُصروا على لون منها دون لون. فلما أبوا إلا أن تكون معرفة لهم بنوعيتها، مبينة بحدودها التي تفرّق بينها وبين سائر بهائم الأرض، فشددوا على أنفسهم - فشدد الله عليهم بكثرة سؤالهم نبيهم ﷺ واختلافهم عليه.

ولذلك قال نبينا ﷺ لأمته: «ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوه، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم».

(١) أخرجه مسلم (٧٣٣١) ص: (٠٣٨١).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٩٨٢٧)، ومسلم (حديث ٨٥٣٢) من حديث سعد بن عبد الله مرفوعًا.

وقد قال النبي ﷺ: «إن الله ﷻ كره لكم كثرة السؤال...»^(١) والله تعالى أعلم.



س: ما معنى (أو) في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]؟

ج: ابتداءً فقد أجمع العلماء أن (أو)^(٢) في هذا الموطن ليست على الشك ثم التمسوا لها تأويلات:

﴿فَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ: إِنْ (أَوْ) هُنَا بِمَعْنَى (بَل) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْتُهُ إِلَىٰ يَاقْتِئَانَ الْآفِ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، فالمعنى - والله أعلم - بل يزيدون.

﴿وَمِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ قَالَ: إِنْ (أَوْ) هُنَا بِمَعْنَى الْوَاوِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطْعَمُهُمْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] فالمعنى - والله أعلم - ولا تطعم منهم آثمًا وكفورًا، وكقوله تعالى: ﴿عَذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ [المرسلات: ١٦] فالمعنى - والله أعلم - عذراً ونذراً وكما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ... أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٧]:

١٩] فمنهم - والله أعلم - من مثله كمثل الذي استوقد ناراً... ومنهم من مثله كمثل أصحاب الصيب الذي فيه الظلمات والرعد والبرق...، فالمعنى هنا على هذا التأويل أن منهم من قلبه في قسوته كالحجارة ومنهم من قلبه أشد قسوة من الحجارة^(٣) . والله أعلم.

(١) أخرج البخاري (حديث ٢٩٢٧)، ومسلم (٣٩٥ ص ١٤٣١) من حديث المغيرة بن شعبه الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول الله ﷺ فكتب: (... كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال).

(٢) نقل هذا الإجماع الحافظ ابن كثير ﷺ.

(٣) وقد بسط الطبري ﷺ القول في هذا في تفسيره فقال كجأله:

فإن سأل سائل فقال: وما وجه قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، و(أو) عند أهل العربية، إنما

تأتي في الكلام لمعنى الشك، والله تعالى جل ذكره غير جائز في خبره الشك؟

قيل: إن ذلك على غير الوجه الذي توهمته، من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه، ولكنه خبرٌ منه عن قلوبهم القاسية، أنها - عند عباده الذين هم أصحابها، الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله - كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة، عندهم وعند من عرف شأنهم.

=

وقد قال جماعة من أهل العربية أقوالاً. فقال بعضهم: إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ **[البقرة: ٧٤]**، وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي بـ(أو) كقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ **[الصافات: ١٤٧]**، وكقول الله جل ذكره: ﴿وَلِنَأْتِيَنَّهُمْ لَحْمٌ مِّنَ الْبَقَرِ أَوْ فِي ضُلُكٍ مَّثِينٍ﴾ **[سبأ: ٢٤]** - **[الإبهام على من خاطبه]**، فهو عالمٌ أيُّ ذلك كان. قالوا: ونظير ذلك قول القائل: (أكلتُ بُسرةً أو رُطبةً)، وهو عالمٌ أيُّ ذلك أكل، ولكنه أبهم على المخاطب، كما قال أبو الأسود الدؤلي:

أَحِبُّ مُحَمَّـدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْرَةَ وَالْوَصِيَّةَ
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رَشَدًا أَصْبَهُ وَلَسْتُ بِمُحْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيًّا

قالوا: ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكًا في أن حُبَّ من سمَّى -رشدًا، ولكنه أبهم على من خاطبه به. وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له: شككت؟! فقال: كلا والله! ثم انتزع بقول الله ﷻ: ﴿وَلِنَأْتِيَنَّهُمْ لَحْمٌ مِّنَ الْبَقَرِ أَوْ فِي ضُلُكٍ مَّثِينٍ﴾ **[سبأ: ٢٤]**، فقال: أو كان شاكًا. من آخر هذا - في الهادي من الضلال. وقال بعضهم: ذلك كقول القائل: (ما أطعمتك إلا حلوًا أو حامضًا)، وقد أطعمه النوعين جميعًا. فقالوا: فائق ذلك لم يكن شاكًا أنه قد أطعم صاحبه الحلو والحامض كليهما، ولكنه أراد الخبر عمَّا أطعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين.

قالوا: فكذلك قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ **[البقرة: ٧٤]** إنما معناه: فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثالين، إما أن تكون مثلًا للحجارة في القسوة، وإما أن تكون أشد منها قسوة.

ومعنى ذلك على هذا التأويل: فبعضها كالحجارة قسوة، وبعضها أشد قسوة من الحجارة. وقال بعضهم: (أو) في قوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ **[البقرة: ٧٤]**، وأشد قسوة، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَطْعَمُهُمْ إِذْ مَا أَوْ كَفُورًا﴾ **[سورة الإنسان: ٢٤]** بمعنى: وكفورًا، وكما قال جرير بن عطية:

نَالِ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

يعني: نال الخلافة، وكانت له قدرًا، وكما قال النابغة:

قالت:

أَلَا لَيْتِمَا هَذَا الْحَمَامَ لَنَا إِلَى حَمَامَتَيْنَا، أَوْ نَصَلُهُمْ فَكَلِمًا

يريد: ونصفه.

وقال آخرون: (أو) في هذا الموضع بمعنى (بل)، فكأن تأويله عندهم: فهي كالحجارة بل أشد قسوة كما قال جل ثناؤه: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ **[الصافات: ١٤٧]**، بمعنى: بل يزيدون.

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك فهي كالحجارة، أو أشد قسوة عندكم.

* * *

قال أبو جعفر: ولكل مما قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجهًا ومخرج في كلام العرب. غير أن أعجب الأقوال إليّ في ذلك ما قلناه أولًا، ثم القول الذي ذكرناه عن وجه ذلك إلى أنه بمعنى: فهي أوجهٌ في القسوة: إما أن

س: من العلماء من يقول إن الله ﷻ أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم فهي تعقل طاعة الله ﷻ وتطيعه ما مدى صحة هذا القول؟

ج: هذا القول عندي صحيح، ومستند ذلك ما يلي.

﴿ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

﴿ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغْ بِمِجْرَاهُ وَلَكِنْ لَا نُنْفِقُهُمْ نَسْبِغَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْهُمُ الْأُمَمُ قَدْ آتَتْهُمُ الْبُرُوقُ وَالسَّعَابِقُ وَالسَّمُومُ وَالسَّمَاءُ كَالرَّيِّسِ الْمَاصِفِ وَكَأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ الْحَرَّ وَالْبُرْدَ وَالنُّجُومُ وَالشَّجَرُ وَالْأَنْبَاءُ...﴾ [الحج: ١٨].

﴿ وقوله تعالى: ﴿... ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [الفصل: ١١].

﴿ وقوله جل ذكره: ﴿... وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلِمَا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿ وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

﴿ وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

تكون كالحجارة، أو أشد، على تأويل أن منها كالحجارة، ومنها أشد قسوة. لأن (أو)، وإن استعملت في أماكن من أماكن (الواو) حتى يلتبس معناها ومعنى (الواو)، لتقارب معنيهما في بعض تلك الأماكن - فإن أصلها أن تأتي بمعنى أحد الاثنين. فتوجهها إلى أصلها - ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً - أعجب إلي من إخراجها عن أصلها، ومعناها المعروف لها.

* * *

قال أبو جعفر: وأما الرفع في قوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، فمن وجهين:

أحدهما أن يكون عطفًا على معنى (الكاف) في قوله: ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: ٧٤]، لأن معناها الرفع. وذلك أن معناها معنى (مثل)، [فيكون تأويله]: فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة.

❁ وقال تعالى: ﴿... وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٧٤] ^(١)

❁ وقال النبي ﷺ: «إني أعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ».

❁ وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أحدُ جبل يحبنا ونحبه».

❁ وقد حن الجذع لرسول الله ﷺ.

❁ وقد سبح الحصى في يد رسول الله ﷺ.



س- قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، خير عن الله سبحانه وتعالى

ما هو المراد منه؟

ج: المراد - والله أعلم - من هذا الخبر التهديد والتحذير من مخالفة أمر الله ﷻ ^(٢).

أَفْتَضَمُّونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى
بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ
بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ

(١) صح عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم في التفسير (٧٦٧) أنه قال في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾

[البقرة: ٧٤] قال: إن الحجر ليقع إلى الأرض فلو اجتمع عليه فتام من الناس ما استطاعوا به، وإنه ليهبط من

خشية الله.

وقد أعله المعلق على ابن أبي حاتم بأحد رجاله وهو (عبيد الله بن موسى) ولا يوافق المعلق على الإعلال في مثل

هذا الموطن، فعبيد الله بن موسى من رجال الجماعة. والأمر فيه يحتاج إلى تفصيل أوسع مما ذكره المعلق حفظه الله،

وهو يروي الحديث عن إسرائيل وقد قال الحافظ ابن حجر فيه: (هو أثبت في إسرائيل من أبي نعيم) وهذا التعليق

يحتاج إلى إطالة ليس محلها هذا التفسير، وبالله التوفيق.

(٢) قال القاسمي في «محاسن التأويل»: وقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] فيه من التهديد

وتشديد الوعيد ما لا يخفى، فإن الله ﷻ إذا كان عالماً بما يعملونه مطلعاً عليه غير غافل عنه، كان لمجازاتهم

بالمرصاد.

يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ
 الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ
 يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ
 وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

معناها	الكلمة
يصدقوكم بما جاءكم به نبيكم ﷺ - يتابعوكم على دينكم وهي كقوله تعالى: ﴿فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿فَمَاءٌ مِّنْ لِّمُوسَىٰ إِلَّا دُرْيَةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ [يونس: ٨٣] وقول اليهود لموسى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] وقول اليهود: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقول الكافرين لنوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وقول موسى: ﴿وَإِنْ لَّمْ نُؤْمِنُوا لِي فَأَنْزِلُونِ﴾ [الدخان: ٢١].	﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾

معناها	الكلمة
<p>قيل: هي التوراة، وقيل: هي كلام الله مع موسى ﷺ لما خرج لميقات ربه ومعه السبعون رجلاً كما قال تعالى: ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴾ [الأعراف: ١٥٥].</p> <p>يغيرونه - يبدلون معناه ويؤولونه على غير وجهه والله أعلم. عرفوه - فهموه.</p> <p>فتح تأتي بمعان منها: حكم، وقضى، ونصر، وفرق بين شيئين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩] أي: اقض، واحكم، والفتاح: القاضي وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٦] ويأتي بمعنى النصر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَنَّمِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ٨٩] أي: يقولون سيخرج نبي فتبعه ومنتصر عليكم. يخاصموكم - يعيرونكم - يجادلوكم.</p> <p>جمع أمي^(١) وهو: الذي لا يقرأ ولا يكتب، ومنه قول النبي ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب».</p>	<p>﴿ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾</p> <p>﴿ يُحَرِّفُونَهُ ﴾</p> <p>﴿ عَمَلُوهُ ﴾</p> <p>﴿ فَتَحَ ﴾</p> <p>﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ ﴾</p>
<p>﴿ قَالَ أَتَضَلُّونَ ﴾</p> <p>قلت: وقال بعض أهل العلم: أن الأميين نسبة إلى الأمة، قال بعضهم: وما عليه العامة فمعنى الأمي: العامي الذي لا تميز له.</p> <p>وقال فريق أهل العلم في حديث رسول الله ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» أي: أن ديننا لا يحتاج إلى أن يكتب ويحسب كما عليه أهل الكتاب من أنهم يعلمون مواقيت صلاتهم وصومهم بكتاب وحساب. وهذا الحمل وإن كان له وجه من ناحية إلا أنه إذا فهم منه أن رسول الله ﷺ كان يكتب أو يحسب فهذا خطأ، ويؤيده نفي الكتابة والحساب في الحديث: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَشْعُرُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْطُّهُ، بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْرْتَابَ الْمُبْطُوتِ ﴾ (٤٨) بل هو آيات ينزل في صدور الذين أوتوا العلم وما يحسد بتأيننا إلا الظالمون ﴿ العنكبوت: ٤٨، ٤٩ ﴾ والله تعالى أعلم.</p>	<p>(١) قال أضوي ﷺ: وأرى خلقاً كثيراً لا يدرى ما يخطئ ولا يخطى، وتوهم ما يتوهمون، ولا يميزون بين الناس في الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب ولا يخطئ: العالدين والجهلاء والعمال والكتابية ذوي الألبان. جبل في النار وقيل:</p>

س: الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] ما نوعه؟

ج: هو استفهام إنكاري الغرض منه الاستبعاد، والله أعلم.



س: من المخاطبون بقوله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]؟ وما المضمرة في قوله

تعالى: ﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥]؟

ج: المخاطبون بقوله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] هم أصحاب محمد ﷺ

والمؤمنون، والمضمرة في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥] هم اليهود^(١).



س: من هذا الفريق الذي كان يسمع كلام الله ثم يحرفه؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد فريق من علماء اليهود سواء المعاصرون لرسول الله ﷺ أو

الذين تقدّموه.

الثاني: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى خ لميقات ربه ﷻ كما قال تعالى:

﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥].



س: اذكر صور تحريف اليهود للتوراة؟

ج: من هذه الصور كتمان ما في التوراة من حق وإظهار ما عندهم من باطل فقد

أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن اليهود

جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله

ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله

بن سلام رضي الله عنه: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على

آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام رضي الله عنه: ارفع يدك فرفع يده

(١) وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٧٢٣١) قال: هم اليهود.

فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة^(١).

❀ وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

❀ ومنها ما أخرجه الطبري رحمته الله بإسناده (١٣٣١) إلى ابن زيد^(٢) في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥] قال: التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراماً، والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقاً إذا جاءهم المحقق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محقق، وإن جاء أحد يسألهم شيئاً ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمره بالحق فقال لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٥].



س: ما فائدة التقييد بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٧٥]؟

ج: فائدته بيان عظم جرمهم، وهو أنهم لم يحرفوا المعنى بجهل وخطأ وإنما حرفوه بعد ما علموه يقيناً وعلوموا وجه الصواب فيه وتأكدوا ثم عمدوا إلى اللفظ فحرفوه أو إلى وجه الصواب فأولوه وصرفوه عن وجهه والله أعلم.
ومن أهل العلم من يقول: قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٧٥] أي: يعلمون عقوبة تحريفه، والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري (حديث ١٤٨٦)، ومسلم (حديث ٩٩٦١).

(٢) صحيح إلى ابن زيد، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ولكن بقي النظر في ابن زيد نفسه فهو ضعيف.

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ وَقَدْ كَانُوا مِنْهُمْ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]؟

ج: المعنى - والله أعلم - أفتظمعون يا أصحاب محمد أن يصدقكم هؤلاء اليهود ويتابعوكم على دينكم وقد كان أسلافهم يحرفون كلام الله ﷻ عن عمدٍ وقصدٍ وعلى علم منهم بأن هذا تحريف وأن فاعله معاقب.

وقال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره «تيسير الكريم المنان»: هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم، وأخلاقهم لا تقتضي الطمع فيهم فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه فيضعون له معاني ما أرادها الله ليوهموا الناس أنها من عند الله وما هي من عند الله فإذا كانت حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟ فهذا من أبعد الأشياء.

قلت: وثم وجه آخر في تفسير الآية الكريمة، وهو أن الفريق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا مِنْهُمْ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٧٥] هم السبعون الذين اختارهم موسى ﷺ كما قدمنا، وعلى هذا فالمعنى كيف تطمعون يا أصحاب محمد ﷺ في تصديق هؤلاء اليهود لكم واتباعهم سبيلكم وإذعانهم لنيبكم ولكتابكم، وقد كان أجدادهم - الذين خرجوا مع موسى ﷺ - يسمعون كلام الله ﷻ بلا واسطة^(١) وهم مع نبيهم

(١) ولكن هل في كتاب الله ﷻ ما يفيد أن الله جل ذكره كلم هؤلاء السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أم أن الله ﷻ اختص نبيهم موسى فقط بالتكليم ثم أخبرهم موسى غ بالذي أراده الله منهم؟ لأهل العلم هنا قولان: ففريق يرى أن ربهم كلمهم ثم حرفوا الكلام على ما ذكر، وفريق أنكر ذلك إنكاراً شديداً.

قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره «المحرر الوجيز» (١/ ٧٦٢): وفي هذا القول ضعف ومن قال إن السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى ﷺ واختصاصه بالتكليم.

ونقل ابن الجوزي في «زاد المسير» عن الحكيم الترمذي (صاحب النوادر) أنه أنكر تكليم الرب للسبعين إنكاراً شديداً وقال: إنما خص بالكلام موسى وحده، وإلا فأى ميزة، وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذاباً.

موسى ثم ما هي إلا مسافة طريق الرجوع من الطور إلى بلادهم حتى يحرفون الكلم الذي سمعوه عن مواضعه عامدين لذلك متعمدين له عالمين به، فهؤلاء الموجودون بينكم أخرى وأجدد بهم أن يجحدوا الحق الذي جئتموهم به كما جحد أسلافهم، فكذبهم على الله قديم وعداوتهم لرسول الله قديمة.



س: من المساعدات على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أن يفهم الشخص شيئاً عن الذي يدعوه ويعرف أحواله وظروفه وملابسات أخلاقه وأفعاله... إلى غير ذلك وضح هذا؟

وقال القرطبي في تفسيره... وإنما الكلام شيء خصَّ به موسى من بين جميع ولد آدم فإن كان كلم قومه أيضاً حتى أسمعهم كلامه فما فضل موسى عليهم، وقد قال وقوله الحق: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وهذا واضح.

قلت: قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، سيأتي الحديث عليه في بابه إن شاء الله، ولكن هل هذه الآية الكريمة: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، هل تنفي أن الله ﷻ كلم غير موسى ﷺ؟ هذا أيضاً سيأتي في بابه إن شاء الله لكننا نشير هنا إلى أن الله ﷻ كلم آدم وحواء ﷺ بقوله: ﴿فَكَلَّمْنَا مِنْ حَيْثُ شِئْنَا وَلَا نَبْرَأُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وكلم الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ كما في ليلة المعراج التي فيها فرضت الصلوات. وكلم الله ﷻ إبراهيم فقال سبحانه: ﴿وَنَلِدِينَهُ أَنْ يَتَابِعَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (١٠٤) ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كُنَّا نَمُرُّ بِالْعُرَيْبِ﴾ [المحسينين] [الصافات: ١٠٤، ١٠٥].

ونادى ربنا سبحانه وتعالى نبيه أيوب لما أمره أن يضرب برجله فخرج الماء وقال الله له: ﴿هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]، وأرسل إليه جراداً من ذهب وجراداً من فضة فجعل أيوب غ يحشو في ثوبه فناده ربه يا أيوب ألم أكن أغنيك؟ قال: بلى يا رب، ولكن وعزتك لا غنى لي عن بركتك^(١). إلى غير ذلك والله أعلم.

أخرج ابن حبان بإسناد صحيح (موارد الظمان) (١٩٠٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثمانين سنة...» الحديث وفيه وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: ﴿أَكْضِ بِرِجْلِكَ هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] فاستبطأته فبلغته فأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان..» الحديث وفيه وكان له أبدران أبدر القمح وأبدر الشعير فبعث الله سبحانه فلما كانت إحداهما على أبدر (وفي رواية أندر) القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت، وأفرغت الأخرى على أبدر الشعير الورق حتى فاضت.

ج: نعم فإن هذا أقرب إلى سداد الداعي في كثير من الأحيان إذ يعرف كيف يشخص المرض وكيف يعالج ومن أين يأتي إلى المدعو، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ ﷺ لما بعثه إلى اليمن: «إنك سوف تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله ﷻ فإن هم أطاعوك فأخبرهم أن الله ﷻ افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة»^(١) الحديث.

فهنا لما علم الشخص من سيدعوهم بدأ بالأهم الذي يحتاجون إليه وقدمه على غيره وقد بين الله ﷻ سبحانه وتعالى أحوال بني إسرائيل من إعراضهم عن المرسلين، وليس إعراضاً منهم فقط بل كذبهم على الله ﷻ، وتحريفهم الكلم عليه سبحانه فقال ﷻ: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، فهذا يجعل الشخص متزناً في دعوته إلى الله وخاصة إذا رأى من قوم عدم استجابة وكان أسلافهم كذلك فلا تذهب نفسه عليهم حسرات، والله أعلم.



س: من المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ٧٦]؟

ج: المراد بهم في هذه الآية الكريمة طائفة من اليهود، والله أعلم.



س: ما هو الذي فتحه الله عليهم؟

ج: فيه ثلاثة أقوال:

(١) العقوبات التي أنزلها الله ﷻ على أسلافهم من المسخ إلى قرده وخنازير والتوبة بقتل بعضهم البعض ونحو ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٧)، ومسلم (حديث ٩١) من حديث ابن عباس ﷺ قال: لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى أهل اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم وترد على فقيرهم، فإذا أفروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس»

(٢) هو معرفتهم صفة محمد ﷺ في التوراة التي بين أيديهم، ومعرفتهم صدق ما جاء به.

(٣) أوجه الإنعام التي أنعم الله بها على بني إسرائيل لما صدقوا موسى واتبعوه، وأوجه العقوبات التي حلت بهم لما خالفوه والله أعلم.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن بعض اليهود كانوا إذا التقوا بالمؤمنين قالوا لهم أمانا بما معكم وصدقنا أن هذا نبي لأن صفته في كتابنا وقد أخذ علينا الميثاق أن نؤمن به، ثم إن هذا النبي يُخبرنا بالذي حكم الله علينا به من التصديق بنبيه إذا بعث، ويخبرنا هذا النبي أيضاً بما عاقب الله به أسلافنا من المسخ وجعل المعتدين منهم قرده وخنازير، ويخبرنا بالذي كان من أسلافنا من أمر عبادتهم للعجل وإلى غير ذلك ثم إذا انصرف هذا الفريق من اليهود إلى إخوانهم اليهود عاتبهم إخوانهم بقولهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]، أي: كيف تحدثون هؤلاء المسلمين بما قضى الله به عليكم - أي: على أجدادكم - من العقوبات وما ألزمكم الله به من الإيمان بنبيهم إذا بعث، فإنكم بحديثكم هذا لهم تجعلونهم يحتجون عليكم به عند ربكم وتجعلونهم أكثر ثباتاً على الإيمان، والله أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦] في قوله تعالى: ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ

بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]؟

ج: قيل إن المراد الآخرة أي: إن المراد عند السؤال يوم القيامة فيكون ذلك من باب التوبيخ وإظهار الفضيحة.

وقيل ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦] أي: في حكم ربكم وقضاء ربكم، كما في قوله

تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَآوَلْتِيكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]، وكما يقال: فلان عندي عالم، والله أعلم.



س: الضمير في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧] يرجع إلى من؟

ج: الضمير يرجع إلى اليهود الذين لاموا إخوانهم لما حدثوا المؤمنين بما حكم الله به عليهم وقضى عليهم به، والله أعلم.



س: ما معنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]؟

ج: الاستفهام معناه هنا التوبيخ والإنكار، والله أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ [البقرة: ٧٨] من من؟ وضح المعنى؟

ج: من اليهود، والمعنى أن من اليهود من هم أهل علم لكنهم يحرفون الكلم عن مواضعه على علم منهم بذلك التحريف وبعقوبته، ومنهم أهل نفاق ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنًا...﴾ [البقرة: ٧٦] ومنهم أميون، والمراد بهم هنا العوام الجهلة.

س: ما الكتاب المراد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٧٨] وما معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾؟

ج: المراد بالكتاب التوراة، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: لا يعلمون عن الكتاب وعن ما فيه من أحكام وفرائض وحدود وحلال وحرام ومع ذلك يدعون أنهم مقرون بالكتاب وهم لا يدرون عما ما فيه، والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بالأمني في قوله تعالى: ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨]؟

ج: لأهل العلم في المراد بالأمانى أقوال منها:

١- أنها جمع أمنية، وهي أمانى كاذبة يتمنونها ويغرون بها أنفسهم ويوهمونها بها كقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾^(١) وقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا الْتَّارُ إِلَّا أُنْكَا مَا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

وقولهم: ﴿مَنْ أَبْتَدَأَ اللَّهُ وَأَحْبَبُوهُ﴾ [المائدة: ١٨].

فعلى ذلك فالأمانى هنا هي الأوهام والأكاذيب التي يوهمون بها أنفسهم.

٢- أن الأمانى هي التخرصات والظنون الباطلة التي يعتقدونها.

٣- أن الأمانى هي القراءات أي: قراءات يقرءونها ولا يفهمون معناها، ومن ورود

الأمنية بمعنى القراءة قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

فتمنى في الآية الكريمة بمعنى (قرأ)، ومن ورود التمني بمعنى القراءة قول

الشاعر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ آخِرَ لَيْلِهِ تَمَنَّى دَاوُدَ الرَّبِّورَ عَلَى رُسُلِ

وقوله:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وَآخِرَهُ لَأَقَى جَمَامَ الْمَقَادِرِ

فعلى ذلك، فمعنى الآية على هذا التأويل: ومنهم أميون لا يعلمون شيئاً عن حقيقة

الكتاب، والمراد به، اللهم إلا قراءات يقرءونها ولا يحفظون معناها ويرددونها كالبيغوات.

ولكن هذا التأويل هنا ضعيف، أعني تأويل الأمانى بالقراءة في هذا الموطن،

(١) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ آمَانِيَهُمْ﴾ [البقرة: ١١١] وقال تعالى:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَحْدِلْهُ مِنْ

دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

وذلك لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وصفهم بأنهم أميون، والأمي لا يقرأ ولا يكتب.
والوجه الأول عندي أصح، وعليه فمعنى الآية، ومن اليهود قوم أميون (لا يقرأون ولا يكتبون) ولكن يظنون بأنفسهم ظنوناً باطلة ويختلقون إفاً وزوراً، والله تعالى أعلم.



س: ما معنى (إن) في قوله تعالى: ﴿وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]؟

ج: (إن) هنا بمعنى (ما النافية) والمراد: وما هم إلا يظنون.
وهذا كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١] أي: ما نحن إلا بشر مثلكم.
وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]، أي: ما الكافرون إلا في غرور.



س: ما معنى (إلا) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨] وما نوع الاستثناء في الآية الكريمة؟

ج: (إلا) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨] معناها لكن، أي: لكن أمني.
أما الاستثناء في هذا الموضع فهو استثناء منقطع^(١)، وهو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كأن تقول حضر القوم إلا الباخرة لم تحضر، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءُ الظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]، فاتباع الظن ليس من جنس

(١) قال الطبري رحمته الله في تفسيره (٤٦٢/٢) ما حاصله: أن الاستثناء المنقطع يكون في كل موضع حسن أن يوضع فيه مكان (إلا) «لكن» فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثاني عن معنى الأول، ألا ترى إنك إذا قلت: ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨]، ثم أردت وضع (لكن) مكان (إلا) وحذف (إلا) وجدت الكلام صحيحاً معناه صحته وفيه (إلا) وذلك إذا قلت: ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن أمني يعني لكنهم يتمنون، وكذلك قوله: ﴿مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءُ الظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧] لكن اتباع الظن بمعنى لكنهم يتبعون الظن، وكذلك جميع هذا النوع من الكلام على ما وصفنا والله أعلم.

والعلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَىٰ ۖ إِلَّا إِتِنَاءُ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [البقرة: ١٩، ٢٠].



س: من المعلوم أن الكتابة لا تكون إلا بالأيدي فما وجه قوله تعالى: ﴿يَكْتُبُونَ أَلْكَتَبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩]؟

ج: وجه ذلك تأكيد كتابتهم للكتاب فقد يأمر الشخص غيره بالكتابة فيكتب ويسمى الأمر كاتبًا، أي أنهم لم يأمروا غيرهم بكتابتهم بل باشروا الكتابة بأنفسهم وزوَّروها بأيديهم فهو بيان لجرمهم وإثبات لتحريفهم وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٣٨] ومن المعلوم أن الطيران يكون بالجنح، وكقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [ال عمران: ١٦٧] والقول لا يكون إلا بالأفواه، والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَكْتُبُونَ أَلْكَتَبَ﴾ [البقرة: ٧٩]؟

ج: المعنى يغيرون ما في الكتاب ويحرفونه ويبدلونه وأيضًا كتبوا كاتبًا بأيديهم وقالوا هذا من عند الله افتراء وكذبًا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث أخبار الله تفرءونه غصًا لم يشب وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قط سألكم عن الذي أنزل إليكم.



س: قال تعالى: ﴿قَوْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ أَلْكَتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩]، هل إذا اشتروا به ثمنًا كثيرًا جاز؟

ج: لا يجوز تحريف الكتاب من أجل الثمن القليل ولا من أجل الثمن الكثير، والمراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَأْتِيهِمْ قِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩] أي: عرضًا من أعراض الدنيا سواء كان قليلاً أو كثيراً، فكل متاع الدنيا قليل كما قال سبحانه: ﴿فَمَا مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨] والله تعالى أعلم.



س: لماذا كرر الويل في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَانَتْ أَيْدِيهِمْ وَيَوْمٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]؟
ج: كرر الويل للتوبيخ والتقريع وتقبيح الجريمة، جريمة التحريف والافتراء، والله أعلم.



MOSTAFAALADWY.COM

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ
عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَخْطَأَتْ بِهِ خَطِيئَتَهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٨﴾

معناها	الكلمة
<p>أي: يعدها العاد، والمراد: أيامًا قليلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَرَّوهُ بِشَمْرِ بَحْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، أي: دراهم قليلة وكما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، أي: قليلة، على رأي لبعض العلماء، والله أعلم.</p>	﴿مَعْدُودَةٌ﴾

س: ما الأيام المعدودة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً﴾

[البقرة: ٨٠]؟

ج: قيل إنها بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، فقيل هي سبعة أيام وقيل أربعون يوماً وقيل غير ذلك، فالله أعلم.



س: ما المراد بالسيئة في قوله تعالى: ﴿بِئْسَ مَا كَسَبَ سَيِّئُهُ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾
﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]؟

ج: السيئة في قول أكثر أهل العلم - في هذا الموطن المراد بها الشرك^(١) والله أعلم.



س: اصطلاح السيئة قد يأتي في الكتاب العزيز ويُراد به الشرك، وقد يأتي أحياناً ويُراد به الكبيرة، وقد يأتي أحياناً أخرى ويُراد به الصغيرة دَلِّلْ على ذلك .

ج: إيضاح ذلك أن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها في الكتاب العزيز، ويفهم

(١) وقد أخرج الطبري (١٢٤١) بإسناد حسن عن أبي وائل أنه قال في تفسير السيئة في هذا الموطن إنها الشرك.

وكذلك روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنها الشرك أيضاً (أثر ٤٢٤١)، وعن غيرهم كذلك أنها الشرك.

قال الطبري (٢/ ٢٨٢): وإنما قلنا إن (السيئة) التي ذكر الله جل ثناؤه أن من كسبها وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار المخلدون فيها في هذا الموضع إنما عني الله بها بعض السيئات دون بعض، وإن كان ظاهرها في التلاوة عاماً لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار، والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها، وأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان، فإن الله جل ثناؤه قد قرن بقوله: ﴿بِئْسَ مَا كَسَبَ سَيِّئُهُ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُورَثُوا الْجَنَّةَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، فكان معلوماً بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات غير الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان.

وقال القاسمي في «محاسن التأويل» (٢/ ٧٧١): تنبيه: ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الخلود في النار إنما هو للكفار المشركين لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار، فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك، ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود، والله أعلم.

معناها من السياق الذي وردت فيه، ومن هذا كلمة السيئة:

❁ فتأتي أحياناً بمعنى الشرك كما في هذه الآية الكريمة: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، وذلك لأنه لا يخلد في النار إلا المشرك ومن على شاكلته من الملاحدة ومناققي نفاق الاعتقاد. ومن هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل: ١٩]

❁ وتأتي السيئة أحياناً بمعنى الكبيرة كما قال تعالى في شأن قوم لوط: ﴿...وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [مؤمن: ٧٨].
وتأتي أحياناً بمعنى الصغيرة كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]. والله تعالى أعلم.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١]؟

ج: قال كثير من أهل العلم: إن معناها (ومات على الكفر).

❁ وبعضهم قال: غلبت سيئاته حسناته فأذهبتها ومحقتها، فالمحيط بالشيء، يكون أعظم من الشيء المُحاط به، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

❁ وبعض العلماء يقول: اجتمعت عليه سيئاته حتى أهلكته كقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦] أي: تهلکوا. والله تعالى أعلم.
❁ ومن العلماء من يقول إن الخطيئة هنا هي الكبيرة، والله تعالى أعلم.



س: هل مرتكب الكبيرة لا بد أن يُعذب وإن تاب منها وكيف يكون حاله إذا لم يتب

منها؟

ج: أما قول القائل: (لا بد أن يُعذب إن تاب أو لم يتب) فخطأ ظاهر.

❁ فإن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[النساء: ٤٨].

❁ وقال النبي ﷺ بعد أن ذكر جملة من الكبائر: «فمن أصاب من ذلك شيئاً فستره

الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه»^(١).

❁ وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

❁ وقال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١].

❁ وقال تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

[الأعراف: ١٥٦] إلى غير ذلك من الأدلة.

فمرتكب الكبيرة لا يُستطاع القطع في حقه بأنه سيعذب سواء تاب منها أم لم يتب

منها، لكنه إن تاب منها فتوبته أرجى لكشف العذاب عنه.

❁ قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا

تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

❁ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ

اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَيَحْلَدُ فِيهِمْ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ ﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

❁ وقال نوح لقومه: ﴿... أَسْتَغْفِرُكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

مِدْرَارًا ﴿١١﴾ [نوح: ١٠، ١١].

(١) أخرج البخاري (حديث ٨١)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك.

✽ وحديث قاتل التسعة والتسعين الذي أتمهم وقتل العابد فأكمل به المائة لما توجه بقلبه إلى الله تعالى تائبًا تلقته ملائكة الرحمة (١) .

✽ وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم...» (٢) .



س: صاحب الكبيرة إن قدر الله عليه العذاب هل يُخلد في النار؟

ج: لا يُخلد في النار، بل يأخذ ما قدره الله ﷻ عليه من العذاب ثم يكون مآله إلى الجنة فقد أخبر النبي ﷺ أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ففي «الصحيحين» من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتته وقد استيقظ فقال: «ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»، قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: «وإن زنى وإن سرق» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر» (٣) .

✽ وفي «الصحيح» (٤) أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا - أو الحياة - شك مالك (أحد رواة الحديث) فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية».

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٤٣)، ومسلم (حديث ٦٦٧٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم رضي الله عنه (حديث ٧٧٥٢)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ فيما روى عن الله ﷻ أنه قال: (... فذكره).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٥)، ومسلم في الإيمان (٣٥١، ٤٥١)، وفي الزكاة (٢٣، ٣٣)، وفي رواية: «أتاني آت من ربي فأخبرني - أو قال: بشرني - أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق».

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٢٢)، ومسلم (حديث ٤٨١)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.



س: اذكر آية كريمة وحديثاً نبوياً شريفاً في معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]؟

ج: أما الآية الكريمة فهي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ فَوَيْقٌ مِّنْهُمُ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَعَرَّهَمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤].

✽ أما الحديث النبوي فقد أخرجه البخاري (١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهليت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود فجمعوا له، فقال: إني سألتكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه» فقالوا: نعم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «من أبوكم؟» قالوا: فلان، فقال: «كذبتم بل أبوكم فلان»، قالوا: صدقت، قال: «فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم: «من أهل النار؟» قالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «احسبوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً» ثم قال: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟» قالوا: نعم. قال: «ما حملكم على ذلك؟» قالوا: إن كنت كاذباً نستريح، وإن كنت نبياً لم يضرك.



س: ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ (الأيام) لا يضاف إلا إلى العشرة فما دونها فيقال مثلاً عشرة أيام، تسعة أيام... ثلاثة أيام ولا يقال إحدى عشر أيام بل يقال أحد عشر يوماً وهذا واضح، ومن ثم بنى بعض الأحناف على هذا رأياً فقهياً حاصله أن أقل مدة

(١) حديث (٩٦١٣).

للحيض ثلاثة أيام وأكثر مدة للحيض عشرة أيام مستدلين بحديث رسول الله ﷺ للمرأة لما حاضت: «دعي الصلاة أيام أقرائك» فهل يسلم لهم هذا الاستدلال؟

ج: لا يسلم لهم هذا الاستدلال، وذلك لأن الأيام أحياناً قد يوصف بها ما فوق العشرة كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴿البقرة: ١٨٣، ١٨٤﴾.

والأيام المعدودات هي شهر رمضان بتمامه، وهو فوق العشرة بلا شك. وأيضا فإن سلم لهم الاستدلال من جانب فهو محمول على الأغلب، بمعنى أن أغلب النساء حيضتهن تتراوح مدتها ما بين الثلاثة أيام إلى العشرة أيام، والقلة منهن اللواتي يزدن في مدة حيضهن عن العشرة أيام، وقليل منهن من تنقص مدة حيضتها عن ثلاث، والحكم يكون للأغلب، والله تعالى أعلم.



س: لماذا قيل في هذه الآية الكريمة: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ وقيل في سورة آل عمران: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ والموصوف شيء واحد وهو الأيام؟

ج: أجاب على ذلك الرازي في «تفسيره» بقوله (١): إن الاسم إذا كان مذكراً فالأصل في صفة جمعه التاء، يقال كوز وكيزان مكسورة، وثياب مقطوعة، وإن كان مؤنثاً كان الأصل في صفة جمعه الألف والتاء يُقال جرة وجرار مكسورات وخاوية وخوابي مكسورات إلا أنه قد يوجد الجمع بالألف والتاء فيما واحده مذكراً في بعض الصور نادراً نحو حمام وحمامات وجمل سبطر وسبترات، وعلى هذا ورد قوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴿البقرة: ٣٠٢﴾، و﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴿الحج: ٨٢﴾ فالله سبحانه تكلم في سورة البقرة بما هو الأصل وهو قوله: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ وفي آل عمران بما هو الفرع. والله تعالى أعلم.



(١) التفسير الكبير (٣/ ٠٣١).

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ
 إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
 وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا
 قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

معناها	الكلمة
هو: من مات أبوه وهو: صغير لم يحتلم. هو: المتذلل المتخشع من الفاقة والحاجة - الذي أسكنه الفقر وأسكنته الحاجة، وهو - أيضا - : العاجز عن الكسب، أو: الذي يكتسب ولكن يكتسب ما لا يكفيه. قولا معروفا لينا حسنا طيبا جميلا، ومن القول الحسن: بذل السلام للناس، وتعليم جاهلهم، وإرشاد ضالهم، والبشاشة في وجوههم، والابتعاد عن الفحش من القول والبذاءة والشتم والسياب.	اليتيم المسكين (حُسْنًا)

س: ما هذا الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَأِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ...﴾ [البقرة: ٣٨]؟

ج: قال كثير من العلماء: هذا ميثاق مأخوذ عليهم في التوراة، والله أعلم.



بعض الوارد في الحث على بر الوالدين

س: اذكر بعض الآيات الواردة في الأمر بالإحسان إلى الوالدين والحث على ذلك وكذلك بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد مع بيان بعض صور الإحسان إليهما؟

ج: أما الآيات الواردة في هذا الباب فكثيرة، وقد قرن الله سبحانه وتعالى الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعبادته التي هي توحيد، والبراءة من الشرك اهتماماً به وتعظيماً له، فمن الآيات في هذا الباب ما يلي:

﴿قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٣٨].

﴿وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]

﴿وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ إِلَّا مَا بَلَغَنِي كَرِيماً﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيماً ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيراً﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

﴿وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتَبِهُتُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

❁ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ... ❁

القمان: ١٣: ١٥.

❁ وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَنْقِبِلْ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥١، ١٦].

❁ وأثنى الله ﷻ على نبيه يحيى ع فقال: ﴿وَيَرَا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٦﴾﴾

[مريم: ١٤].

❁ وقال عيسى ﷺ وهو في المهديتكلم: ﴿وَيَرَا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم: ٣٢].

❁ أما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة منها:

❁ ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «برُّ الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» (١).
❁ وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، فقال: «هل لك من والديك أحد حيٌّ؟» قال: نعم بل كلاهما، قال: «فتبغني الأجر من الله تعالى؟» قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»، واللفظ

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١/٠٠٤)، ومسلم (٥٨)، والنسائي (١/٢٩٢)، والترمذي (٣٧١) وقال: حديث

لمسلم.

وفي رواية للبخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أيضًا قال: جاء رجل فاستأذنه في الجهاد قال: «أحيي والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»^(١) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَغِمَ أَنْفٌ ثَمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ثَمَّ رَغِمَ أَنْفٌ» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»^(٢).

❁ وسئل النبي صلى الله عليه وسلم من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله، قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»^(٣).

❁ وفي الباب حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم صخرة وأغلقت عليهم الغار، فتوسل أحدهم ببره لوالديه ففرج الله صلى الله عليه وسلم عنهم^(٤).

❁ وفي الباب كذلك حديث أويس القرني الذي عدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم خير التابعين لبره بأمه^(٥).

❁ وفي الباب أيضًا استجابة دعوة أم جريح علي ولدها لما قالت: اللهم لا تمته حتى تريحه وجوه المياميس لما أقبل على صلاته ولم يلتفت لأمه^(٦).

ومن صور الإحسان إلى الوالدين برّهما والعطف عليهما والنزول عند رأيهما فيما لا معصية فيه، ودعوتهما إلى الله صلى الله عليه وسلم^(٧)، والحج عنهما إذا لم يكونا قد حجا

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/٤١)، ومسلم (٥/١١٤)، وأبو داود (٩٢٥٢)، والنسائي (٦/١٠١)، والترمذي (١٧٦١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٥/٦١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١/١٠٤)، ومسلم (مع النووي ٥/١١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ١/٤٠٤)، ومسلم (حديث ٣٤٧٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٥) حديث أويس أخرجه مسلم (مع النووي ٥/٣٠٤) وقصته هناك بتفصيل.

(٦) قصة جريح في البخاري (مع الفتح ٦/٦٧٤)، ومسلم (٥/٤١٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وأوله: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...».

(٧) كما كان إبراهيم الخليل يفعل فيقول: ﴿يَتَأْتِي لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (٤٢) يَتَأْتِي إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي

وكذلك الاعتمار، وكذلك الوفاء بندورهما، والصدقة عنهما، والاستغفار لهما بعد موتهما وصلة أهل وُدِّهما، وإلانة القول لهما وخفض الجناح إليهما والتزام الأدب الوارد عن رسول الله ﷺ في التعامل معهما مُسلمين كانا أو كافرين.



س: اذكر بعض صور الإحسان لذي القربى؟

ج: من صور الإحسان لذي القربى معرفة حقهم وقرابتهم ووصل الرحم لهم كما قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ جهاراً غير سرٍ يقول: «إن آل أبي (يعني فلاناً) ليسوا لي بأولياء إنما وليّ الله وصالح المؤمنين»^(١). زاد عبّسة بن عبد الواحد (كما عند البخاري) عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ: «ولكن لهم رحم أبلها ببلها» يعني: أصلها بصلتها.



س: ما هو حد اليتيم؟

ج: حد اليتيم^(٢) هو البلوغ (أي: الاحتلام) عند كثير من العلماء ومنهم من حدّه بالإنبات (إنبات شعرٍ حول العانة) لما حدث يوم بني قريظة من أن الصحابة كانوا ينظرون فمن نبت له شعر حول العانة قُتل وإلا ترك^(٣).

مِنْ أَلْعَلِّو مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَتِ
إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ [مريم: ٤٢-٤٥].

(١) أخرجه البخاري (حديث ٠٩٩٥)، ومسلم (حديث ٥١٢) والزيادة عند البخاري، وهي معلقة كما ترى وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢٢٤/٠١) من وصلها.

(٢) قال ابن عطية **رحمته الله**: واليتيم في بني آدم من فقد الأب، وفي البهائم من فقد الأم.

(٣) صحيح فقد أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨٣، ٠١٣/٤)، وأبو داود في «سننه» (حديث ٤٠٤٤)، والترمذي (٤٨٥١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٥٥١/٦)، وابن ماجه (حديث ١٤٥٢)، والحاكم (٣٢١/٢) وغيرهم من طريق عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال: عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة فكان من أنبت قُتل ومن لم ينبت خلي سبيله فكانت فيمن لم ينبت فخلّي سبيلي.

❁ ومنهم من حدّه بخمس عشرة سنة لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه عرض على رسول الله ﷺ يوم أحد (وهو ابن أربع عشرة سنة) فردّه النبي ﷺ ثم عرض عليه وهو يوم الخندق (وهو ابن خمس عشرة سنة) فأجازه النبي ﷺ ^(١) والأول أصح، والله تعالى أعلم.



س: اذكر حديثاً في فضل كافل اليتيم، وحديثاً في فضل الساعي على الأرملة والمسكين؟

ج: أما الحديث الوارد في فضل كافل اليتيم فقد أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً ^(٢).
❁ أما الحديث الوارد في فضل الساعي على الأرملة والمسكين ففي «الصحيحين» أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار» ^(٣).



س: ما مدى صحة استدلال من استدل بقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] على أننا نبدأ اليهود والنصارى بالسلام؟

ج: هذا استدلال غير جيد؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا تبدءوا اليهود والنصارى

❁ وقد توبع عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي كما عند الحاكم (٣٢١ / ٢)، والحميدي (٩٨٨)، والسياني في الكبرى (٩١٦٨) تابعه مجاهد بن جبر عن عطية القرظي.

❁ وتابعه أيضاً كثير بن السائب قال: حدثني ابنا قريظة أنهم عرضوا على رسول الله ﷺ يوم قريظة فمن كان محتلاً أو نبتت له عانته قتل ومن لم يكن محتلاً أو لم تنبت عانته ترك. وبالجملة فالحديث يثبت بهذه الطرق، والله أعلم.

(١) صحيح أخرجه البخاري (حديث ٧٩٠٤)، ومسلم حديث (٨٦٨١).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٠٣٥)، ومسلم في «الزهد» (حديث ٣٨٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٣٥٣٥)، ومسلم في «الزهد» (٢٨٩٢).

بالسلام...»^(١)، ثم إن القول الحسن لا يستلزم الابتداء بالسلام. والله تعالى أعلم.



س: القول الحسن هل هو مطلوب مع المؤمنين فقط أم مع عموم الناس؟

ج: القول الحسن مطلوب مع عموم الناس ولا يُخرج عنه إلى غيره إلا إذا بدر

ممن تتعامل معه سوء فحينئذ يجوز لك نوع من الانتصار بقدر المظلمة.

أما الأدلة على أن القول الحسن عام فمنها ما يلي:

❁ عموم قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

❁ قول الله ﷻ لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّبِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْتَضِرُ ﴾ [طه: ٤٤].

❁ قول الله ﷻ: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

❁ قول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

❁ قوله تعالى: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩١].

❁ قوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢].

❁ وقال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا كُفْرَهُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ

عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤١ / ٨٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه».

❁ قول النبي ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله».

وفي رواية: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»^(١).

وفي رواية: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٢).

❁ وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله»^(٣).

❁ أما الشدة فتجوز أحياناً إن احتيج إليها كما قال سبحانه:

﴿يَتَأْتِيَهَا النَّجِيُّ جُحُودًا وَالْمُنْفِقِينَ وَأَغْلَطُ عَلَيْهِمْ﴾ **[التحریم: ٩]** فحيث لا

ينفع معهم إلا الغلظة استعملت الغلظة معهم.

❁ وقال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾

[النساء: ١٤٨].

❁ وقال تعالى: ﴿وَحَزَنًا وَسَيِّئَةً سَأَيْتُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الظَّالِمِينَ﴾ **[الشورى: ٤٠]**.

❁ وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ

اللَّهُ﴾ **[الحج: ٦٠]** فحيثما دعت الحاجة إلى اللين لأن الشخص القول وأحسن الوعظ

وهو الأصل وإذا دعت الحاجة إلى الشدة اشتد الشخص ينبغي بذلك وجه الله فالرفق

في موطن يحتاج إلى شدة نوع من الضعف والخور، والشدة في موطن يحتاج إلى لين

طيش وجهل وسفه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي

خيراً كثيراً والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم (٣٩٥٢)، واللفظ له والبخاري (٤٢٠٦)، (٦٢٩٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٤٩٥٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥٢) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً.

س: من القليل المذكورون في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٨٣]؟
 ج: هم الذين قال الله فيهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ آيَلٍ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٥]، أي: أنهم القائمون بأمر الله ﷻ الحافظون لحدوده.
 * وهم أيضًا الذين لم يحرفوا ولم يُبدلوا، وهم الذين آمنوا بالنبى محمد ﷺ لما بُعث.



س: قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]، معرضون عن ماذا؟
 ج: معرضون عن الميثاق الذي أخذ عليكم، وقيل: معرضون عن كتاب الله ﷻ، والله تعالى أعلم.



س: فسر بعض العلماء التولي بأنه الإعراض فما فائدة التكرار في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]؟
 ج: لأهل العلم على ذلك أجوبة، منها:
 * أن ذلك لتأكيد الإعراض والتولي كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

* ومنهم من قال إن التولي يكون بالجسم والإعراض يكون بالقلب والمعنى أن هناك من يتولى وفي نيته الرجوع، ومنهم من يتولى وليس في نيته الرجوع، فهو لاء قد تولوا وليس لهم نية ولا رغبة في الرجوع.

* ومنهم من قال: إن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٣] خطاب لهم والمراد أسلافهم من آبائهم وأجدادهم الذين تولوا، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾

[البقرة: ٨٣] انتقل الخطاب إلى المعاصرين للنبي ﷺ من اليهود، فالمعنى على ذلك ثم تولى آباؤكم، وأنتم كذلك معرضون والله تعالى أعلم.



س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ

مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]؟

ج: أجمل الطبري رحمه الله القول فقال^(١): وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه بعد ما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات ويصلوا الأرحام ويتعطفوا على الأيتام ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها ويؤتوا زكاة أموالهم فخالفوا أمره في ذلك كله وتولوا عنه معرضين إلا من عصمه الله منهم فوفى الله بعهده وميثاقه.



MOSTAFARAH.COM

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا
تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ
تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ
وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ
عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ
تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ
مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
أَشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ
الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ ﴿٨٦﴾

معناها	الكلمة
اعترفتم. تتعاونون، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التكريم: ٤].	﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ ﴿تَظَاهَرُونَ﴾
المعصية والذنب، وهو -أيضًا-: الفعل الذي يستحق فاعله الذم.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾
الظلم والاعتداء وتجاوز الحد. جمع أسير.	﴿أَسْرَى﴾ ﴿تَفَادَوْهُمْ﴾
تدفعون المال عن أسرهم لتخلصوهم من يده وتردوهم إليكم.	﴿خِزْيٌ﴾
ذلة وصغار، ويتمثل ذلك في: فرض الجزية عليهم، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] ويتمثل في: قتل مقاتلتهم كما فعل بني قريظة، وكذلك: سبي نساءهم، وكذلك في: إخراج بني النضير من ديارهم لأول الحشر، كما ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم، ويطلق الخزي -أيضًا- على: الفضيحة والعار، والله أعلم.	

س: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ...﴾ [البقرة: ٨٤]، الآية؟

ج: المخاطبون هم بنو إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ، والمراد بالميثاق، الميثاق المأخوذ على آبائهم، والله تعالى أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] أقررتم بماذا؟

ج: أقررتم أنتم يا معشر اليهود من ساكني مدينة رسول الله ﷺ والمحيطين بها أن هذا الميثاق قد أخذ فعلاً على آبائكم وأسلافكم والتزمتموه أنتم كذلك ولم تنكروه، والله تعالى أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَشَّهَدُونَ﴾ [البقرة: ٨٤]، تشهدون ماذا أو على ماذا؟

ج: قيل: تشهدون بقلوبكم على هذا، وقيل: تشهدون على أننا أخذنا الميثاق على أوائلكم، وقيل: إن قوله تشهدون تأكيد للإقرار، وقيل: تشهدون أي: تحضرون سفك الدماء والإخراج من البيوت، والله تعالى أعلم.



س: هل كان القوم يقتلون أنفسهم ويخرجونها من الديار حتى قيل لهم: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ...﴾ [البقرة: ٨٤]؟

ج: ليس الأمر كذلك، ولكن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة. ﴿كما قال النبي ﷺ في شأن أمته: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»^(١).

﴿وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] أي: لا يلزم بعضكم بعضاً.

﴿وكما قال سبحانه: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، أي: على إخوانكم.

(١) أخرجه البخاري (١١٠٦)، ومسلم (٦٨٥٢) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً.

❁ وكما قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] أي بإخوانهم ونحو ذلك^(١)، هذا قول وهو أقوى الأقوال في هذا الباب، وشم أقوال آخر منها ما ذكره الطبري رحمته حيث قال: وقد يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]، أي: لا يقتل الرجل منكم الرجل منكم فيقاد به قصاصًا فيكون بذلك قاتلاً نفسه؛ لأنه كان الذي سبب لنفسه ما استحقت به القتل، فأضيف بذلك إليه، قتل ولي المقتول إياه قصاصًا بوليّه كما يُقال للرجل يرتكب فعلاً من الأفعال يستحق به العقوبة فيعاقب العقوبة (أنت جنيت هذا على نفسك).

❁ وذكر نحوه القرطبي رحمته فقال: وقيل المراد القصاص، أي: لا يقتل أحد فيقتل قصاصًا فكأنه سفك دمه، وكذلك لا يزني ولا يرتد، فإن ذلك يبيح الدم، ولا يُفسد فينفي فيكون قد أخرج نفسه من دياره، وهذا تأويل فيه بُعد وإن كان المعنى صحيحًا.

❁ ونقل القرطبي قولاً ثالثاً عن ابن خويز مندداً - ونحوه ذكره الرازي في تفسيره - قال: وقد يجوز أن يُراد به الظاهر، لا يقتل الإنسان نفسه ولا يخرج من داره سفهاً كما تقتل الهند أنفسها، أو يقتل الإنسان نفسه من جهدٍ وبلاءٍ يصيبه، أو يهيم في الصحراء ولا يأوي البيوت جهلاً في ديانتته وسفهاً في جلمه فهو عموم في جميع ذلك. والله تعالى أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]؟

ج: المعنى - والله أعلم - ثم أنتم يا هؤلاء المعاصرون لنبينا محمد صلوات من بني إسرائيل تقتلون إخوانكم.. هؤلاء - على هذا - منادى حذف أداة ندائه كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا...﴾ [يوسف: ٩٢] أي: يا يوسف أعرض عن هذا.

(١) أخرج الطبري (٤٦٤١) بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]، قال: أي لا يقتل بعضكم بعضاً، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]، ونفسك يا بن آدم أهل ملتك.

❁ وقال بعض العلماء: إن المعنى... ثم أنتم قوم تقتلون أنفسكم، واعترض بين (ثم) و(أنتم) بكلمة هؤلاء كما يقال: أنا ذا أقوم، وأنا ذا أجلس، والله أعلم.



س: ما الشيء الذي آمنت به بنو إسرائيل وما هو الشيء الذي كفروا به حتى وبخهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكُذِبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]؟

ج: أمرت بنو إسرائيل بأشياء ونهوا عن أشياء:

فنهوا عن قتل بعضهم البعض، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤].

❁ ونهوا عن إخراج إخوانهم من ديارهم كما قال تعالى: ﴿...وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤].

وأمروا بفداء الأسرى منهم، فإذا أسر أحدهم وجب عليهم أن يفادوه فآمنوا ببعض^(١) (وهو فداء الأسارى) وكفروا بالبعض الآخر فكانوا يقتلون إخوانهم ويخرجونهم من ديارهم ويتعاونون مع عدوهم عليهم.

فكان اليهود ثلاث طوائف: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، فكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وكان بنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حروب اقتتلوا كل طائفة من اليهود تقاتل في صف حليفها فيقتل القينقاعي أخاه القرظي والنضيري، والعكس بالعكس فإذا وضعت الحرب أوزارها سعى النضيري في فداء أخيه الأسير القينقاعي والعكس بالعكس، ويقولون: حرام علينا أن نتركهم أسارى بدون فداء، فوبخهم الله ﷻ على سوء صنيعهم، فكما أنه حرام عليكم أن تركوهم بدون فداء فحرام عليكم كذلك أن تقاتلوهم وتخرجوهم من ديارهم بل إن قتالهم وإخراجهم من ديارهم أشد حرمة من تركهم بدون فداء فمن ثم

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٥٧٤١) قال: والله إن فداءهم لإيمان وإن إخراجهم لكفر، فكانوا يخرجونهم من ديارهم، وإذا رأوهم أسارى في أيدي عدوهم افتكؤهم.

قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] وعلى هذا جمهور المفسرين، وقد جاء فيه أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه كلام ^(١) إلا أن سياق الآية الكريمة يقتضي تصحيح ما ذكر، وإن كان قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، يتنزل على أشياء فعلها الإسرائيليون أكثر مما ذكر كيما أنهم ببعض التوراة وكفرهم بصفة محمد صلى الله عليه وسلم التي فيها، والله تعالى أعلم.



س: ما حكم فداء الأسرى في الإسلام؟

ج: قال عدد من أهل العلم: إنه واجب.

قال القرطبي رحمته الله: فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد.

قال ابن خويز منداد: تضمنت الآية وجوب فك الأسرى وبذلك وردت الآثار

(١) أخرج الطبري (١٧٤١) من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مَن يُكْفَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْآيَاتِ وَالْعُدُوكِ﴾ [البقرة: ٨٥] إلى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم وتخرجوهم من ديارهم معهم قال: أنهم الله على ذلك من فعلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج، والنضير وقريظة حلفاء الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان لا يعرفون جنة ولا نارًا ولا بعثًا ولا قيامة ولا كتابًا ولا حرامًا ولا حلالًا، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقًا لما في التوراة وأخذًا به بعضهم من بعض يفندي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، وتفندي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلون* ما أصابوا من الدماء وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرًا لأهل الشرك عليهم، يقول الله تعالى ذكره حين أنبهم بذلك: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، أي: تُفادونه بحكم التوراة وتقتلونه، وفي حكم التوراة ألا يقتل ولا يُخرج من داره ولا يُطاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عَرْضٍ من عَرْضِ الدنيا.

* قلت: وفي الإسناد محمد بن أبي محمد وهو مجهول وفيه محمد بن حميد وهو الرازي ضعيف لكن في الغالب أنه متابع، والله أعلم.

عن النبي ﷺ^(١) أنه فك الأسرى وأمر بفكهم وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع، ويجب فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقيين.

❁ وقال الحافظ ابن حجر رحمتهما (فتح الباري ٦ / ٣٩١): قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور.



س: ما جزاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض كأن يقول الدين يقتصر على العبادات (من صلاة وصيام وركعة وحج) ولا دخل للدين في الحياة من أمور الاقتصاد والحكم والحدود والمعاملات والأخلاق ونحو ذلك؟

ج: جزاؤه كما قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

❁ قال الشيخ أحمد شاكر رحمتهما (عمدة التفسير ١ / ٥٧١): ومما يملأ النفس ألمًا وحرزًا أن صار أكثر الأمم التي تنتسب للإسلام إلى هذا الوصف المكروه ووقعوا في مثل هذا العمل الذي ذمَّ الله اليهود من أجله وجعل جزاء من يفعله خزيًا في الحياة الدنيا وردًا في الآخرة إلى أشد العذاب، فنرى أكثر الأمم المنتسبة للإسلام يعتقدون صحة القرآن ويشهدون بذلك ويعرفونه ويزعمون القيام بأمره ثم هم يخالفونه في

(١) من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري (٦٤٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فكوا العاني - يعني: الأسير - وأطعموا الجائع وعودوا المريض».

وأخرج البخاري (حديث ٧٤٠٣) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر.

(*) أطل دمه: أهدره وأبطله، ومنه قول الأعرابي. في حديث المرأة التي رمت الأخرى بحجر في بطنها فأسقطت الجنين فقضى النبي ﷺ بغرة عبد أو أمة - كيف أودي من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يُطل.

التشريع في شؤونهم المالية والجنايئة والخلقية ولا يستحون أن يعلنوا أن تشريعه وتشريع رسول الله ﷺ في سنته لا يوافق هذا العصر، ويجعلون من حقهم أن يشرعوا ما شاءوا، وافق الكتاب والسنة أم خالفه، ويصطنعون قوانين أوربا الوثنية الملحدة ويشربونها في قلوبهم يزعمونها أهدى وأنفع للناس مما أنزل إليهم من ربهم ولا يتعظون بما أنذرهم به من المثل بالأمم قبلهم.



س: قال سبحانه وتعالى في الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، وقال سبحانه في شأن قوم فرعون: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [عنقر: ٤٦]، وقال تعالى في شأن أصحاب المائدة: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم فَأِنِّي أَعَذِّبُهُ بِعَذَابٍ لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]، وقال النبي ﷺ في المصورين: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون». فكيف تجمع بين هذا كله؟
ج: إن كل المذكورين يكونون في أشد العذاب، والله تعالى أعلم^(١).



(١) وثمَّ إجابة أوسع ستأتي في بابها إن شاء الله.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ
 بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۗ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
 الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا
 جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ
 أَسْتَكْبَرْتُمْ ۖ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ ۖ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

معناها	الكلمة
أردفنا - أتبعنا.	﴿وَقَفَّيْنَا﴾
قويناه (١) - أعنَّاه.	﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾
جبريل عليه السلام.	﴿رُوحِ الْقُدُسِ﴾
تُحِب.	﴿تَهْوَىٰ﴾



(١) أخرج ابن أبي حاتم (أثر ٨٨٨) بإسناده إلى ابن عباس قال: أيدناه قويناه.

س: ما الكتاب الذي آتاه الله ﷻ موسى ﷺ؟

ج: هذا الكتاب هو التوراة.



س: من الرسل المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾

[البقرة: ٨٧]؟

ج: هم الأنبياء الذين جاءوا إلى بني إسرائيل بعد موسى ﷺ على منهاجه وشريعته يبحثون الناس على التوراة والعمل بما فيها إلى أن جاء عيسى ﷺ، فعلى ذلك هم الذين أرسلوا في الفترة ما بين موسى إلى عيسى ﷺ^(١)، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: ٤٤]، والله أعلم.



س: ما البيئات التي آتاها الله ﷻ نبيه عيسى ابن مريم ﷺ؟

ج: هذه البيئات تتمثل في الآيات التي أيد الله ﷻ بها عيسى ابن مريم غ وأجراها على يديه، ومنها إحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، وإخباره قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بما علمه الله، والمائدة التي أنزلها الله ﷻ عليه، وخلقته من الطين كهيئة الطير بإذن الله والنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، والإنجيل الذي آتاه الله ﷻ إياه إلى غير ذلك، والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بروح القدس وما معنى هذا الاسم؟

ج: لأهل العلم في روح القدس أقوال:

(١) ويؤيده قول النبي ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياءهم كلما مات نبي خلفه آخر...» الحديث.

❁ أصحابها وأشهرها أن المراد بروح القدس جبريل ^(١) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويؤيده قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]

❁ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ... ﴾ [النحل: ١٠٢].
❁ وقول النبي ﷺ لحسان بن ثابت وهو يهجو المشركين: «اهجهم وجبريل معك» ^(٢)، وفي رواية: «اللهم أيده بروح القدس» ^(٣).
❁ من العلماء من قال: إن روح القدس هو الإنجيل، واستدل بقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] فسمى الله ﷻ كتابه روحًا، وكذلك الإنجيل فليكن.

وهذا القول ضعيف، وذلك لأن الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠] فذكر الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآية الكريمة الإنجيل بعد أن ذكر روح القدس فدل على أنه غيره.

❁ ومن العلماء من قال: إن روح القدس هو اسم الله الأعظم الذي كان عيسى ﷺ يذكره عند إحيائه الموتى وإبرائه الأكمه والأبرص ولا دليل على هذا القول، والله تعالى أعلم.

أما القدس فقال بعض العلماء: إنه القدوس، وهو اسم من أسماء الله تعالى.
❁ قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وإنما سمي الله تعالى جبريل (روحًا) وأضافه إلى القدس؛ لأنه كان بتكوين الله له روحًا من عنده من غير ولادة والد ولده فسماه بذلك «روحًا»

(١) وأخرج ابن أبي حاتم (٠٩٨) عن ابن مسعود أنه قال: روح القدس هو جبريل غ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢١٤)، ومسلم (٦٨٤٢) من حديث البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٣)، ومسلم (٥٨٤٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

وأضافه إلى (القدس) والقدس هو الطهر كما سمي عيسى ابن مريم روحًا، من أجل تكوينه له روحًا من عنده من غير ولادة والد ولده، وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن معنى (التقديس) التطهير، و(القدس) الطهر من ذلك، وقد اختلف أهل التأويل في معناه في هذا الموضوع نحو اختلافهم في الموضوع الذي ذكرناه،... ثم نقل عن العلماء قولهم الذي يدور على تفسير القدس بالبركة، وتفسيره بأن المراد فيه الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

✽ هذا وقد قال بعض أهل العلم إن معنى روح القدس أي: الروح المقدسة أي: المطهرة كما تقول رجل صدق والله تعالى أعلم.



س: ما نوع الإضافة في قوله تعالى **﴿بُرُوجَ الْقُدُسِ﴾** [البقرة: ٧٨]؟

ج: **الإضافة**: إضافة تشریف، كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في شأن الناقة: **﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾** [الشمس: ١٢] فكل النوق لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولكن قوله: **﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾** في شأن ناقة صالح **ﷺ** للتشريف وكذلك قوله تعالى: **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾** [الجن: ١٨]، مع أن الأرض ومن عليها كلها لله ^(١)، ولكن قيل: **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾** [الجن: ١٨]، للتشريف وكما قال تعالى في شأن عيسى **ﷺ**: **﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾** [النساء: ١٧١] ^(٢)، والله تعالى أعلم.



س: لماذا أطلق على جبريل روح؟ ولماذا أطلق على عيسى **ﷺ** روح؟

ج: قال بعض أهل العلم: لأنه ينزل بالوحي الذي هو بمنزلة الروح للأبدان. وقيل: لأنه خلق من غير ولادة، أما عيسى غ فكذلك سمي روحًا؛ لأنه يحيي

(١) كما قال تعالى: **﴿إِنَّكَ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [الأعراف: ١٢٨].

(٢) فالبشر كلهم تنفخ فيهم الروح كما في حديث ابن مسعود **رضي الله عنه** عن النبي **ﷺ**: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة.. ثم يأتي الملك فينفخ فيه الروح..» الحديث والله تعالى أعلم.

الموتى بإذن الله وقيل: لأنه ولد من غير أب، كما قال تعالى في شأن مريم **عَلَيْهَا**:
﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: ١٢].



س: جبريل نزل على الأنبياء **عَلَيْهِمُ** بالوحي فلماذا اختص عيسى **عَلَيْهِ** بقوله تعالى:
﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]؟

ج: قال بعض أهل العلم: لأنه نفخ في أمه كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١].

وقيل: إن عيسى تكلم بالوحي في صغره حيث قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، وقيل: لأن الله أيده به لما رفعه الله إليه، ولا أعلم مستنداً صحيحاً لذلك والله تعالى أعلم.



س: الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَقْلَمُوا مَا كُنتُمْ رَسُولًا لِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ...﴾ [البقرة: ٨٧] لمن؟

ج: الخطاب في الآية الكريمة لليهود من بني إسرائيل.



س: لماذا قيل في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْنَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] بصيغة المضارع في: ﴿تَقْنَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] ولم يقل وفريقاً قتلتم؟

ج: لأن قوله تعالى: ﴿وَفَرِيقًا تَقْنَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] يفيد استمرارهم في قتل النبيين ومن ذلك وضعهم السم في الشاة وتقديمها إلى رسول الله **ﷺ** (١) وقد قال النبي

(١) أخرج البخاري (٧٧٧٥) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ** قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله **ﷺ** شاة فيها سم، فقال رسول الله **ﷺ**: «أجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود»، فجمعوا له فقال لهم رسول الله **ﷺ**: «إني سألتكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله **ﷺ**: «من أبوكم؟» قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله **ﷺ**: «كذبتم بل أبوكم فلان» فقالوا: صدقت وبررت، فقال: «هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم رسول الله **ﷺ**:

ﷺ: «ما زلت أجد ألم السم الذي وضع في الشاة فهذا أوان انقطاع أبهري». والله أعلم.
س: كانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء والصالحين أسوأ معاملة وأبشع معاملة دَلِّل على ما تقول ووضح سبب هذه المعاملة السيئة؟

ج: أما سبب هذه المعاملة السيئة فهو أن الأنبياء ﷺ وأتباعهم كانوا يأتون بني إسرائيل بوحي الله ﷻ ويبلغونهم رسالاته التي تخالف أهواءهم وأمزجتهم الشريرة الفاسدة فلا يرضون من الأنبياء بذلك فيقتلون فريقاً ويكذبون الآخر كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا حَاءَ كُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

[البقرة: ٨٧]

✽ وسبب هذه المعاملات السيئة أيضاً الاعتقادات الفاسدة التي اعتقدوها كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٢٤) ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وعزهم في دينهم ما كانوا يفترون ✽ [آل عمران: ٢٢، ٢٤] فالاعتقاد الفاسد أدى إلى فساد العمل، فكانوا يعرضون عن كتاب الله وينقضون المواثيق كما ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم والله تعالى أعلم.



س: قال تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، اذكر بعض من كذبوه وبعض من قتلوه؟

= «من أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله: «اخشسوا فيها، والله لا يخلفكم فيها أبداً» ثم قال لهم: «هل أنتم صادقون عن شيء إن سألتكم عنه؟» قالوا: نعم، فقال: «هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟» فقالوا: نعم، فقال: «ما حملكم على ذلك؟» فقالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك وإن كنت نبياً لم يضرك.

وأخرج البخاري معلقاً حديث (٨٢٤٤) وفيه: قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت يوم خيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم»، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٧/٧٣٧) من وصله، ولم يسعني الوقت للبحث فيه (أي: في هذا المعلق).

ج: ممن قتلوه - كما قال جمهور العلماء - زكريا ويحيى عليهما السلام، وممن كذبوه عيسى ومحمد عليهما السلام، والله تعالى أعلم.

س: ما وجه قول بني إسرائيل ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]؟

ج: يعتذرون بقولهم قلوبنا غلف عن الإيمان بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم وبما يدعوهم إليه، فيقولون: قلوبنا غلف، أي: عليها أغلفة فلا تستطيع أن تفهم الذي تدعوها إليه ولا ما تريده منها، والله أعلم.



MOSTAFAALADWIY.COM

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ
 فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ
 اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ
 عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا
 بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ
 أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا
 بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا
 أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ
 مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن
 قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

معناها

الكلمة

MOSTAFAALADWY.COM

جمع أغلف؛ وهو: الذي في غلاف وغطاء كما يقال للرجل الذي لم يختن: أغلف، وقولهم: قلوبنا غُلف؛ أي: في أكنة وغطاء، وهو: نحو قول الكافرين: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥] وقيل: معنى غُلف: لا نفقه. وبعضهم يقول: غُلف جمع غلاف كحُجُب جمع حجاب؛ أي: قلوبنا أوعية للعلم والذكر، أي: مملوءة علماً لا تحتاج لمحمد ﷺ. اللعن هو: الطرد والإبعاد، ولعنهم: طردهم وأبعدهم.

يستنصرون أي: يطلبون النصر. خزي الله، وإبعاده الجاحدين على ما قد عرفوا من الحق، وطرده لهم.

بئس أصلها من: البؤس، ثم استعملت للذم والتوبيخ. باعوا به أنفسهم، قال الطبري رحمه الله: شريت بمعنى: بعت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، واشتريت بمعنى (ابتعت) ولكن قد تستعمل اشتريت بمعنى بعت، وشريت بمعنى ابتعت أحياناً، والأصل ما قدمنا. حسداً.

رجعوا - استحقوا الغضب من الله. المهين المذل لصاحبه.

بما بعده^(١)، وقيل: بما سواه، ودليله قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ابْتغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧] وقوله تعالى: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٢٤].

(عُلْفٌ)

(الْعُنْمُ)

(يَسْتَنْصِرُونَ)

(فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَىٰ)

(الْكَافِرِينَ)

(بِئْسَمَا)

(أَشْتَرُوا بِهِ)

(أَنْفُسَهُمْ)

(بَعِيًّا)

(فَبَاءُوا)

(مُهَيْتٌ)

(بِمَا وَرَاءَهُ)

(١) أخرجه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٦٥٥١).

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]؟

ج: لأهل العلم في تأويلها قولان مشهوران:

❁ أحدهما: أن المؤمنين من أهل الكتاب برسول الله ﷺ قلة ^(١).

❁ الثاني: أن القدر الذي آمنوا به قليل والذي كذبوا به كثير، وهذا الوجه اختاره الطبري رحمته، وقال: ولعل قائلًا أن يقول هل كان للذين أخبر الله عنهم أنهم قليلًا ما يؤمنون من الإيمان قليل أو كثير فيقال فيهم: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]؟ قيل: إن معنى (الإيمان) هو التصديق، وقد كانت اليهود التي أخبر الله عنها هذا الخبر تصدق بوحدانية الله، وبالبعث والثواب والعقاب وتكفر بمحمد ﷺ ونبوته، وكل ذلك كان فرضًا عليهم الإيمان به، لأنه في كتبهم ومما جاءهم به موسى، فصدقوا ببعض وذلك هو القليل من إيمانهم - وكذبوا ببعض فذلك هو الكثير الذي أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به.

وقد قال بعضهم: إنهم كانوا غير مؤمنين بشيء ^(٢)، وإنما قيل: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] وهم بالجميع كافرون، كما تقول العرب: (قلما رأيت مثل هذا قط) وقد روي عنها سماعًا منها (مررت ببلاد قلما تنبت إلا الكراث والبصل) يعني: ما تنبت غير الكراث والبصل، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يُنطق به بوصف الشيء بـ (القلة) والمعنى فيه نفي جميعه، والله أعلم.



(١) وهذا واضح فمن تتبع عدد المؤمنين من أهل الكتاب برسول الله ﷺ يجدهم قلة قليلة بينما من آمن من أهل الشرك عددهم كبير، والله تعالى أعلم.

وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٤١٥١) قال قوله: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب، إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير.

(٢) قلت: وهذا الوجه عندي ضعيف، فقد قال الله ﷻ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] فأثبت الله ﷻ لهم الإيمان ببعض، وكان منه كما تقدم فداء أسراهم من أيدي عدوهم، والله تعالى أعلم.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَفَلَوْبِنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨]؟

ج: المعنى - والله أعلم - هو ما ذكره الطبري حيث قال: وقالت اليهود: قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه يا محمد، فقال الله تعالى ذكره: ما ذلك كما زعموا ولكن الله أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها، وأخزاهم بجحودهم له ولرسله قليلاً ما يؤمنون. والله أعلم.



س: ما الكتاب المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٨٩]؟ وما الذي معهم؟

ج: أما الكتاب المذكور فهو القرآن الكريم^(١)، والذي معهم هو التوراة، والله تعالى أعلم.



س: قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ٨٩]، من الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا؟ ومن المراد بالذين كفروا هنا، وما معنى هذا الاستفتاح؟

ج: الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا هم اليهود. والمراد بالذين كفروا في الآية الكريمة: مشركو العرب وهذا الاستفتاح حاصله أن اليهود كانوا يستنصرون بالنبي ﷺ قبل مبعثه ويقولون للذين كفروا سيخرج نبي صفته كذا وكذا نتبعه ونقتلكم^(٢)، والله تعالى أعلم.

(١) أخرج الطبري (٧١٥١) بإسناد حسن عن قتادة «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم» وهو القرآن الذي أنزل على محمد مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل.

(٢) أخرج الطبري (٥٢٥١) بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ٨٩] كانت اليهود تستفتح بمحمد ﷺ على كفار العرب من قبل، وقالوا: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده في التوراة يُعذبهم ويقتلهم! فلما بعث الله محمداً ﷺ فرأوا أنه بعث من غيرهم كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة: ٨٩].

س: ما جواب قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كَذَبٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ...﴾

[البقرة: ٨٩]؟

ج: بعض العلماء يقولون: حذف الجواب لدلالة السياق عليه، وهذا وارد في كتاب الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهِ الْمَوْتَى...﴾ [الرعد: ٣١] أي: لسيرت بهذا القرآن وحذف الجواب لدلالة السياق عليه.

❁ ومن أهل العلم من يقول: إن جواب قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كَذَبٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩]، هو قوله تعالى: ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، والله تعالى أعلم.



س: اذكر بعض ما يكون به الاستفتاح (١) في أمة محمد ﷺ؟

ج: يكون الاستفتاح بدعاء الصالحين، وكذلك بالضعفاء، أما الضعفاء فلقول النبي ﷺ لسعد: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». أما الصالحون فلما أخرجه البخاري (٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فتام (٣) من الناس فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فتام من الناس فيقال فيكم من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فتام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم»، والله تعالى أعلم.

المراد بالاستفتاح هنا: الاستنصار أي: طلب النصر.

(١) المراد بالاستفتاح هنا: الاستنصار أي: طلب النصر.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٩٤٦٣)، ومسلم (٢٣٥٢)، وأحمد (٧/٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرئياً.

(٣) الفتام: الجماعة.



س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَسْمَأَ اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: ٩٠]؟

ج: قال الطبري رحمته الله: معنى الآية بس الشيء باعوا به أنفسهم الكفر بالذي أنزل الله في كتابه على موسى - من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والأمر بتصديقه واتباعه - من أجل أن أنزل الله من فضله - وفضله حكمته وآياته ونبوته - على من يشاء من عباده - يعني به على محمد صلى الله عليه وسلم - بغياً وحسداً لمحمد صلى الله عليه وسلم من أجل أنه كان من ولد إسماعيل ولم يكن من بني إسرائيل، والله أعلم.



س: اذكر آية في معنى الآية الكريمة: ﴿يَسْمَأَ اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: ٩٠]، تدل على حسد اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم؟

ج: هذه الآية ضمن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤَلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿النساء: ٥١ : ٥٥﴾ والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بالفضل في قوله تعالى: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾؟

ج: فضل الله هنا المراد به - والله أعلم - القرآن، والحكمة والرسالة، والله تعالى أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِعَصْبِ آلِ عَصْبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، ما سبب الغضب الأول عليهم وما سبب الغضب الثاني؟

ج: أما الغضب الثاني فبسببه كفرهم بمحمد ﷺ بعد أن عرفوا صفته وتيقنوا من لغته وأنه النبي المبعوث ﷺ.

✽ أما الغضب الأول فبسببه كفرهم بعتسى ﷺ قبل النبي محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويدخل في أسباب الغضب الأول عليهم أيضًا عبادتهم العجل، وتضييعهم التوراة، وقولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة، وقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء... إلى غير ذلك من أنواع الكفر التي ارتكبوها، والله تعالى أعلم^(١).



س: ما المراد بالكافرين في قوله تعالى: ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ مُّهِيتٌ﴾ [البقرة: ٩٠]؟

ج: الكافرون في الآية الكريمة: هم الجاحدون لنبوة محمد ﷺ والقرآن الذي نزل عليه، والله أعلم.



س: هل كان بنو إسرائيل صادقين فعلاً في قولهم: ﴿مُؤْمِنٌ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١]؟

ج: لم يكونوا صادقين في ذلك، فإن الله ﷻ أخذ عليهم فيما أنزل عليهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ

(١) أخرج الطبري (٧٤٥١، ٨٤٥١، ٩٤٥١) من طريق سفيان الثوري عن أبي بكير عن عكرمة قال: (فباءوا بغضب على غضب) قال كفر بعتسى، وكفر بمحمد ﷺ.

✽ وأخرج بإسناد حسن عن قتادة (١٥٥١) قوله: ﴿فَبَاءُوا بِعَصْبِ آلِ عَصْبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ.

عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

❁ ومما يدل على كذبهم في قولهم: ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١] أيضًا قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١] فلم ينزل عليهم في كتبهم أن يقتلوا أنبياء الله ﷺ.

❁ ومما يدل على كذبهم كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١] والله تعالى أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]، مؤمنين بماذا؟

ج: مؤمنين بما أنزل على موسى ﷺ في التوراة أي: إن كنتم حقًا مؤمنين بالتوراة فلم تقتلوا أنبياء الله من قبل وليس في التوراة الأمر بقتلهم، والله تعالى أعلم.



س: لماذا عذب بنو إسرائيل الموجودون على عهد رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]، وهم لم يباشروا قتل نبي؟ ولماذا عذب بقوله تعالى: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٩١] ولم يقتل قتلتم؟

ج: لأنهم أقرروا قتل الأنبياء وتولوا من قتلهم ولم يستنكروا أفعالهم قال الله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١].

❁ وقد قال تعالى عن قوم ثمود: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوْهَا﴾ [الشمس: ١٤] مع أن الذي عقرها شخص واحد منهم.

❁ وأيضاً لأن هؤلاء الموجودين على عهد رسول الله ﷺ حاولوا قتل رسول الله ﷺ كما قدمناه، والله أعلم.

❁ أما لماذا عبر بـ ﴿تَقْتُلُوْنَ﴾ [البقرة: ٩١] ولم يُعبر بـ (قتلتم) فلما ذُكر من قبل أنهم حاولوا قتل رسول الله ﷺ، وقال بعض أهل العلم: إنه يجوز سوق الماضي بمعنى المستقبل والمستقبل بمعنى الماضي، قال الحطيئة:
شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق العذر



MOSTAFAALADWI.COM

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ
بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ
قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾
قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ وَلَنْ
يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
﴿١٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ
بِمُرَحَّزٍ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

معناها	الكلمة
الآيات الواضحات الجليات.	(بِالْبَيِّنَاتِ) ﴿
سمعنا قولك وعصينا أمرك.	(سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) ﴿
دخل حب العجل قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها.	(وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ) ﴿
خاصة.	(خَالِصَةً) ﴿
بمبعده - بمنحيه.	(بِمُزْجِرِهِ) ﴿
قال بعض أهل العلم: إن أصل البصير المبصر، يعني: ذو إِبصار، قال ابن القيم:	(بَصِيرًا) ﴿
وهو البصير يرى ديب النملة السوداء تحت الصخر والصوان ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عُروق بياضها بعيان ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذلك تقلب الأجنان	
* وبعض العلماء يستعمل البصير أحياناً بمعنى العالم، فيقول: بصير بالطب، وبصير بالفقه، وبصير بملاقة الرجال، وأورد القرطبي قول الشاعر:	
فإن يسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طبيب	
* وقال الطبري: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦] والله ذو إِبصار بما يعملون لا يخفى عليه شيء من أعمالهم بل هو: بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها وأصل بصير مبصر. والله أعلم.	

MOSTAFAALADWY.COM

س: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ [البقرة: ٩٢] عدة تساؤلات هي:

❁ بينات على ماذا؟

❁ ما هي هذه البينات؟

❁ لماذا أطلق عليها بينات؟

ج: هي بينات على صدقه وصحة نبوته.

❁ وهي التي ذكرها الله في كتابه حيث قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾

[الإسراء: ١٠١].

❁ وهي العصا التي ألقاها فإذا هي ثعبان مبین وضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً وضرب بها الحجر لما طار بثوبه وإن بالحجر لندباً.

❁ ويده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء للناظرين من غير سوء.

❁ والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، تلك الآيات المفصلات

التي أرسلها الله على قوم فرعون كي يؤمنوا بموسى ﷺ ويرجعوا عن كفرهم.

❁ وكذلك: أخذ الله ﷻ آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون

وهذا تأييد لموسى ﷻ كذلك.

❁ وتظليل الغمام على بني إسرائيل، وإنزال المن والسلوى عليهم وفوق ذلك

كله الألواح وما كُتب فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، والله تعالى أعلم.

❁ أما لماذا أطلق عليها بينات، لأنها واضحات ظاهرات جليات، والله أعلم.



س: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢]

مقدر محذوف فما هو؟

ج: هذا المقدر المحذوف هو (إلهًا) أي: ثم اتخذتم العجل إلهًا.

وأيضاً عقب قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢] أي: ظالمون

لأنفسكم، على قول، والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ [البقرة: ٩٢] من بعد من؟

ج: من بعد موسى ﷻ، وذلك أنهم عبدوا العجل بعد أن فارقهم موسى ﷻ

ماضيًا إلى ميقات ربه ﷻ.

❁ ومن العلماء من يقول: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ [البقرة: ٩٢] أي: من بعد مجيء موسى غ إليكم بالبينات. والأول أظهر، والله أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢] ظالمون لمن، وظالمون في ماذا؟

ج: ظالمون لأنفسهم لكونهم أشركوا بالله ﷻ ما لم يُنزل به سلطانًا وعبدوا العجل واتخذوه إلهًا وهذا أفحش الظلم وأعظمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [القصص: ١٣].



س: ما المراد بالسمع في قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾ [البقرة: ٩٣]؟

ج: هو السمع المضمن معنى الإجابة فالمعنى اسمعوا وأطيعوا، وهذا قول الجمهور.

ومن العلماء من قال: إنه أمر بمجرد السمع لأنه قد تقدمه قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٩٣].

❁ وقال الشنقيطي رحمته (١): قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾ [البقرة: ٩٣] قال بعض العلماء: هو من السمع بمعنى الإجابة ومنه قولهم سمعًا وطاعة أي إجابة وطاعة، ومنه سمع الله لمن حمده في الصلاة، أي أجاب دعاء من حمده (٢)، ويشهد لهذا المعنى قوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١] وهذا قول الجمهور، وقيل: إن المراد بقوله: ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ [البقرة: ٩٣] أي: بأذانكم ولا تمتنعوا من أصل الاستماع.

(١) أضواء البيان (١/١٨).

(٢) هذا على قول من الأقوال.

ويدل لهذا الوجه أن بعض الكفار ربما امتنع من أصل الاستماع خوف أن يسمع كلام الأنبياء كما في قوله تعالى عن نوح مع قومه: ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].

وقوله عن قوم نبينا محمد ﷺ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، وقوله: ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفٌ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الحج: ٧٢]، وقوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣] لأن السمع الذي لا ينافي العصيان هو السمع بالأذان دون السمع بمعنى الإجابة، والله تعالى أعلم.



س: ما نوع الباء في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرُوا فِي قُلُوبِهِمْ لَوْجَل بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]؟

ج: الباء هنا سببية، والمعنى أنهم بسبب كفرهم سُفُوا حب العجل كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥].



س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [البقرة: ٩٣]؟

ج: المعنى - والله أعلم - بس الشيء الذي يأمركم به إيمانكم إن كنتم مصدقين إذا كان هذا التصديق يأمركم بعبادة العجل واتخاذها إلهًا، ويأمركم بالعصيان وقول: سمعنا وعصينا، وقتل النبيين بغير حق وتكذيب الأنبياء، ونقض العهود والمواثيق فبس هذه الأفعال والأوامر التي تصدر عن هذا الإيمان المزعوم، والله تعالى أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾

[البقرة: ٩٣]؟

ج: المعنى - والله أعلم - أنهم أشربوا حب العجل حتى خلص إلى قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها^(١)، فحذف المضاف وهو (حبُّ) وأقيم المضاف إليه وهو (العجل) مقامه، وهذا وارد في كتاب الله ﷻ في مواطن منها:

﴿قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ﴾ [البقرة: ١٩٧] أي: وقت الحج أشهر معلومات.

﴿قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَجْعَلُكُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: ١٩] أي: صاحب سقاية الحاج.

﴿قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَسَأَلَ الْقُرَيْبَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أصحاب القرية.

﴿قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا لَادَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٥٧]

أي: ضعف عذاب الحياة.

﴿قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿هَلِدِمَّتْ صَوَامِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ﴾ [الحج: ٤٠] أي:

بيوت صلوات^(٢).

﴿قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾ [سبا: ٣٢] أي: مكرهم في الليل

والنهار.

﴿قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧] أي: فليدع أهل نادية.

﴿وقول الشاعر:

وشر المنايا ميت بين أهله

(١) كما قال الشاعر، وقد عتب على زوجته (عثمة) في بعض الشؤون وطلقها وازداد بها ولها:

تغلغل حب عثمة في فؤادي	فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب	ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكاد إذا ذكرت العهد منها	أطير لئو أن إنساناً يطير

(٢) على ما ذكره بعض أهل العلم.

أي: شر المنايا منية ميت بين أهله.

على ما ذكره بعض أهل العلم، والله تعالى أعلم.

﴿ هَذَا وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ سَلَكَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٣] مسلِّكًا آخَرَ فَقَالَ: «إِنْ مُوسَى أَبْرَدَ الْعَجَلَ بِالْمَبْرَدِ ثُمَّ ذَرَاهُ» (أي: طرَّحَهُ فِي الْيَمِّ عَلَى هَيْئَةِ التَّنْزِيهِ) وَأَمْرَهُمْ بِالشَّرْبِ مِنْهُ فَمَنْ بَقِيَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ حَبِّ الْعَجَلَ ظَهَرَتْ سَحَابَةُ الذَّهَبِ عَلَى شَارِبِهِ.

وهذا القول يحتاج إلى دليل، والذي في كتاب الله ﷻ أن الله قال: ﴿...وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِفَنَّهُ، ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه: ٩٧] أما كونهم شربوا من اليم بعد تذرية العجل فيه فليس هناك دليل على ذلك، بل ويرده قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٣]، والله تعالى أعلم.



س: صَوَّرَ اللهُ ﷻ الخُلُقَ الَّذِي تَخَلَّقَ بِهِ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ أَجْلَى تَصْوِيرٍ وَأَوْضَحَهُ أَوْضَحَ بَيَانٍ حَيْثُ ذَكَرَ مَقَالَتَهُمُ الشَّنِيْعَةَ: ﴿ سَمِعْنَا وَحَصَّيْنَا ﴾ (١) [البقرة: ٩٣] يَقُولُونَهَا لِرَبِّهِمْ ﷻ وَلِنَبِيِّهِمْ ﷺ، هَلْ مِنْ آيَةٍ فِي نَفْسِ الْمَعْنَى وَكَذَلِكَ حَدِيثٌ؟

ج: أَمَّا الْآيَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦].

وقد تقدم من السنة أنهم لما قيل لهم: ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ [البقرة: ٥٨] دخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حبة في شعرة؛ عنادًا واستكبارًا والعياذ بالله.



(١) ومعنى قولهم: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ سمعنا قولك وعصينا أمرك، والله أعلم.

س: لماذا عُبِّرَ بالشرب دون الأكل في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ
الْعَجَلَ﴾ [البقرة: ٩٣]؟

ج: قال صديق حسن خان رَحِمَهُ اللهُ (فتح البيان ١/ ٥٢٢): وإنما عبر عن حب العجل
بالشرب دون الأكل، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها،
والطعام يتجاوزها ولا يتغلغل فيها قال أبو السعود: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣] بيان
لمكان الإشراب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]،
والله أعلم.



س: هل كان اليهود يدعون أن الدار الآخرة لهم؟

ج: نعم كانوا يدعون ذلك، قال الله تَبَّحَاهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا
مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة: ١١١].
وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ﴾
[المائدة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيُّامًا مَعْدُودَةً﴾ (١) [البقرة: ٨٠].



س: ما المراد بالدار الآخرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ
خَالِصَةً...﴾ [البقرة: ٩٤] ومعنى خالصة؟

ج: المراد بالدار الآخرة في هذه الآية (الجنة) ومعنى خالصة أي: خاصة،
فالمعنى إن كنتم تزعمون أن الجنة لكم ولن يشرككم فيها أحد فتمنوا الموت إن كنتم

(١) أخرج الطبري (٢٧٥١) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ
النَّاسِ﴾ [البقرة: ٩٤] وذلك أنهم قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة: ١١١]،
وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ﴾ [المائدة: ١٨] ف قيل لهم: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
[البقرة: ٩٤].

صادقين، والله تعالى أعلم.



س: لماذا أضيفت الأعمال إلى اليد في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] دون سائر الجوارح؟

ج: لأن أكثر الجنایات التي يرتكبها الإنسان تكون بيده فأضيفت سائر أعمال الجوارح إلى اليد تغليباً، والله تعالى أعلم.



س: لماذا امتنع اليهود عن تمني الموت؟

ج: امتنعوا لما قدمته أيديهم واقترفوه من ذنوب وكبائر وجرائم عظام من تكذيب رسل الله وجحد آياته وكتمان الحق والبغي والحسد فكيف يواجهون ربهم ﷻ في الآخرة، وقد حملوا هذه الأوزار وخاصة وأنهم يؤمنون بالبعث والجنة والنار والحساب، والله أعلم.



س: ما وجه محاجة اليهود بقوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]؟

ج: في هذه الآية حجة عظيمة للمسلمين على اليهود تدفع باطلهم وتُرْهِقُهُ ووجه هذه المحاجة أن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من البقاء في هذه الحياة الدنيا لما يصير إليه من نعيم في الآخرة ولما يتركه من كدر الحياة الدنيا وأذاها فلو كنتم صادقين يا معشر اليهود بأن الدار الآخرة خالصة لكم والجنة خاصة بكم دون سواكم فتمنوا الموت، فأحجموا عن ذلك التمني فرقا من عذاب الله وخوفاً من سوء العاقبة لقبح أعمالهم وسوء صنيعهم، فظهر بامتناعهم بطلان قيلهم من أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، والله أعلم.



س: ما صورة تمنى الموت التي أمر الله بها بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]؟

ج: لأهل العلم قولان:

أحدهما: ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤] أي اطلبوه من ربكم ﷻ وأسألوه إياه.

الثاني: ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب (أي: على الكاذب من الفريقين منا نحن المسلمين، ومنكم معشر اليهود) وذلك على نحو من المباهلة.



النهي عن تمنى الموت ومتنى يشرع هذا التمني

س: ثبت عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تمنى الموت فكيف يأمرهم بأمرٍ وقد نهى عنه في شريعته؟

ج: على رأي من قال: إن المراد بقوله تعالى: ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤] هو ادعوا على أي الفريقين أكذب كما في المباهلة فلا إشكال في الآية الكريمة ويكون معناها كالمعنى الموجود في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] أي: من كان ضالاً فزاده الله ضلالاً.

❁ أما على قول من قال: ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤] أي: اطلبوه وأسألوه فهذا على سبيل المحاجة وإقامة البرهان على بطلان دعواهم، ثم إن نهى النبي ﷺ عن تمنى الموت ليس على إطلاقه، ففيه ﷻ العبد عن تمنى الموت كما قال: «إما محسناً فيزداد أو مسيئاً فيستعذب»^(١)، وقال ﷻ: «خيركم من طال عمره وحسن عمله»^(٢) أما من خشى على نفسه أن يفتن في دينه فحينئذ يشرع له تمنى الموت كما

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٧٦٥)، والنسائي (٣/٤) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يدخل أحداً عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسدوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً وإما مسيئاً فلعله أن يستعذب».

(٢) «خيركم من طال عمره وحسن عمله»، صحيح أخرجه أحمد (٤/١٨٨-١٩٠) من حديث عبد الله بن بسر ﷺ قال:

قال النبي ﷺ: «وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون»^(١).

وكما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما

علمت الحياة خيراً لي وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي»^(٢).

✽ وأيضاً فقد قال النبي ﷺ في مرض موته: «اللهم الرفيق الأعلى»^(٣).

وكذلك لم يرد لنا أن اليهود نُهوا في شريعتهم عن تمني الموت، والله أعلم^(٤).

⁼ جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله».

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٥٣٢٣) من حديث معاذ بن جبل **رضي الله عنه** مرفوعاً بإسناد صحيح ولمزيد من البحث حوله انظر كتابي الصحيح المسند من الأحاديث القدسية.

(٢) أخرجه النسائي (٤٥/٣)، وأحمد (٤/٤٦٢) من حديث عمار بن ياسر **رضي الله عنه** مرفوعاً.

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٤٧٦٥)، ومسلم (١٩١٢) من حديث عائشة **رضي الله عنها** مرفوعاً.

(٤) هذا وقد قال الحافظ ابن كثير **رضي الله عنه** (١/٩٧١، ٠٨١): ثم هذا الذي فسر به ابن عباس **رضي الله عنه** الآية، هو المتعين وهو

الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية

والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ

زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا أَلْمُونَ إِنَّكُمْ صَادِقُونَ ﴿٦﴾ وَلَا يَمْنُونَهُ أَبَدًا يَمَّا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ أَلْمَوْلَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْكِيكُمْ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلْوِ الْعَرْشِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [الجمعة: ٦-٨] فهم عليهم لعائن الله تعالى لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، قالوا: لن يدخل الجنة إلا

من كانوا يهوداً أو نصارى، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين، لما نكلوا

عن ذلك، علم كل أحد إنهم ظالمون، لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه، لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تأخروا،

عُلم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجّة عليهم في المناظرة وعتوهم

وعنادهم إلى المباهلة، فقال: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نُبَايَعْكُمْ أَنْتُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاءُكُمْ

وَأَنْفُسُكُمْ وَأَنْفُسُنَا وَأَنْفُسُنَا وَأَنْفُسُكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦﴾ [آل عمران: ٦١] فلما رأوا ذلك، قال

بعض القوم لبعض: والله لئن باهلتهم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف، فعند ذلك جنحوا للمسلم، وبدلوا

الجزية عن يد وهم صاغرون، فضر بها عليهم، وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح أميناً، ومثل هذا المعنى أو قريب

منه قول الله تعالى لنبيه أن يقول للمشركين: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴿٧٥﴾ أَي: مَنْ كَانَ

في الضلالة منا ومنكم فزاده الله مما هو فيه ومد له واستدرجه، كما سيأتي تقريره في موضعه، إن شاء الله تعالى.

أما من فسر الآية على معنى ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة: ٩٤] أي: في دعواكم، فتمنوا الآن الموت، ولم

يتعرض هؤلاء للمباهلة، كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم، ومال إليه ابن جرير بعد ما قارب القول الأول،

فإنه قال: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴿٩٤﴾

[البقرة: ٩٤] الآية، فهذه الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره، وفضح

س: قوله تعالى: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ﴾ [البقرة: ٩٦] الضمير فيها لمن؟ وما موقع اللام هنا، وكذلك النون؟

ج: أما الضمير فلليهود (أي: لتجدن اليهود)، واللام بعض أهل العلم يقولون:

بها أحبارهم وعلماءهم وذلك أن الله تعالى أمر نبيه إلى قضية عادلة فيما كان بينه وبينهم من الخلاف، كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من النصارى إذ خالفوه في عيسى ابن مريم ع، وجادلوه فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة، فقال لفريق اليهود: إن كنتم محقين فتمنوا الموت، فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله لكم لكي يعطيكم أمينتكم من الموت إذا تمنيتم، فإنما تصيرون إلى الراحة من

(*) هو مروى من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول .

تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها والفوز بجوار الله في جناته إن كان الأمر كما تزعمون، من أن الدار الآخرة لكم خاصة دوننا، وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا، وانكشف أمرنا وأمركم لهم، فامتنعت اليهود من الإجابة إلى ذلك لعلهم، أنها إن تمنى الموت هلكت فذهبت دنياها، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها، كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبي ﷺ في عيسى إذ دعوا للمباهلة من المباهلة. فهذا الكلام منه أوله حسن، وآخره فيه نظير، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل، إذ يقال: إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم، أنهم يتمنون الموت، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت، وكم من صالح لا يتمنى الموت، بل يود أن يعمر ليزداد خيراً وترتفع درجته في الجنة، كما جاء في الحديث: «خيركم من طال عمره، وحسن عمله» ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا: فهذا أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم؟ وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى، فأما على تفسير ابن عباس: فلا يلزم عليه شيء من ذلك، بل قيل لهم كلام نَصَف: إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس، وأنكم أبناء الله وأحبائه، وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار، فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه، نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافتراءهم وكتماهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه، فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وسميت هذه المباهلة تمنياً، لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (١٥) وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ أَي: على طول العمر لما يعلمون من مآلهم السيء، وعاقبتهم عند الله الخاسرة، لأن الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم، وما يحازرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام .

إنها لام القسم، والمعنى والله لتجدنهم، والنون للتوكيد، والله أعلم.



س: هل للتذكير في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَيَوتِهِ﴾ [البقرة: ٩٦] فائدة؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن هذا يدل على حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة، فهم أي اليهود أحرص الناس على حياة طويلة، والله تعالى أعلم.
س: من المراد بالذين أشركوا في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ [البقرة: ٩٦]؟

ج: المراد بالذين أشركوا فيه للعلماء ثلاثة أقوال:

❁ منها أنهم الأعاجم، لأنهم الحريصون على طول الحياة كما قدمنا أن تحيتهم عش ألف سنة أو عشرة آلاف سنة.
❁ وقيل إنهم مشركو العرب الذين لا يُقرون بالبعث، بل يقولون: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجنائفة: ٢٤].
ويقول شاعرهم:

تمتع من الدنيا فإنك فانٍ من النشوات^(١) والنساء الحسان

❁ وقيل: إن المراد بالذين أشركوا عموم المشركين الذين لا يُقرون بالبعث، والله تعالى أعلم.



س: في قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

[البقرة: ٩٦] عطف لخاص على عام، وضح وبيِّن فائدته؟

ج: أما الخاص فهو: ﴿الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [البقرة: ٩٦] والعام هو ﴿النَّاسِ﴾
فالمشركون داخلون في عموم الناس فلما أُعيد ذكرهم بالتنصيص عليهم كان من عطف الخاص على الناس، وفائدته هنا زيادة توبيخ لليهود فالمعنى أن اليهود

(١) النشوات (جمع نشوة) وهي الشكر وعزا بعض العلماء البيت إلى امرئ القيس.

أحرص الناس على الحياة، حتى إنهم أحرص من الذين أشركوا الذين لا يقرون بالبعث ففائدة هذا العطف زيادة توبيخ لليهود، والله تعالى أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] يرجع إلى من؟

ج: كثير من أهل العلم يرى أنه يرجع إلى المشركين^(١) وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] قال: هو قول الأعاجم: (سال زه نوروز مهرجان حر)^(٢).

وفي رواية^(٣) عنه هو كقول الفارسي: زه هزار سال، يقول: عشرة آلاف سنة فمن شدة حب الأعاجم للدنيا أنهم جعلوا تحيتهم فيما بينهم (عشرة آلاف سنة) أي: عش عشرة آلاف سنة، وعش ألف سنة.



س: لماذا خصَّ الألف بالذكر في قوله تعالى: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

[البقرة: ٩٦]؟

ج: خص الألف بالذكر لأن العرب كانت تُعرب به عند إرادة المبالغة، والله أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُرْزُقِيهِ﴾ [البقرة: ٩٦] يرجع إلى من؟

ج: قيل: يرجع إلى طول البقاء والتعمير أي: وما تعميره وطول حياته بمزحزحه من العذاب وقيل: يرجع إلى الشخص المذكور في قوله تعالى: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ﴾ [البقرة: ٩٦] أي: وما الشخص منهم بمزحزحه أن يُعمر ألف سنة، والمعنى قريب، والله أعلم.

(١) وذكر بعضهم أنه يرجع إلى اليهود، والأول أصح وعليه الأكثر، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري (١٩٥١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «الفسير» (٣٥٩).

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ إِلَىٰ حَيْرَاتٍ وَعَنِ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٩٦]؟

ج: المعنى - والله أعلم - والله لتجدن أشد الناس حرصًا على طول الحياة وطول العمر والبقاء اليهود فهم أشد الناس حرصًا عليها حتى إنهم أشد حرصًا عليها من الذين أشركوا المنكرين للبعث الذين يطمع أحدهم أن يعيش ألف سنة، وما هذا التعمير وطول البقاء بمزح صاحبه عن العذاب ومنحيه عنه. انتهى.

وزيادة في التوضيح فالمشركون لا يقرون ببعث ولا بجنة ولا بنار ولا بحساب ومن ثم كان مطمعهم في الحياة الدنيا ورغبتهم في طول البقاء فيها شديدة فغلبهم اليهود في الحرص على الحياة الدنيا رغم أن اليهود يقرون بالبعث وبالجنة والنار، وما حملهم على هذا الحرص في طول الحياة إلا سوء أعمالهم التي يخشون من جرائها النار، وعظيم كبائرهم التي يتوقعون لها سوء القرار وتكذيب الأنبياء الذي لا يجدون من جزائه فرارًا، والله تعالى أعلم.



MOSTAFARAH.COM

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ
بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ
لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا
يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا
نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

معناها	الكلمة
بأمر الله .	(بِإِذْنِ اللَّهِ) ﴿٩٧﴾
دليل وبرهان .	(وَهُدًى) ﴿٩٨﴾
طرحه - نقضه (١) .	(نَبَذَهُ) ﴿٩٩﴾



(١) أخرج الطبري (٥٤٦١) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٠١] يقول: نقض فريق من الذين أوتوا الكتاب: ﴿كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن القوم كانوا يعلمون ولكنهم أفسدوا علمهم وجحدوا وكفروا وكنتموا. وأخرجه مختصراً ابن أبي حاتم في «الفسير» (أثر ٦٨٩).

س: ما أشهر القراءات في (جبريل)؟ وما معناها؟

ج: في جبريل عدة قراءات بلغ بها بعض العلماء إلى ثلاث عشرة، أشهرها.
 ❁ (جِبْرِيل) بكسر الجيم والراء وبالتخفيف و(جَبْرِئِيل) بفتح الجيم والراء والهمزة^(١).

❁ أما معنى (جبر) فمعناها - على ما ذكره بعض أهل العلم^(٢) - (عبد)، وأما (إيل) فهو (الله) فمعنى جبريل: عبد الله و(ميك) معناها (عبيد)، و(إيل) هو (الله) فميكائيل هو عبيد الله.



س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ [البقرة: ٩٧] الآية؟

ج: سبب نزولها أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ من وليك من الملائكة فعندها نتابعتك أو نفارقتك قال: «فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه»، قالوا: فعندها نفارقتك، لو كان وليك سواه من الملائكة تابعتك وصدقناك. قال: «فما

(١) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ٠٧٧) من طريق عكرمة بن عمار حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتح صلواته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلواته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

لكن هذا الحديث أعله الهروي رحمه الله في كتاب «علل الأحاديث» من أجل أنه من رواية عكرمة عن يحيى، ورواية عكرمة عن يحيى متكلم فيها، والله تعالى أعلم.

وأنشد بعضهم شعر جرير وفيه:
 عبدوا الصليب وكذبوا بمحمدٍ وبجبرئيل وكذبوا ميكائلا

(٢) ذكره الطبري رحمه الله في تفسيره، ونقله عن بعض أهل العلم، والله أعلم.
 قال الطبري رحمه الله (١/ ٧٧٣): أجمع أهل العلم جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم.

يمنعكم أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا فأنزل الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] إلى قوله: ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].



س: اذكر دليلاً آخر على عداوة اليهود لجبريل ﷺ؟

ج: أخرج البخاري^(١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمع عبد الله ابن سلام بقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال: إني سئلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل أنفأ». قال: جبريل؟ قال: «نعم» قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نعت»، قال: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت وإنهم إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: «أي رجل عبد الله فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟» فقالوا: أعاده الله من ذلك فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.



س: لماذا كره اليهود جبريل ﷺ؟

ج: كره اليهود جبريل ﷺ لنزوله بالوحي على رسول الله ﷺ ويُشعر بذلك سياق الآية الكريمة وهي: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

(١) أخرجه البخاري (حديث ٠٨٤٤).



س: في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ نَزَّلَهُ﴾ [البقرة: ٩٧] الهاء الأولى ترجع إلى من والثانية ترجع إلى من؟

ج: أما الهاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ فترجع إلى جبريل غ والهاء في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُ﴾ [البقرة: ٩٧] ترجع إلى القرآن، وإنما حُذِفَ القرآن لدلالة السياق عليه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٥٥] فحذفت الأرض لدلالة السياق عليها، والله تعالى أعلم.



س: ما جزاء الشرط في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُمْ نَزَّلَهُ﴾ [البقرة: ٩٧]؟

ج: فيه وجوه:

الوجه الأول: أن من عادى جبريل فينبغي ألا يعاديه إذ لا وجه لعداوته؛ لأنه إنما أنزل الكتاب بإذن الله ولم يتصرف من عند نفسه ثم ينبغي أيضاً ألا يعاديه لأنه نزل بالقرآن الذي هو شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة فينبغي أن يُشكر ويُحب.

الوجه الثاني: أن من عادى جبريل فهو مبطل، وحق للمبطل أن يعادي جبريل لأن جبريل عليه السلام نزل بالكتاب برهاناً على نبوتك يا محمد ومصداقاً لصدقك، وهم يكرهون ذلك فكيف لا يبغضون جبريل وقد نزل بما يفضحهم ويكشف أكاذيبهم.

الوجه الثالث: أن الجواب محذوف وهو (فليمت) أي: من عادى جبريل فليمت بغیظه، والله أعلم.



س: هل كان القرآن ينزل على قلب رسول الله ﷺ دون أن يقرأه ويسمعه، أم كان يسمعه ويقرأه أولاً؟

ج: ورد في بعض الآيات ما يُفيد أن القرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] وكما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

✽ ولكن بَيَّن في مواطن أُخر أن معنى ذلك أن الملك كان يقرؤه عليه حتى يسمعه منه فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه كما قال سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [١٦] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [١٧] ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَعْ قُرْآنَهُ﴾ [١٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤]، والله تعالى أعلم.



س: الناس في شأن الملائكة على أقسام وضح هذه الأقسام؟

ج: من الناس من ينكر وجود الملائكة أصلاً وهم قوم من أهل الكفر والإلحاد. ✽ ومن الناس من يسبون بعض الملائكة كاليهود وطائفة من الروافض، فاليهود قالوا عن جبريل عليه السلام إنه عدو اليهود من الملائكة، وطائفة من الروافض وصفوه بالخيانة وأنه نزل بالرسالة على محمد ﷺ وكان الأحق بها علياً بزعمهم. ✽ وطائفة من أهل الشرك عبدوهم كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ لِأَيُّكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [٤٠] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

✽ وطائفة وهم أهل الحق توسطوا في شأن الملائكة فاعتقدوا أنهم عباد الله مكرمون كما قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [٢٦] ﴿لَا يَسْئُرُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [٢٧] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨] كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ

وَيَسْتَكْبِرُ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿النساء: ١٧٢﴾ وكما قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].



س: ما فائدة قول الله تعالى: ﴿يَاذِنِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٩٧] عقب قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلِ فَإِنَّهُ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]؟

ج: فائدتها بيان أن جبريل لم ينزل من عند نفسه بل نزل بإذن الله فما لعداوتكم يا معشر اليهود لجبريل غ وجه يُذكر، والله تعالى أعلم.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿مُضَدِّقًا لِّمَا بِيَدِهِ﴾ [البقرة: ٩٧] وما هو الذي بين يديه؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن معانيه توافق معانيها في الأمر بالتوحيد واتباع محمد ﷺ.

والذي بين يديه هو التوراة والإنجيل على قول لبعض أهل العلم^(١).
❦ وبعض أهل العلم يقولون: ما قبله أن من كتب الأنبياء الذين تقدموه على وجه العموم ولا معنى لتخصيص كتاب دون كتاب، والله تعالى أعلم.



س: هل يجوز التسمي بأسماء الملائكة؟

ج: لا أعلم مانعاً من ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَيْنَارُكَ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكِتُونَ ﴿[الزخرف: ٧٧] فمالك هو خازن النار، وهو ملك من الملائكة بلا شك، وقد أقرَّ النبي ﷺ اسم مالك في أصحابه ولم ينكره فكان من الصحابة مالك بن صعصعة رضي الله عنه، وأنس بن مالك كذلك وغيرهم من التابعين مالك بن أوس

(١) رواه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٣٦١).

ابن الحدثنان وغيرهم.

❁ ومن السلف من تسمى بجبريل أيضاً ولم نعلم أن أحداً أنكر عليه، والله تعالى أعلم.



س: من علمى ملكاً من الملائكة فقد عادى الله ﷻ والملائكة جميعاً ومن كذب رسولاً فقد كذب الرسل جميعاً دلل على هذا القول بأدلة؟

ج: أما الأدلة على هذا فمنها ما يلي:

❁ قول الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩٨] فالواو هنا بمعنى (أو) والمعنى من كان عدواً لله أو ملائكته أو رسله أو جبريل أو ميكال فإن الله عدو للكافرين.

❁ وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

[النساء: ١٥٠، ١٥١]

❁ وقول الله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ [الفرقان: ٣٧] وإنما أرسل إليهم نوح فقط.

❁ وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣] وأرسل إليهم هود فقط.

❁ وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١] وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ

ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠]،

وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٣] فمن كفر برسول وكذبه فقد كفر

بالرسل جميعاً وكذبهم، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله، لأن جبريل لا ينزل

إلا بأمر الله قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾

[البقرة: ٩٧].



س: لماذا خص جبريل وميكائيل بالذكر بعد ذكر الملائكة في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]؟

ج: خصا بالذكر تشريفاً لهما وبيانا لفضلهما، فهو عطف للخاص على العام لبيان شرفهما وقد قال النبي ﷺ لأبي بكر وعلي رضي الله عنهما يوم بدر: «مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال». وقيل خصا بالذكر، لأن اليهود ذكروهما، وفرقوا بينهما في المحبة فقالوا: جبريل عدو اليهود من الملائكة، وميكايل هو وليهم، والله أعلم.



س: هل جبريل أفضل أم ميكائيل؟

ج: رأى عدد من أهل العلم أن جبريل أفضل واستدل له الرازي بوجوه منها:
 ﴿الأول: أن الله تعالى قدم جبريل ﷺ في الذكر، وتقديم المفضل على الفاضل في الذكر مستقبح عرفاً فوجب أن يكون مستقبحاً شرعاً.
 ﴿وثانيها: أن جبريل ﷺ ينزل بالقرآن والوحي والعلم وهو مادة بقاء الأرواح وميكائيل ينزل بالخصب والأمطار وهي مادة بقاء الأبدان، ولما كان العلم أشرف من الأغذية وجب أن يكون جبريل أفضل من ميكائيل.
 ﴿وثالثها: قوله تعالى في صفة جبريل: ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ آمِنٌ﴾ [التكوير: ٢١] ذكره بوصف المطاع على الإطلاق، وظاهره يقتضي كونه مطاعاً بالنسبة إلى ميكائيل فوجب أن يكون أفضل منه والله تعالى أعلم.



س: ما هو موقع الواو في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَنهُدَا عَهْدًا...﴾ [البقرة: ١٠٠]؟

ج: الواو هي واو العطف، دخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ [يونس: ٤٢] وكما في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ [الكهف: ٥٠] وكما تدخل على ثم كما في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [يونس: ٥١]، والله تعالى أعلم.



س: ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ وما هو العهد الأخير الذي نقضوه؟

ج: المراد - والله أعلم - الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه وتوبيخهم على هذا الصنيع.

أما العهد الأخير الذي نقضوه في قوله تعالى ﴿أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠] فهو ما كانوا يقولونه قبل مبعث رسول الله ﷺ لئن خرج نبي اتبعناه.



س: هل كل اليهود نابذون للعهد أو أكثرهم أو أقلهم؟

ج: ليسوا كلهم لقوله تعالى: ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠] ولكن أكثرهم نابذون للعهد والمواثيق كما قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].
 ﴿وَلَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ١٣].
 ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠] والله تعالى أعلم.



س: يجب الحذر غاية الحذر من اليهود فإن من دأبهم الغدر ومن شيمهم نقض العهود والمواثيق، دلل على هذا؟

ج: أخبرنا الله ﷻ عن حال اليهود فقال سبحانه: ﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَّةً﴾ [المائدة: ١٣] وقال ﷻ: ﴿وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].



MOSTAFAALADWIY.COM

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٣﴾

معناها	الكلمة
اتبعوا الشيء ساروا وراءه وفضّلوه.	(وَاتَّبَعُوا) ﴿
تحدث وتروي - تقرأ - تقول.	(تَنَلُّوا) ﴿
في عهد ملك سليمان - (عن ملك سليمان) أي: ما تفتريه	(عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ) ﴿
عن ملك سليمان.	(بِنَيْبَةٍ) ﴿
ابتلاء واختبار.	(بِإِذْنِ اللَّهِ) ﴿
بقضاء الله.	(لَمَنْ أَسْتَرْتَهُ) ﴿
لمن اختار السحر.	(خَلَقَ) ﴿
نصيب.	(شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) ﴿
باعوها.	(لِمَثُوبَةٍ) ﴿
من الثواب أي: الثواب خير لهم، فالمثوبة: الثواب	(لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ﴿
والجزاء والأجر، ومعنى لمثوبة أي: لأثبوا مثوبة؛ أي:	
لنالوا أجراً.	
لو كانوا ينتفعون بالعلم.	



س: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ قَوْمٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٩] من هو الرسول، وما هو كتاب الله الذي نبذوه؟

ج: الرسول هو محمد ﷺ والكتاب الذي نبذوه هو التوراة، والمعنى لما جاءهم رسول الله ﷺ موافقاً للتوراة وأوصافه موافقة للأوصاف التي فيها وأفعاله وأقواله كذلك نبذوا التوراة لذلك، والله تعالى أعلم.



س: من ترك الحق ابتلي باتباع الباطل اذكر دليلاً على ذلك؟

ج: أما الدليل فهو أن بني إسرائيل لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان كما أخبر بذلك الله ﷻ فقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ... ﴿البقرة: ١٠١، ١٠٢﴾.



س: من هم الذين اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان؟

ج: هم فريق اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ... ﴿البقرة: ١٠١، ٢٠١﴾.

﴿ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: يعني بقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ﴿البقرة: ١٠٢﴾ الفريق من أحرار اليهود وعلمائها الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى وراء ظهورهم تجاهلاً منهم وكفراً بما هم به عالمون، كأنهم لا يعلمون فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه ﷺ ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه، وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه، وذلك هو الخسار والضلال المبين.

﴿ وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضاً وهم اليهود.



س: هل اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ هم الذين اتبعوا ما تلته الشياطين على

ملك سليمان أم أسلافهم؟

ج: الجواب أن الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم هم الذين اتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان سواء كانوا من اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ أم من أسلافهم الذين تقدموهم.

❁ فاليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ حاججوه بالتوراة وخاصموه بها فلما رأوا أن التوراة موافقة للقرآن وفيها صفة رسول الله ﷺ وصفة مبعثه وصفة ما جاء به نبذوا التوراة وراء ظهورهم وذهبوا يتحاكون افتراءات افترتها الشياطين على ملك سليمان وأكاذيب اختلقتها الشياطين عليه.

❁ وأسلافهم من اليهود كذلك فشا فيهم السحر اتباعاً منهم لما تلته الشياطين على ملك سليمان وتركوا للتوراة وللعمل بها.

وهذا القول بالعموم هو الذي اختاره الطبري ❁ فقال: والصواب من القول في تأويل قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢] أن ذلك تويخ من الله لأخبار اليهود الذين أدركوا رسول الله ﷺ فوجدوا نبوته وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل وتأنب منه لهم في رفضهم تنزيله وهجرهم العمل به، وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين في عهد سليمان وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى فأغنى عن إعادته في هذا الموضع، وإنما اخترنا هذا التأويل لأن المتبعة ما تلته الشياطين في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق وأمر السحر لم يزل في اليهود، ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٢]. بعضاً منهم دون بعض إذ كان جائزاً فصيحاً في كلام العرب إضافة ما وصفنا من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢]. إلى أخلافهم بعدهم ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله ﷺ أثر منقول ولا حجة تدل عليه فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال: كل متبع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية على النحو الذي قلنا، والله أعلم.



MOSTAFAALADWIY.COM

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٢]؟

ج: المعنى باختصار أن اليهود اتبعوا ما تقولته الشياطين وافترته على ملك سليمان وقيل: إن المعنى واتبعوا ما تلتته الشياطين^(١) في عهد ملك سليمان فقال هذا الفريق: إن (على) تأتي بمعنى (في)، و(في) تأتي بمعنى (على) أحياناً كما في قول فرعون: ﴿وَلَأَصْلَبَنَّهُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ۗ﴾ [طه: ٧١] أي: على جذوع النخل.



س: ما الذي تلتته الشياطين على ملك سليمان ﷺ؟ اذكر بعض الآثار في ذلك؟

ج: تدور أكثر أقوال المفسرين على أن الذي تلتته الشياطين على ملك سليمان هو بعض أنواع من السحر والشعوذة ابتدعتها الشياطين ونسبوها إلى سليمان غ، وزعموا أنه كان يُسخر بها الجن، على تفصيلات للمفسرين في ذلك ووجهات لهم، أما بالنسبة لبعض الآثار في ذلك فنورد بعض ما صح منها إلى قائلها:

✽ أثر ابن عباس رضي الله عنهما:

أخرجه الطبري^(٢) من طريق أبي السائب السوائي قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها جرادة، وكانت من أكرم نسائه عليه، قال: فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هو اه فيهم واحداً، قال: وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئاً من نسائه أعطى الجرادة خاتمه فلما أراد الله أن يتلي سليمان بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فأخذه

(١) أي: الشياطين الموجودون على عهد ملك سليمان غ فالحاصل أن من العلماء قال: إن الشياطين افترت أشياء أثناء ملك سليمان غ ومن العلماء من قال: إن الشياطين افترت أشياء بعد وفاة سليمان غ وقالوا: هذه الشعوذات وصنوف السحر هي التي كان يحكم بها سليمان ويسخر بها الجن.

(٢) هو عند الطبري (٠٦٦١)، وأبو السائب السوائي هو سلم بن جنادة.

فلبسه، فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس، قال: فجاءها سليمان فقال: هاتي خاتمي! فقالت: كذبت لست بسليمان! قال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به قال: فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرءوها على الناس وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب! قال: فبرئ الناس من سليمان وأكفروه حتى بعث الله محمداً ﷺ فأنزل جل ثناؤه: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٢] يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا ۗ﴾ [البقرة: ١٠٢] فأنزل الله ﷻ عذره، وهذا إسناد حسن إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

❁ ومن طريق ^(١) أبي أسامة عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أيضاً قال: كان ^(٢) أصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا من كل سطرين سحراً وكفراً وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها، قال: فأكفره جهال الناس وسبوه، ووقف علماءهم فلم يزل جهالهم يسبوه حتى أنزل الله على محمد: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا ۗ...﴾ [البقرة: ١٠٢].

❁ أثر قتادة رضي الله عنه:

أخرج الطبري بإسناد حسن ^(٣) عن قتادة قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ﴾ من الكهانة والسحر، وذكر لنا - والله أعلم - أن الشياطين ابتدعت كتاباً فيه سحرٌ وأمرٌ عظيمٌ ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه.

❁ أثر أبي مجلز رضي الله عنه:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٨٩).

(٢) في الأصل (قال) والصواب ما أثبتناه.

(٣) الطبري (٢٥٦١).

أخرج الطبري بإسناد صحيح^(١) إلى أبي مجلز **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: أخذ سليمان من كل دابة عهداً فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خُلي عنه فرأى الناس السَّجْعَ والسَّحْرَ، وقالوا: هذا كان يعمل به سليمان، فقال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وهذه الآثار كما رأيت ثابتة إلى قائلها لكن الله أعلم من أين أخذها قائلوها والظاهر أنهم تلقوها من الروايات الإسرائيلية المنقولة عن أهل الكتاب، والله أعلم.



س: ما وجه نفي الكفر عن سليمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ [البقرة: ١٠٢]؟

ج: ذلك لأن اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - وصفوا سليمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بأنه ساحر واتهموه بالسحر، ونسبوا السحر الذي اختلقته الشياطين إليه، ومن ثم كَفَرُوا، فبرأه الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** من ذلك ونفى عنه هذا الكفر الذي قذفوه به، والله تعالى أعلم.



س: هل كان هناك سحر قبل عهد سليمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؟ ولماذا خصَّ سليمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ﴾؟

ج: نعم كان هناك سحر قبل سليمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فقد كان السحر متفشياً على عهد موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال تعالى: ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَبِّعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿الشعراء: ٣٨-٤٠﴾، وقبل قوم فرعون أيضاً كان السحر موجوداً فقد وصف الكفار من قوم نوح نوحاً **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بأنه ساحر.

❁ أما لماذا خصَّ سليمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بالذكر، فهذا لأن اليهود نسبوا السحر إليه فأراد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** تبرئته وإظهار أنهم اتبعوا السحر المخترق في عصره والمنسوب إليه كذباً

(١) أخرجه الطبري (١٦٦١) بإسناد صحيح عنه.

وزورًا، والله تعالى أعلم.



مبحث في السحر

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف السحر؟

ج: السحر عند كثير من أهل العلم عبارة عن التمويه والتخييل والخداع لإظهار الشيء على خلاف ما هو عليه بأمور يفعلها الساحر وحركات يصطنعها، وها هي بعض الأقوال لأهل العلم في تعريفه.

قال الطبري (١): واختلف في معنى «السحر». فقال بعضهم: هو خُذع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر، حتى يُخِيل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء، ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته. وكرأكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا، يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه. قالوا: فكذلك المسحور ذلك صفته: يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته، كالذي:

حدثني أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع، قالوا: حدثنا يحيى بن سعيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن النبي ﷺ لما سُحِر، كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله.

حدثنا ابن وكيع (٢) قال: حدثنا ابن نمير، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: سحر رسول الله ﷺ من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى

(١) تفسير الطبري (٢/٦٣٤).

(٢) ابن وكيع (وهو سفيان بن وكيع) متكلم فيه لوراق السوء الذي كان عنده، لكن الحديث ثابت صحيح وسيفرد له سؤال مستقل إن شاء الله.

كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله.
حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال:
كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يُحدثان: أن يهود بني زريق عقدوا عقد سحر
لرسول الله ﷺ، فجعلوها في بئر حزم، حتى كان رسول الله ﷺ ينكر بصره ودله الله
على ما صنعوا فأرسل رسول الله ﷺ إلى بئر حزم التي فيها العقد فانتزعها. فكان
رسول الله ﷺ يقول: «سحرتني يهود بني زريق»^(١).

وأكثر قائلو هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن
حقيقته، واستسخر شيء من خلق الله - إلا نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بني
آدم - أو إنشاء شيء من الأجسام سوى المخاريق والخداع المتخيلة لأبصار الناظرين
بخلاف حقائقها التي وصفنا. وقالوا: لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب
حقائق الأعيان عما هي به من الهيئات، لم يكن بين الحق والباطل فصل، ولجاز أن
يكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها. قالوا: وفي وصف الله
جل وعز سحرة فرعون بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَىٰ﴾
[طه: ٦٦] وفي خبر عائشة عن رسول الله ﷺ أنه كان إذ سحر يخيل إليه أنه يفعل الشيء
ولا يفعله، أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين - أن الساحر ينشئ أعيان الأشياء
بسحره، ويستسخر ما يتعذر استسخاره على غيره من بني آدم، كالموات والجماد
والحيوان - وصحة ما قلنا.

وقال آخرون: قد يقدر الساحر بسحره أن يحوّل الإنسان حماراً، وأن يسحر
الإنسان والحمار، وينشئ أعياناً وأجساماً، واعتلوا في ذلك بما:

حدثنا به الربيع بن سليمان قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرنا بن أبي الزناد قال:
حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: قدمت علي

(١) هذا مرسل وسيأتي خبر سحر رسول الله ﷺ عن قريب إن شاء الله .

امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته حادثة ذلك^(١) ، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به. قالت عائشة لعروة: يا بن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفئها!^(٢) كانت تبكي حتى إنني لأرحمها! وتقول: إني لأخاف أن أكون قد هلكت! كان لي زوج فغاب عني، فدخلت عليّ عجوز فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما أمرك به، فأجعله يأتيك! فلما كان الليل جاءني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل^(٣) فإذا برجلين معلّقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلّم السحر! فقالا: إنما نحن فتنّة، فلا تكفري وارجعي، فأبيت وقلت: لا. قالا: فاذهبي إلى ذلك الثنور فبولي فيه^(٤) فذهبت ففزعت فلم أفعل، فرجعت إليهما، فقالا: أفعلت؟ قلت: نعم، فقالا: فهل رأيت شيئاً؟ قلت: لم أر شيئاً! فقالا لي: لم تفعل، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأربيت وأبيت^(٥) ، فقالا: اذهبي إلى ذلك الثنور فبولي فيه فذهبت فاقشعررت، ثم رجعت إليهما فقلت: قد فعلت. فقالا: فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئاً. فقالا: كذبت لم تفعل، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري، فإنك على رأس

(١) يقال: «كان ذلك في حدثان كذا وكذا» (بكسر فسكون)، و«في حديثه»: أي على قرب عهده.

(٢) يشفيها: أي يجيئها بما يبلغها سكينه القلب فتبرأ من حيرتها. ومنه: «شفاء العي السؤال» والجهل والحيرة مرض يسقم القلوب والنفوس.

(٣) في ابن كثير (١/٦٢٠): «فلم يكن شيء»، والصواب ما هنا وفي «الدر المنثور» (١/١٠١) وقولها: «فلم يكن كشيء» عبارة جيدة، بمعنى: لم يكن ما مضى كشيء بعد، بل أقل من القليل والعرب تقول: تأخرت عنك شيئاً، أي: قليلاً. ومنه قول عمر بن أبي ربيعة.

وَقَالَتْ لَهْنٍ اِزْبَعْنَ شَيْئًا، لَعَلَّنِي وَإِنْ لَأَمْنِي فِيمَا ارْتَأَيْتُ مُلِيم

أي: ففن قليلاً، ويقولون في مثل ذلك أيضًا: «لم يكن إلا كلا ولا»، كل ذلك بمعنى السرعة الخاطفة.

(٤) في المطبوعة: «فقالا، اذهبي...»، وأثبت ما في «الدر المنثور» وابن كثير، فهي أجود.

(٥) في المطبوعة: «أبيت» بحذف «فأربيت»، وأرب بالمكان لزمه ولم يرحه والزيادة من ابن كثير في الموضعين.

قاله الشيخ أحمد شاكر رحمته الله.

أمرك^(١) فأربيتُ وأبيتُ، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارسًا مُتقنًا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء، وغاب عني حتى ما أراه. فجئتُهما فقلت: قد فعلت! فقالا: ما رأيت؟ فقلت: فارسًا مُتقنًا خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه^(٢). فقالا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئًا! وما قال لي شيئًا فقالت: بلي، لن تريدي شيئًا إلا كان! خذي هذا القمح فابذري فبذرت، وقلت: أطلعي! فأطلعت، وقلت: أحقلي! فأحقلت، ثم قلت: أفركي! فأفركت، ثم قلت: أيسسي! فأيسست، ثم قلت: أطحني! فأطحنت، ثم قلت: أخبزي، فأخبزت^(٣). فلما رأيت أني لا أريد شيئًا إلا كان، سُقط في يدي وندمتُ والله يا أم المؤمنين! والله ما فعلتُ شيئًا قط ولا أفعله أبدًا^(٤).

(١) يقال: أنت على رأس أمرك، وعلى رئاس أمرك: أي في أوله وعلى شرف منه. وزعم الجوهرى أن قولهم: «على رأس أمرك» من كلام العامة، وهذا الخبر ينقض ما قال.
(٢) في تفسير ابن كثير والدر المنثور: «فأرأيت فارسًا»، وما هنا صواب جيد.
(٣) في هذه الفقرة كلمات لم تثبتها كتب اللغة، سأذكرها في مدرج شرحها. «أطلعي فأطلعت» أي أخرجني شطأك، من قولهم: أطلع الزرع، إذا بدا أول نباته من الأرض. «أحقلي فأحقلت». أي أخرجني حقلك. والحقل: الزرع إذا استجمع خروج نباته. أحقل الزرع: تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه. «أفركي فأفركت» أي كوني فريكًا، وهو حب السنبله إذا اشتد وصلح أن يفرك. أفرك السنبل: صار فريكًا، وهو حين يصلح أن يفرك فيؤكل. و«أيسس فأيسست» أي كوني حبًا يابسًا، أيسس البقل: يبس وجف. «أطحني فأطحنت». أي كوني طحينًا. ولم يرد في كتب اللغة: «أطحن»، ولكنها أتبع هذا الحرف ما مضى من أخواته، وهي عربية سليمة ماضية على سنن اللغة في هذا الموضوع «أخبزي فأخبزت»، أي كوني خبزًا يؤكل، وهذه أيضًا لم ترد في كتب اللغة، ولكنها عريقة كأختها السالفة. وقد قال ابن كثير: إن إسناد هذا الحديث جيد إلى عائشة، وإن الحاكم صححه، فإن كان ذلك كما قالوا، فلا شك في عربية هذه الألفاظ من طريق الرواية أيضًا.

(٤) الخبر: ١٦٩٥ - مضت قطعة منه، بإسناد آخر إلى ابن أبي الزناد: ١٦٩١.
وهذا الخبر نقله ابن كثير (١: ٢٦٠، ٢٦١)، بطوله، عن الطبري. وقدم له بكلمة، قال: «وقد ورد في ذلك أثر غريب، وسياق عجيب في ذلك. أحببنا أن ننبه عليه». ثم قال بعد نقله:
«فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها». وذكر أنه رواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان، بأطول منه. وذكره السيوطي (١: ١٠١)، ونسبه أيضًا للحاكم وصححه. والبيهقي في سننه.
وهي قصة عجيبة، لا ندري أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة؟ أما عائشة فقد صدقت في أن المرأة

قال أهل هذه المقالة بما وصفنا، واعتلوا بما ذكرنا، وقالوا: لولا أن الساحر يقدرُ على فعل ما ادَّعى أنه يقدر على فعله، ما قدر أن يُفرِّق بين المرء وزوجه قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يتعلَّمون من الملكين ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه، وذلك لو كان على غير الحقيقة، وكان على وجه التخيل والحُسبان، لم يكن تفريقاً على صحة، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة.

وقال آخرون: بل (السحر) أخذٌ بالعين.

وقال البخوي (١): قيل معنى السحر العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩] أي العالم.

والصحيح: أن السحر عبارة عن التمويه والتخيل، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم ولكن العمل به كفر...

ثم قال رحمه الله: وقيل إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الأدمي على صورة حمار ويجعل الحمار على صورة الكلب، والأصح أن ذلك تخيل، قال الله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ نَسَعَى﴾ [طه: ٦٦] لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس، وقد يسمع الإنسان ما يكره فيحمر ويغضب، وربما

أخبرتها. والإسناد إلى عائشة جيد، بل صحيح.

الربيع بن سليمان: هو المرادي المصري المؤذن، صاحب الشافعي ورواية كتبه، وهو ثقة. مترجم في «التهذيب»، وابن أبي حاتم (١ / ٢ / ٤٦٤). ابن أبي الزناد: هو «عبدالرحمن بن أبي الزناد عبدالله بن ذكوان»، وهو ثقة، تكلم فيه بعض الأئمة، في روايته عن أبيه، وفي رواية البغداديين عنه. والحق أنه ثقة، وخاصة في حديث هشام بن عروة. فقد قال ابن معين - فيما رواه أبو داود عنه عند الخطيب وغيره - «أثبت الناس في هشام بن عروة: عبدالرحمن بن أبي الزناد». وقد وثقه الترمذي وصححه عدة من أحاديثه، بل قال في السنن (٣: ٥٩)، في حديث له صححه، وفيه حرف لم يروه غيره، فقال: «وإنما ذكره عبدالرحمن بن أبي الزناد، وهو ثقة حافظ».

قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى.

قلت: وإطلاق القول بتوثيق ابن أبي الزناد فيه نظر، ولكن من صحح روايته عن هشام بن عروة فله سلف قوي كما أشار إليه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

(١) تفسير البغوي (١ / ١٢٨).

يُحْم منه، وقد مات قوم سمعوه فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الأبدان.

وقال القرطبي رحمه الله:

الثالثة - السحر، قيل: السحر أصله التمويه بالحيل والتخايل، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيُخَيَّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به، كالذي يرى السراب من بعيد فيُخَيَّل إليه أنه ماء، وركاب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا يُخَيَّل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه. وقيل: هو مشتق من سَحَرْتُ الصَّبِيَّ إذا خدعته، وكذلك إذا عَلَّته. والتسحير مثله؛ قال لبيد:

فَإِنْ تَسَأَلِنَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ
آخر:

أَرَأَنَا مَوْضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرَ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
عَصَافِيرُ وَذَبَّابٌ وَدُوْدٌ وَأَجْرًا مِنْ مُجَلَّحَةِ الذَّنَابِ

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٥] يقال المسحر الذي خلق

ذا سحر، ويُقال من المعللين أي: ممن يأكل الطعام ويشرب الشراب.

وقيل أصله الخفاء، فإن الساحر يفعله في خفية، وقيل أصله الصَّرف، يقال ما سحرك عن كذا أي: ما صرفك عنه فالسحر مصروف عن جهته، وقيل: أصله الاستمالة، وكلُّ من استمالك فقد سحرك، وقيل في قوله تعالى: ﴿بَلْ لَّحْنُ قَوْمٍ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥] أي: سُحِرْنَا فَأَزَلْنَا بِالتَّخْيِيلِ عن معرفتنا.

وقال الجوهري: السحر: الأخذة، وكلُّ ما لطف مأخذه ودقُّ فهو سحر، وقد

سحره يسحره سحرًا، والساحر العالم، وسحره أيضًا بمعنى خدعه، وقد ذكرناه، وقال ابن مسعود: كنا نسمي السحر في الجاهلية العِضْه، والعِضْه عند العرب شدة البهت وتمويه الكذب، وقال الشاعر:

أَعْوَدُ بِرَبِّي مِنَ النَّافِثَاتِ فِي عَقْدِ الْعَاضِهِ الْمُعْضِهِ

وقال القاسمي رَحِمَهُ اللهُ (محاسن التأويل ص ٢ / ٣١٢):

واعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمرٍ يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله، قال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] يعني موهوا عليهم حتى ظنوا أن جبالهم وعصيتهم تسعى، وقد يستعمل مقيداً فيما يمدح ويُحمد كما قال رسول الله ﷺ لعمر بن أهدم: «إن من البيان لسحراً» لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبلغ عبارته، وبالجملة فالسحر المطلق إنما هو تخيل بشعوذة صارفة للأبصار أو تمتمة مزخرفة عاتقة للأسماع فلا يغير حقائق الأشياء ولا ينقل الصور.

وقال الجزائري في تفسيره:

السحر هو كل ما لطف مأخذه وخفي سببه مما له تأثير على أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم.

وقال صديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان):

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وهو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء، وما يظنه راكب السفينة أو الدابة من أن الجبال تسير، وهو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته، وقيل أصله الخفاء فإن الساحر يفعله خفية، وقيل: أصله الصرف، لأن السحر مصروف عن جهته، وقيل: أصله الاستمالة لأن من سحرك استمالك، وقال الجوهرى: السحر: الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والساحر العالم.

وقال الغزالي: السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الخواص هيكل على صورة الشخص المسحور، ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر

والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستغاثة بالشياطين، وتحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور انتهى، وقد ذكر أبو السعود أنواعاً من السحر فليرجع إليه.

✽ وقال عبد القادر بن شيبه الحمد في تفسيره:

والسحر في اللغة العربية يطلق على كل شيء لَطْفٌ مأخذه ودَقٌّ، ويطلق كذلك على الصَّرف والتحويل عن الجهة المعتادة والتمويه بالحيل والتخايل وهو أن يفعل الساحر أشياء فيخَيَّلُ للمسحور أنها بخلاف ما هي به في الواقع كالذي يرى السراب من بعيد فيخَيَّلُ إليه أنه ماء، وكالذي يركب مركباً شديد السرعة (كالقطار) إذا كان طريقه بين أشجار أو منازل أو غيرها من الأشياء الثابتة فيخَيَّلُ إلى راحته أنه واقف وأن الأشجار أو المنازل أو الجبال هي التي تجري، كما يطلق السحر على الخداع من قولهم: سحرت الصبي: إذا كان قد خدعه ومنه قول لبيد:

كما يطلق السحر على الاستمالة بقوة البيان ومنه قول رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحراً»^(١) الذي رواه البخاري، كما كان يطلق على الساحر اسم العالم حيث كانت مدارس تعليمه في مصر أيام فرعون موسى قد بلغت حدًّا لم يعرف في التاريخ أنه بلغه أحد بعدهم أو قبلهم، كما كانت مدارسهم في جزيرة العرب قبل الإسلام، وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه في قصة أصحاب الأخدود والراهب والساحر. وقد يكون السحر برقى شيطانية وطلاسم ونفث في عقد، وهو سحر أهل بابل من عهد إبراهيم عليه السلام وكانوا يعبدون الكواكب، وقد يكون السحر بخفة اليد كالشعوذة، ولا شك أن النفس الإنسانية قابلة للتأثر ولذلك نهى الأطباء المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر، كما نُهي المصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللِّمعان والدُّوران. كما أن بعض السحرة قد يستعين

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً وكذلك أخرجه مسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه مرفوعاً.

بالمغناطيس ونحوه، وأخطر أنواع السحر ما كان بالرقى الشيطانية والنفث في العقد، وهذا النوع من السحر لا يفعله إلا الكافر بالله.



س: اذكر بعض أنواع السحر؟

ج: ذكر الرازي رحمه الله بحثاً طويلاً في أنواع السحر، وحصرها في ثمانية أنواع وها هي باختصار.

الأول: سحر الكلدانيين والكسدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشروور والسعادة والنحوسة وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام مُبطلاً لمقاتلتهم وراذلاً عليهم في مذاهبهم.

قلت: ولم يتضح لي وجه هذا السحر ولا كيفيته.

الثاني: سحر أصحاب الأوهام، ومثّل له الرازي برجل يمر على جذع وهذا الجذع له حالان، الحال الأول أنه موضوع على الأرض فالرجل يمرُّ عليه بسهولة ويسر، والثاني أن الجذع موضوع كالجسر وتحتة هاوية فحينئذ يتخيل المار أنه سيسقط في الهاوية فيتعذر عليه المرور من فوق الجسر.

وقال الرازي أيضاً: اجتمعت الأطباء على نهي المرعوف ^(١) عن النظر إلى الأشياء الحمر، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان والدوران، وما ذاك إلا أن النفوس خلقت مطيعة للأوهام فحاصل هذا النوع أن الساحر يخدع أصحاب النفوس الضعيفة والأوهام.

الثالث من أنواع السحر: الاستعانة بالجن لوصول الساحر إلى مراده ^(٢).

(١) هو المصاب بالرعاف.

(٢) قال الرازي: ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد فهذا النوع من السحر المسمى بالعرائم وعمل تسخير الجن.

الرابع : التخيلات والأخذ بالعيون كمن يركب شيئاً سريعاً كقطار أو طائرة أو سيارة مثلاً ويظن أن الأشجار تجري من حوله، وهو الذي يجري في الحقيقة ونورد هذا النوع والأنواع التي بعده بتمامها كما قال الرازي **رَحِمَهُ اللهُ**، فقد قال :

النوع الرابع من السحر : التخيلات والأخذ بالعيون ، وهذا الأخذ مبني على مقدمات: إحداها: أن أغلاط البصر كثيرة فإن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحرراً. وذلك يدل على أن الساكن يرى متحرراً والمتحرك يرى ساكناً، والقطرة النازلة ترى خطأ مستقيماً، والذبالة التي تدار بسرعة ترى دائرة والعنبة ترى في الماء كبيرة كالإجاصة، والشخص الصغير يرى في الضباب عظيماً، وكبخار الأرض الذي يريك قرص الشمس عند طلوعها عظيماً فإذا فارقت وارتفعت عنه صغرت، وأما رؤية العظيم من البعيد صغيراً فظاهر، فهذه الأشياء قد هدت العقول إلى أن القوة الباصرة قد تبصر الشيء على خلاف ما هو عليه في الجملة لبعض الأسباب العارضة، وثانيها: أن القوة الباصرة إنما تقف على المحسوسات وقوفاً تاماً إذا أدركت المحسوس في زمان له مقدار ما، فأما إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جداً ثم أدركت بعده محسوساً آخر وهكذا فإنه يختلط البعض ولا يتميز بعض المحسوسات عن البعض وذلك فإن الرحي إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوطاً كثيرة بألوان مختلفة ثم استدارت فإن الحس يرى لوناً واحداً كأنه مركب من كل تلك الألوان، وثالثها: أن النفس إذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر ولا يشعر الحس به البتة كما أن الإنسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه إنسان آخر ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه، لما أن قلبه مشغول بشيء آخر، وكذا الناظر في المرأة فإنه ربما قصد أن يرى قذاة في عينه فيراها ولا يرى ما هو أكبر منها إن كان بوجهه أثر أو بجبهته أو بسائر أعضائه التي تقابل المرأة، وربما قصد أن يرى سطح المرأة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيئاً مما في المرأة، إذا عرفت هذه المقدمات سهل عند ذلك تصور كيفية هذا النوع من السحر، وذلك لأن المشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم

إليه حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئاً آخر عملاً بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفياً لتفاوت الشئيين، أحدهما: اشتغالهم بالأمر الأول، والثاني سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني وحيثئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعلمه ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجهم، لفظن الناظرون لكل ما يفعله، فهذا هو المراد من قولهم: إن المشعبد يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ العيون إلى غير الجهة التي يحتال فيها وكلما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق في عمله، وكلما كانت الأحوال التي تفيد حس البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد كان هذا العمل أحسن، مثل أن يجلس المشعبد في موضع مضيء جداً، فإن الضوء يفيد البصر كلالاً واختلالاً، وكذا الظلمة الشديدة وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالاً واختلالاً، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها، فهذا مجامع القول في هذا النوع من السحر.

النوع الخامس من السحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى: مثل فارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر وكفارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير أن يمسه أحد، ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى يصورونها ضاحكة وباكية، حتى يفرق فيها بين ضحك السرور وبين ضحك الخجل وضحك الشامت، فهذه الوجوه من لطيف أمور المخايل، وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب، ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات، ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال وهو أن يجر ثقبلاً عظيماً بآلة خفيفة سهلة وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر، لأن لها أسباباً معلومة نفيسة من اطلع عليها قدر عليها، إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسيراً شديداً لا يصل إليه إلا الفرد بعد الفرد لا جرم عد أهل الظاهر ذلك من باب السحر، ومن

هذا الباب عمل «أرجعيانوس» الموسيقار في هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه وذلك أنه اتفق له أنه كان مختارًا بفلاة من الأرض فوجد فيها فرخًا من فراخ البراصل، والبراصل هو طائر عطوف وكان يصفر صفيًا حزينًا بخلاف سائر البراصل وكانت البراصل تغيثه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل بعضها عند حاجته ويفضل بعضها عن حاجته فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمل حال ذلك الفرخ وعلم أن في صفيته المخالف لصفيير البراصل ضربًا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور وجاءته بما يأكله فتلطف بعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفيير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ، لأنها تظن أن هناك فرخًا من جنسها فلما صح له ما أراد أظهر النسك وعمد إلى هيكل أورشليم وسأل عن الليلة التي دفن فيها «أسطرخس» الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل وجعل فوق تلك الصورة قبة وأمرهم بفتحها في أول آب وكان يظهر صوت البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلئ تلك القبة كل يوم من ذلك الزيتون والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون ويدخل في الباب أنواع كثيرة لا يليق شرحها في هذا الموضوع.

النوع السادس من السحر: الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تلبد عقله وقلت فطنته. واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق^(١).

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمته: «عمدة التفسير» (ص ٢٠٣): يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مُدعيًا أنها أحوال له من مخالطة النيران ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات.

النوع السابع من السحر: تعلق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن لتعلق القلب أثرًا عظيمًا في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار^(١).

النوع الثامن من السحر: السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس، فهذا جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه^(٢)، والله أعلم.



س: ما منزلة السحر بين الذنوب؟ وما حكم الساحر؟ وما حدُّه؟

ج: السحر من كبائر الذنوب، وذلك لأن النبي ﷺ ثناه بالشرك ففي «الصححين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»^(٣).

❁ **ومن أهل العلم من ذهب إلى أن السحر كفر لقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُونَ وَمُوسَىٰ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾**

[البقرة: ١٠٢]

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمته الله: هذا النمط يقال له: (التنبلة) وإنما يروج على ضعف العقول من بني آدم - وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه فإذا كان المتنبل حاذقًا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره.

(٢) قلت: ويلحق به البيان الحسن (الأسلوب الحسن) فقد قال النبي ﷺ: «إن من البيان لسحراً».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (حديث ٨٩).

❦ **وكذلك حكم الساحر** فمن العلماء من ذهب إلى أنه مرتكب لكبيرة ومنهم من ذهب إلى أنه كافر، ومن العلماء من فصل في ذلك.

❦ **قال النووي رَحِمَهُ اللهُ:** إن كان في السحر قول أو فعل يقتضي الكفر كفر الساحر وتقبل توبته إذا تاب عندنا، وإن لم يكن في سحره ما يقتضي الكفر عزر واستتيب.

❦ **وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:** وقال بعض العلماء: إن قال أهل الصناعة: إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والاستكبار أو تعظيم الشيطان فالسحر إذاً دالٌّ على الكفر على هذا التقدير، والله أعلم.

❦ **وقال صديقه حسن خان في (فتح البيان في مقاصد القرآن):** وفي قولهما: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أبلغ إنذار وأعظم تحذير أي: أن هذا ذنب يكون من فعله كافرًا فلا تكفر، وفيه دليل على أن تعلم السحر كفر، وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد، وبين من تعلمه ليكون ساحرًا ومن تعلمه ليقدر على دفعه، وبه قال أحمد.

❦ **قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ:** (فتح الباري ١/٥٣٢): وقد استدلل بهذه الآية^(١) على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها وهو التعبد للشياطين أو للكواكب، وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلاً قال النووي: عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرًا ومنه ما لا يكون كفرًا بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه حرام، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل فإن تاب قبلت توبته، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر، وعن مالك: الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب بل يتحتم قتله كالزنديق، قال عياض وبقول مالك قال أحمد وعياض وجماعة من الصحابة والتابعين. اهـ.

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا...﴾ [البقرة: ١٠٢].

وفي المسألة اختلاف كثير وتفاصيل ليس هذا موضع بسطها، وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين إما لتمييز ما فيه كفر عن غيره، وإما لإزالته عمّن وقع فيه، فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإن سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجردة لا تستلزم منعاً كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان، لأن كيفية ما يعملها الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل بخلاف تعاطيه والعمل به، وأما الثاني فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلاً، وإلا جاز للمعنى المذكور.

أما حدُّ الساحر: فقد رأى فريق من أهل العلم أن الساحر يقتل لحديث: «حد الساحر ضربة بالسيف» لكن هذا الحديث ضعيف ولا يثبت عن رسول الله ﷺ. واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] قالوا: فدل ذلك على أن السحر كفر ومن ثم يقتل فاعله. واستدلوا أيضاً بأنه روي عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم قتل الساحر.

ومن العلماء من فصل في حد الساحر فنظر في تفصيله إلى طريقة السحر التي سحر بها وإلى النتيجة من وراء هذا السحر، فإن سحر بنفسه بكلام يكون كفراً فيقتل حينئذ ولا يستتاب ولا تقبل توبته^(١).

قال القرطبي رحمته الله: واختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم والذمي فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً فيقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته، لأنه أمرٌ يستسر به كالزندق والزاني، ولأن الله تعالى سمى السحر كفراً بقوله: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وهو قول أحمد ابن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة، وروي قتل الساحر عن عمر

(١) المراد بعدم قبول التوبة هنا قبولها في الظاهر أي لا يُدرأ عنه الحد لقوله إنّي تبت، وذلك، لأن باب التوبة مفتوح لكل من أَرَادَهَا لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين...
ثم قال رسول الله: قال ابن المنذر: وإذا أقرَّ الرجل أنه سحر بكلامٍ يكون كفرًا وجب قتله إن لم يتب، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ووصفت البينة كلامًا يكون كفرًا، وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفرٍ لم يجز قتله. انتهى المراد.
قلت: ومن العلماء من فرَّق بين ساحر أهل الكتاب والساحر المسلم، فذهب إلى أن ساحر أهل الكتاب لا يُقتل إلا إذا قتل بسحره، لكنه يعاقب على قدر ما أحدث وألحق الضرر.

قلت: ويشهد لهم قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

قال الحافظ ابن حجر: (فتح الباري ١/٧٤٢).

لا يقتل ساحر أهل الكتاب عند مالك والزهري إلا أن يقتل بسحره فيقتل وهو قول أبي حنيفة والشافعي وعن مالك إن أدخل بسحره ضررًا على مسلم لم يعاهد عليه نقض العهد بذلك فيحل قتله، وإنما لم يقتل النبي ﷺ لبيد بن الأعصم؛ لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ولأنه خشي إذا قتله أن ثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار وهو من نمط ما راعاه من ترك قتل المنافقين سواء كان لبيد يهوديًا أو منافقًا على ما مضى من الاختلاف فيه... انتهى المراد.

س: هل ثبت أن الرسول ﷺ سُحر؟

ج: نعم وقد ثبت ذلك في «الصحيحين»^(١) ففي البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سُحر النبي ﷺ حتى إنه ليُخيلُ إليه أنه يفعل الشيء^(٢) وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال: «أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟» قلت: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال:

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٦٥، ٥٧٦٦)، ومسلم (حديث ٢١٨٩).

(٢) في رواية للبخاري: حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن.

مطبوب^(١) قال: ومن طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق، قال: في ماذا؟ قال: في مُشَطِّ ومشاطة^(٢) وُجْف طلعةٍ ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان^(٣) « قال: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخلٌ ثم رجع إلى عائشة فقال: «والله لكأن ماءها نُقاعة»^(٤) الحِناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين»، قلت: يا رسول الله أفأخرجته^(٥)؟ قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وكرهت أن أثور على الناس منه شرًّا» وأمر بها فدفنت.



أجوبة أهل العلم على

- (١) مطبوب أي: مسحور.
- (٢) المشاطة هي: الشعر الذي يسقط من الرأس أو الحية عند تسريحهما وتمشيطهما.
- (٣) في رواية في بئر (ذروان).
- (٤) نقاعة الحناء هي الماء الذي تُنقع فيه الحناء، والحناء معلومة وهي التي تستعمل في الخضاب.
- (٥) في هذه الرواية (أفأخرجته) وفي رواية أخرى في البخاري أيضًا (٥٧٦٥) قالت: (فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال: «هذه البئر التي أريتها، وكان ماءها نُقاعة الحناء وكان نخلها رءوس الشياطين» قال فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا - أي تنشّرت؟ فقال «أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحدٍ من الناس شرًّا».
- * وفي رواية ثالثة للبخاري (٥٧٦٣): قلت يا رسول الله: (أفلا استخرجته) قال: «قد عافاني الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًّا» فأمر بها فدفنت.
- * وفي رواية مسلم (قالت: فقلت يا رسول الله أفلا أحرقتة؟ قال: «لا أمّا أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شرًّا فأمرتُ بها فدفنت» وفي رواية أخرى لمسلم: وقالت: قلت يا رسول الله فأخرجه.
- * ورَجَّح الحافظ ابن حجر رحمه الله رواية سفيان بن عيينة (التي هي فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال: «هذه البئر التي أريتها وكان ماءها نقاعة الحناء، وكان نخلها رءوس الشياطين» قال: فاستخرج قالت فقلت: أفلا - أي تنشّرت؟ فقال: «أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على الناس شرًّا».
- * وأورد الحافظ ابن حجر رحمه الله وجهًا آخر عن بعض العلماء حاصله أن الاستخراج المنفي غير الاستخراج المثبت، فالمثبت هو استخراج الجف، والمنفي استخراج ماحواه، قال: وكان السر في ذلك أن لا يراه الناس فيتعلمه من أراد استعمال السحر.
- * هذا وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله: (أفلا أحرقتة) يرجع الضمير فيه إلى لبيد بن الأعصم الذي سحر رسول الله ﷺ، والله تعالى أعلم.

الطاعنين في حديث سحر النبي

س: اذكر بعض الاعتراضات التي اعترض بها على حديث السحر وكيف تم دفعها؟

ج: أوجز الحافظ ابن حجر رحمته الله هذه الردود فقال في فتح الباري (١/٧٣٢،

(٨٣٢):

قوله: (حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله).

قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز ذلك يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم، وأنه يوحي إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء.

قال المازري: وهذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأعراض؛ فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطئ زوجته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيرًا ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

قلت: وهذا قد ورد صريحًا في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه: «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن»، وفي رواية الحميدي: «أنه يأتي أهله ولا يأتيهم»، قال الداودي: «يرى» بضم أوله أي: يظن، وقال ابن التين: ضبطت «يرى» بفتح أوله.

قلت: وهو من الرأي لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن، وفي مرسل يحيى بن

يعمر عند عبد الرزاق: «سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره»، وعنده في مرسل سعيد بن المسيب: «حتى كاد ينكر بصره»، قال عياض: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده.

قلت: ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد: «فقال أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبياً فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله»، قلت: فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح، وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حجة، وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخييل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عاداته من الاقتدار على الوطاء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود، ويكون قوله في الرواية الأخرى: «حتى كاد ينكر بصره» أي: صار كالذي أنكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفتته، فإذا تأمله عرف حقيقته، ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به.

وقال المهلب: صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في الصحيح أن شيطاناً أراد أن يفسد عليه صلواته فأمكنه الله منه فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصاً على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين.

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: «أما أنا فقد شفاني الله»، وفي الاستدلال بذلك نظر، لكن يؤيد المدعي أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في «الدلائل»: «فكان يدور ولا يدري ما وجعه»، وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد: «مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان» الحديث.



س: ما معنى النشرة، وهل هي مشروعة أم لا؟ وهل يُسئل الساحر حل السحر عن المسحور؟

ج: النشرة هي نوع من العلاج يُعالج به من يُظن أن به سحرًا أو مسًا من الجن. أما هل هي مشروعة أم غير مشروعة، فالذي يظهر لي بعد مراجعة ما ورد فيها أنها على أقسام.

✽ نشرة مشروعة وتكون بالرقى والأذكار والأدعية الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهذه مشروعة بلا شك ويلتحق بها نشرة لم يرد نصُّها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولكنها أدعية وأذكار مفهومة معروفة فهذه أيضًا مشروعة لقول النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم يكن شرًّا».

✽ نشرة غير مشروعة وهي بالتعاويد الشركية والبدعية.

✽ نشرة بطلاسم وأذكار غير مفهومة فهذه تترك أيضًا خشية أن يكون بها شرك والشخص لا يشعر، والله تعالى أعلم.

✽ أما هل يُسأل الساحر حل السحر عن المسحور؟ فقال القرطبي: «أجازه سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري^(١)، وإليه مال المُرني وكرهه الحسن

(١) ذكر البخاري في صحيحه في كتاب «الطب» (مع الفتح ١٠ / ٢٤٣) باب هل يستخرج السحر، قال: وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب - أو يؤخذ عن امرأته، أحلُّ عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم يُنه عنه.

كذا ذكره البخاري معلقًا، وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وصله أبو بكر الأثرم في كتاب «السنن» من طريق أبيان العطار عن قتادة، ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة بلفظ يلتمس من يداويه؟ فقال: «إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع» وأخرجه الطبري في «التهديب» من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأسًا إذا كان بالرجل سحرًا أن يمشي إلى من يطلق عنه فقال: هو صلاح، قال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك يقول: لا يعلم ذلك إلا ساحر، قال: فقال سعيد بن المسيب: إنما نهى عما يضر ولم ينه عما ينفع.

* هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (فتح الباري ١٠ / ٢٤٦): قال ابن القيم رحمته الله: من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة، فالقلب إذا كان ممثلًا من الله معمورًا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء

البصري، وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة، قال ابن بطال: وفي كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدرٍ أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله قلت: وهذا غير وارد عن رسول الله ﷺ، ولا تتضح فيه صورة شرك فإن جُرِّب ونفع الله به فهو ذاك، وإلا فالحجة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والله تعالى أعلم.



س: اذكر بعض الفروق بين المعجزة والسحر؟

ج: من هذه الفروق أن السحر يوجد من الساحر ومن غيره أما المعجزة فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها ومن هذه الفروق أن المعجزة يُستدل بها على توحيد الله ﷻ أما السحر فليس كذلك.



قصة هاروت وماروت

س: ما معنى (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وهل الملكان هما هاروت وماروت؟ وإذا لم يكونا هاروت وماروت فمن هما ومن هما هاروت وماروت؟

ج: أما (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ...﴾ [البقرة: ١٠٢] فلا هل العلم فيها أقوال أشهرها ما يلي:

الأول: أن (ما) بمعنى (لم) أي: أن (ما) هي (ما) النافية.

الثاني: أن (ما) بمعنى (الذي).

الثالث: أن (ما) بمعنى (الذي) لكن المراد به (التفريق بين المرء وزوجه)^(١).

= والتوجه لا يُخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابتها السحر له.

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (أثر ١٦٧٤) قوله: (يُعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ

الرابع: أن (ما) يجوز في هذا الموطن أن تكون بمعنى الذي ويجوز أن تكون بمعنى (لم) ^(١).

✽ أما هاروت وماروت فمن العلماء من قال: إنهما الملكان المذكوران في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وهما ملكان من الملائكة ابتلاهما الله ﷻ وابتلى بهما على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

✽ **ومن العلماء من قال:** إن هاروت وماروت رجلان مفسدان يعلمون الناس التفريق بين المرء وزوجه وصنوفاً أخرى من السحر، وعلى هذا القول فالملكان هما جبريل وميكائيل.



س: ما تأويل قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]؟

ج: تأويل هذا مبني على تفسير (ما) وعلى بيان المراد بالملكين وبيان من هما هاروت وماروت فليُنظر إلى السؤال السابق مع جوابه، وعليه فنقول:

✽ **بناء على أن (ما) بمعنى لم:** قال ابن جرير الطبري **كلمة** تعالى في تأويل القدر المذكور من الآية: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴿بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ [البقرة: ١٠٢] فيكون حينئذٍ قوله: ﴿بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ [البقرة: ١٠٢] من المؤخر الذي معناه التقديم، فإن قال قائل - وكيف وجه

﴿بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فالسحر سحران سحرٌ تعلّمه الشياطين، وسحرٌ يعلمه هاروت وماروت.

قلت: وحمل بعض العلماء السحر الذي يُعلّمه هاروت وماروت على التفريق بين المرء وزوجه.

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد رحمه الله - (١٦٧٨) وسأله رجل عن قول الله عز وجل: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ [البقرة: ١٠٢] فقال الرجل: يعلمان الناس ما أنزل عليهما؟ أم يُعلِّمان الناس ما لم ينزل عليهما؟ قال القاسم: ما أبالي أيتهما كانت.

تقديم ذلك؟

قيل: وجه تقديمه أن يُقال: واتبعوا من تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معنيًا بـ (الملكين) جبريل وميكائيل، لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبهما الله بذلك وأخبر نبيه محمدًا ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر وأخبرهم أن السحر عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ذلك ببابل وأن اللذين يعلمانهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون ﴿هَرُوتَ وَمَرُوتَ﴾ **[البقرة: ١٠٢]** على هذا التأويل ترجمة على الناس وردًا عليهم.

قلت: وهذا التأويل لا يخلو من تكلف وترد عليه إشكالات منها:

❖ أنه لا يوجد في الآية الكريمة ذكر لجبريل وميكائيل.

❖ **والثاني:** أنه إذا كان هاروت وماروت على ما ذكر لكان من حقهما الرفع هاروت وماروت.

❖ **والثالث:** أن التقديم والتأخير على النحو المذكور فيه شيء من التعسف والتكلف.

❖ **الرابع:** أن قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ **[البقرة: ١٠٢]** جمع وماروت وماروت مشنى، فهذا وجه النظر عندي في هذا التأويل، قاله: (مصطفى) وإن قلنا إن (ما) بمعنى (الذي): فقد قال ابن جرير **رحمته الله** في تأويل الآية على هذا الوجه:

واتبعت اليهود الذي تلت الشياطين في ملك سليمان، والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وهما ملكان من ملائكة الله **رحمته الله**.

وانتصر ابن جرير الطبري **رحمته الله** لهذا الوجه فقال (٢/ ٤٢٤): والصواب من

القول في ذلك عندي قول من وجَّه (ما) التي في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ **[البقرة: ١٠٢]** إلى معنى (الذي) دون معنى (ما) التي هي بمعنى الجحد، وإنما اخترت ذلك من أجل أن (ما) إن وجَّهت إلى معنى الجحد تنفي عن (الملكين) أن يكونا منزلاً إليهما، ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما أعني (هاروت وماروت) من أن يكونا بدلاً منهما وترجمة عنهما أو بدلاً من (الناس) في قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ **[البقرة: ١٠٢]** وترجمة عنهما.

فإن جعلاً بدلاً من (الملكين) وترجمة عنهما بطل معنى قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ **[البقرة: ١٠٢]**، لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يفرِّق به بين المرء وزوجه فما الذي يتعلَّم منهما من يفرق بين المرء وزوجه؟ وبعد^(١) فإن (ما) التي في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ **[البقرة: ١٠٢]** إن كانت في معنى الجحد عطفًا على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ **[البقرة: ١٠٢]** فإن الله جل ثناؤه نفى بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ **[البقرة: ١٠٢]** عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه فإن كان الذي نفى عن الملكين من ذلك نظير الذي نفى عن سليمان منه، وهاروت وماروت هما الملكان - فمن المتعلِّم منه إذا ما يفرِّق به بين المرء وزوجه؟ وعمن الخبر الذي أخبر عنه بقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ **[البقرة: ١٠٢]**؟ إن خطأ هذا القول لواضح بين وإن كان قوله: ﴿هَارُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ **[البقرة: ١٠٢]** ترجمة عن (الناس) الذين في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ **[البقرة: ١٠٢]** فقد وجب أن تكون الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت والسحر وتكون السحرة إنما تعلمت السحر من (هاروت وماروت) عن تعليم الشياطين إياهما، فإن يكن ذلك كذلك فلن يخلو

(١) قوله هنا (وبعد) بمعنى أيضًا، فقد تقدم أن لها معاني كما في قوله تعالى: (عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْبِرٌ ﴿١٣﴾) [القلم: ١٣] أي: عتل مع ذلك.

(هاروت وماروت) - عند قائل هذه المقالة - من أحد أمرين:

إما أن يكونا ملكين، فإن كان عنده ملكين فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له بنسبته إياهما إلى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر ويعلمانه الناس وإصرارهما على ذلك ومقامهما عليه أعظم مما ذكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التي استحقا عليها العقاب، وفي خبر الله ﷻ عنهما أنهما لا يعلمان أحداً ما يتعلم منهما حتى يقولوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] ما يغني عن الإكثار في الدلالة على خطأ هذا القول.

❁ أو أن يكونا رجلين من بني آدم فإن يكن ذلك كذلك فقد كان يجب أن يكون بهلاكهما قد ارتفع السحر والعلم به والعمل من بني آدم، لأنه إذا كان علم ذلك من قبيلهما يؤخذ ومنهما يتعلم فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما عدم السبيل إلى الوصول إلى المعنى الذي كان لا يوصل إليه إلا بهما، وفي وجود السحر في كل زمان ووقت أبين الدلالة على فساد هذا القول، وقد يزعم قائل ذلك أنهما رجلان من بني آدم لم يعدما من الأرض منذ خلقت ولا يُعدمان بعد ما وجد السحر في الناس فيدعي ما لا يخفى بطوله^(١) فإن فسدت هذه الوجوه التي دللنا على فسادها فبين أن معنى (ما) التي في قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ١٠٢] بمعنى (الذي) وأن (هاروت وماروت) مترجم بهما عن الملكين، ولذلك فتحت أواخر أسمائهما، لأنهما في موضع خفض على الرد على (الملكين) ولكنهما لما كانا لا يُجران فتحت أواخر أسمائهما، فإن التبس على ذي غباء ما قلنا فقال، وكيف يجوز للملائكة الله أن تعلم الناس التفريق بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أن يُضاف إلى الله ﷻ إنزال ذلك على الملائكة؟ قيل له: إن الله جل ثناؤه عرّف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به ويُنهون عنه، ولو كان الأمر

(١) أي بطلانه.

على غير ذلك لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم فالسحر مما قد نهى عنه عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علّمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما: ﴿إِنَّمَا مَحْنٌ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر فيمحص المؤمن بتركه التعلّم منهما ويُخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما، ويكون الملكان في تعليمهما من علّم ذلك الله مطيعين إذ كانا عن إذن الله لهما بتعليم ذلك من علّمهما يعلمان، وقد عبّد من دون الله جماعة من أولياء الله فلم يكن ذلك لهم ضائراً إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به بل عبّد بعضهم والمعبود عنه ناه، فكذلك الملكان غير ضائرها سحر من سحر ممن تعلّم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه وعظتهما له بقولهما: ﴿إِنَّمَا مَحْنٌ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] إذ كان قد أدّى ما أمرا به بقليلهما ذلك، والله أعلم.

أما القرطبي رحمته الله (٢/٥٥): قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ١٠٢] (ما) نفي والواو للعطف على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك، وفي الكلام تقديم وتأخير، التقدير وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت، فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢] هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه، كذا قال القرطبي رحمته الله.

قال ابن العربي رحمته الله (أحكام القرآن ١/٨٢):

اختلف الناس في حرف (ما) فمنهم من قال إنه نفي، ومنهم من قال: إنه مفعول وهو الصحيح، ولا وجه لقول من يقول: إنه نفي لا في نظام الكلام ولا في صحة المعنى ولا يتعلق من كونه مفعولاً سياق الكلام بمحال عقلاً ولا يمتنع شرعاً

وتقريره: واتبع اليهود ما تلتته الشياطين من السحر على ملك سليمان أي: نسبته إليه وأخبرت به كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [الحج: ٥٢] أي: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته ما لم يلقه النبي يحاكيه ويلبس على السامعين به حسبما بيناه.

وما كفر سليمان قط ولا سحر، ولكن الشياطين كفروا بسحرهم وأنهم يعلمون الناس، ومعتقد الكفر كافر، وقائله كافر، ومعلمه كافر، ويعلمون الناس ما أنزل على الملكين بابل هاروت وماروت، وما كان الملكان يُعلمان أحداً حتى يقولوا: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].



س: هل يجوز أن ينزل الله ﷻ السحر أو هل يجوز أن تعلمه الملائكة للناس؟

ج: أجاب على هذا ابن جرير الطبري رحمه الله بقوله: إن الله ﷻ قد أنزل (١) الخير والشر كله وبيّن جميع ذلك لعباده فأوحاه إلى رسله وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحلُّ لهم مما يحرم عليهم، وذلك كالزنا والسرقة وسائر المعاصي التي عرفوها ونهاهم عن ركوبها فالسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها ونهاهم عن العمل بها وليس في العلم بالسحر إثم كما لا إثم في العلم بصناعة الخمر ونحت الأصنام والطناير والملاعب، وإنما الإثم في عمله وتسويته، وكذلك لا إثم في العلم (٢) بالسحر وإنما الإثم في العمل به وأن يضرَّ به من لا يحلُّ ضرُّه به، فليس في إنزال الله إياه على الملكين ولا في تعليم الملكين من علماء من الناس إثم إذ كان تعليمهما من

(١) وقد قال النبي ﷺ ذات ليلة: «سبحان الله ماذا أنزل من الفتن...» الحديث.

(٢) أما قوله لا إثم في السحر ففيه نظر، فإن الله عز وجل قال: (وَمَا يَلْمِزُكَ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) [البقرة: ١٠٢] ولو كان في تعليم السحر خيرٌ لتعلمه رسول الله ﷺ وعلمه أصحابه أو حثهم على تعلمه، والله تعالى أعلم.

علّمناه ذلك بإذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة وينهايه عن السحر والعمل به والكفر، وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به إذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك لم يكن من تعلمه حرجاً كما لم يكونا حرجين لعلمهما به إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما.

وقال ابن العربي رحمته (أحكام القرآن ١/ ٨٢):

فإن قيل كيف أنزل الله تعالى الباطل والكفر؟ قلنا: كُلُّ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ أَوْ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ مَنْزُورٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح: «ماذا فتح الليلة من الخرائن؟ ماذا أنزل الله تعالى من الفتن؟ أيقظوا صواحب الحُجْرِ رَبًّا كَاسِيَةً فِي الدُّنْيَا عَارِيَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، فأخبر صلى الله عليه وسلم عن نزول الفتن على الخلق.



س: إذا قلنا إن (ما) في قوله تعالى: ﴿رَمَّا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ﴾ [البقرة: ١٠٢] بمعنى الذي فما الذي أنزل على الملكين ببابل؟

ج: لأهل العلم فيه قولان: أحدهما أنه السحر أيضًا.

وقول آخر - أنه التفريق بين المرء وزوجه لقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].



س: ما الحاصل في تأويل قوله تعالى: ﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ لَكِبَتْ لَهُمْ لَبَابٌ﴾^(١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سَلِيمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُنُوتَ وَمُرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠١، ٢٠١]؟

(١) أخرج البخاري (حديث ٧٠٦٩) من حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعًا يقول: «سبحان الله ماذا أنزل الله من الخرائن، وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات - يريد أزواجه - لكي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة».

ج: بين الله ﷻ حال اليهود وما هم عليه من العناد والشقاق لأنبياء الله وللكتب المنزلة من عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وأنهم كان عندهم في التوراة صفة رسول الله ﷺ وبعثه فلما جاء رسول الله ﷺ موافقاً في صفته وبعثه وما عندهم في التوراة ويأمر بالتوحيد والإيمان برسول الله وملائكته... إلى غير ذلك رفض هؤلاء اليهود التوراة ونبذوها وراء ظهورهم نبذ رجل جاهل، وهم في الحقيقة يعلمون ما فيها فتركوها لما وجدوها توافق رسول الله ﷺ وتصدقها ويوافقها ويصدق الثابت فيها واتجهوا بعد نبذها - كما اتجه كل نابذ للحق - إلى الأكاذيب والأباطيل وأنواع السحر والشعوذة التي افترتها الشياطين ونسبتها إلى سليمان غ كذباً وزوراً، وما سحر سليمان غ، ولا أمر بالسحر ولا أقره بحال من الأحوال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وما كفر سليمان غ، ولكن الشياطين كفروا، وكفروا باختلافهم السحر وتعليمه للناس، وكفروا أيضاً بتعليمهم الناس الذي أنزل على الملكين بابل هاروت وماروت من التفريق بين المرء وزوجه وماروت وماروت ملكان بابل تتعلم الشياطين وأتباعها منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما يعلمان من أحد حتى يحذرانه ويقولان له إنما نحن فتنة فلا تكفر. هذا هو الذي يقتضيه السياق، والله تعالى أعلم.

❖ **وترد على هذا التأويل تساؤلات منها:**

❖ هل أنزل السحر أو (تعلمه) على الملكين؟ فالإجابة بنعم فإن الله أخبر بذلك وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ١٠٢] و(ما) هنا بمعنى الذي ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ٢٠١] ففيه دليل على أن التفريق بين المرء وزوجه يتعلم من الملكين .

فإن قال قائل: وهل ينزل الشر؟

فالإجابة بنعم فإن النبي ﷺ قد قال ذات ليلة: «سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن...» الحديث.

فإن قال قائل: كيف ينزل السحر على الملكين ويعلمانه للناس، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

يقول في شأن الملائكة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿الأنبياء: ٢٦، ٢٧﴾، وقال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿التحریم: ٦﴾.

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿النساء: ١٧٢﴾ إلى غير ذلك من الآيات الواردة في فضل الملائكة وطاعتها لربها ﷻ!؟

فالإجابة على ذلك من وجوه:

﴿أحدها﴾: أن هذا من العام المخصوص بمعنى أن عموم الملائكة صالحون مطيعون لله ﷻ فيما أمر مجتنبين ما نهى عنه الله وزجر إلا أنه قد يكون فيهم من عصى ولا يعكر عصيانه على عموم الصالحين، قد قدمنا أن رأي الجمهور أن إبليس كان ملكاً^(١) ومع ذلك فقد عصى، وأيضاً قال الله ﷻ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴿الحجرات: ١٤﴾ فنفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن الأعراب في هذه الآية الكريمة، وأثبت الله ﷻ الإيمان لبعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿التوبة: ٩٩﴾.

﴿الثاني﴾: أنه ليس في الآية الكريمة ما يُفيد صراحة أن الملكين عصاة إنما غاية ما في الآية الكريمة أن الشياطين أو (الناس) يتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، هذا غاية ما في الآية الكريمة بشأن الملكين، فقد يكونا قد أمرا بذلك من الله ﷻ وحينئذ لا يكونا عاصيين، ويؤيد قولهما لمن تعلم منهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴿البقرة: ١٠٢﴾.

(١) وقد حررنا القول في ذلك وهل هو ملك أم جني من قبل فانظره إن شئت.

❁ **الوجه الثالث:** ما ذكره بعض العلماء حيث قال: إن السحر أنزل ليُتعلَّم على جهة التحذير وممن قال بهذا القول ابن عطية رحمته (١)، وقال عبد القادر بن شببة الحمد - غفر الله له - في تفسيره (١/ ٢٣٢): وأخطر أنواع السحر ما كان بالرقى الشيطانية والنفث في العقد، وهذا النوع من السحر لا يفعله إلا الكافر بالله، ولما كثر شر هذا النوع من السحر أنزل الله الملكين هاروت وماروت ببابل من أرض العراق يعلمان الناس فك سحر المسحورين ويحذرانهم من إيذاء الناس بالسحر، ويقولان لكل من يعلمانه إننا نحن فتنة فلا تكفر أي: فلا تستغل فرصة معرفتك لفك سحر المسحورين بسحر الناس، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِالْبَابِلِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وذلك أن تعليمهما كان ذا وجهين، يمكن استخدامه في وجوه من الشر ويمكن استخدامه في وجوه الخير، وهو فك المسحور، وكما قال ﷻ: ﴿وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] وقد تكون معرفة طرق الشر ضرورية للقضاء عليها وفي ذلك يقول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
انتهى المراد من كلامه حفظه الله (٢).

❁ أما ما قصة هاروت وماروت وما شأنهما فسيأتي ذلك في سؤال لاحق إن شاء الله. وبالله التوفيق.



س: ما مدى صحة ما ذكر عن هاروت وماروت وفيه أن الملائكة في السماء قالت: أي رب هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك وقد ركبوا الكفر وقتل النفس الحرام

(١) في تفسيره (١ / ٣٠٧) محرر.

(٢) **قلت:** وهذا الوجه الذي ذكره الشيخ عبدالقادر فيه نظر عندي وذلك لأن الله قال: (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) [البقرة: ١٠٢] ولعل الشيخ عفا الله عنه فرَّ من وصف الملكين بالعصيان، وقدمنا في الوجه الثاني ما يصرف العصيان عنهما وبالله التوفيق والله تعالى أعلم.

وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم فقبل لهم اختاروا منكم ملكين أمرهما بأمرى وأناهما عن معصيتى فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض وجُعلت فيهما شهوات بنى آدم وأمرأ أن يعبدا الله ولا يشركا به شيئاً... إلى آخر ما ورد فى هذا الخبر ونحوه وفى آخره أنهما عصيا ربهما وشربا الخمر وقتلا النفس وزنيا... وفى آخر أمرهما أنهما اختارا عذاب الدنيا فجعلنا ببابل فهما يعذبان إلى يوم القيامة وكذلك المرأة التى أغوتها طارت فكانت كوكب الزهرة ونحو هذا...؟

ج: الأخبار الواردة فى هذا الصدد لا نعلم شيئاً منها ثابتاً عن رسول الله ﷺ، وإنما ذكرها بعض السلف والغالب أنهم تلقوها من الإسرائيليات التى يروىها أهل الكتاب، والعلم عند الله تعالى.

س: ما المراد بالتفريق بين المرء وزوجه فى قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] وكيف يُفَرِّقُ الشيطان بين المرء وزوجه؟

ج: المراد بالتفريق بين المرء وزوجه إما الطلاق، وإما المنع من الوطء، وإما بث الكراهية بين الزوجين.

أما كيفية التفريق بين المرء وزوجه:

فقال الطبري (١):

فإن قال قائل: وكيف يُفَرِّقُ بين المرء وزوجه؟

قيل: قد دللنا فيما مضى على أن معنى (السحر) تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به فى عينه وحقيقته بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه فإذا كان ذلك صحيحاً بالذى استشهدنا عليه فتفريقه بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلى كل واحدٍ منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به فى حقيقته من حُسنٍ وجمالٍ حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويُعرض عنه حتى يُحدث الزوج لامرأته فراقاً فيكون الساحر مفرقاً بينهما بإحداثه السبب الذى كان منه فُرقة ما بينهما ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة

(١) تفسير الطبري (٢ / ٤٤٦).

قال: وتفريقهما أن يؤخذ كلُّ واحد منهما عن صاحبه ويُبغض كل واحد منهما إلى صاحبه.



س: هل تفريق السحرة بين الزوجين مؤكد؟

ج: لا بل غير مؤكد إلا أن يشاء الله وإنما فعل السحرة من باب الأسباب والمسببات، وقد يأخذ الشخص بالأسباب ولا يوفق لنيل مراده فقد يسعى الإنسان للكسب مثلاً ويتاجر من أجل ذلك ويجد ويجتهد ولكنه يخسر فضلاً عن أن يحرم الكسب، وقد يتداوى الشخص ولكن لا ينجح فيه الدواء فكذلك الساحر قد يسحر ويُجري شعوراته ولا يستطيع أن يصل بضرره إلى الشخص، والله عَلَيْكَ يقول: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] ويقول سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[الأنعام: ١٧]

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٦) ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].
وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُّوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥-٣٨].

وقال النبي ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»^(١).

(١) صحيح، أخرجه أحمد في «المسند» (١ / ٢٩٣)، والترمذي (حديث ٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم (٣ / ٥٤١ - ٥٤٢)، وابن أبي عاصم في السنة (حديث ٣١٦ معلقاً)، وغيرهم من حديث



س: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾
[البقرة: ١٠٢] من هم الذين علموا؟

ج: هم اليهود النابذون لكتاب الله وراء ظهورهم، وقد نقل الطبري ﴿الإجماع على أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] معنيّ به اليهود دون الشياطين.



س: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ١٠٣] خيرٌ من ماذا؟

ج: خيرٌ من اتباعهم الكفر الذي تلتته الشياطين على ملك سليمان، وخيرٌ من الإثم الذي سيلحقهم من جراء هذا الاتباع، والله تعالى أعلم.



س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣]؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ [البقرة: ١٠٣] لو أن الذين يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴿ءَامَنُوا﴾ فصدقوا الله ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ربهم فخافوه فخافوا عقابه فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه لكان جزاء الله إياهم وثوابه لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه خيراً لهم من السحر وما اكتسبوا به ﴿لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣] أن ثواب الله إياهم على ذلك خيرٌ لهم من السحر ومما اكتسبوا به، وإنما نفى بقوله: ﴿لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣] العلم عنهم أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله وقدر جزائه على طاعته.



MOSTAFAALADWY.COM

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا
 وَأَسْمَعُوا ۗ وَاللَّكَفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ مَا يَوَدُّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
 أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ
 يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
 الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾



معناها	الكلمة
أمهلنا - فرغ لنا سمعك - اهتم بنا وأرشدنا لطرق الخير.	﴿رَاعِنَا﴾
مؤلم موجع.	﴿أَلِيمٌ﴾
ما يحب - ما يتمنى.	﴿مَا يَوَدُّ﴾
نبوته - الإسلام - عموم الرحمة.	﴿بِرَحْمَتِهِ﴾



س: ما المراد بقول المؤمنين لرسول الله ﷺ: ﴿رَاعِنَا﴾ وما المراد بقول اليهود له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿رَاعِنَا﴾؟

ج: للعلماء في بيان المؤمنين بقولهم لرسول الله ﷺ: ﴿رَاعِنَا﴾ أقوال منها:
 ﴿أمهلنا وأنظرنا حتى نفهم ما تقول ونعيه.﴾
 ﴿فرغ سمعك لنا يا رسول الله.﴾
 ﴿انظر إلينا واهتم بنا وأرشدنا لمقصد الخير وطرق الثواب.﴾
 ﴿أما مراد اليهود: فيقصدون بها الرعونة وهي الجهل المفرط والحماقة.﴾



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ في قوله ﷻ: ﴿... وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَأَسْمِعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]؟

ج: المعنى - والله أعلم - اسمعوا قولي وامثلوا أمري.



س: في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الذَّرْبُ ءَامِنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] دليل على سد الذرائع وضحه، وبين معنى الذريعة، واذكر بعض الأدلة عليها؟

ج: إيضاحه أن اليهود لما كانوا يشاركون المسلمين في قولهم (راعنا) إلا أنهم يلوون ألسنتهم بها ويحرفونها إلى ما يريدونه من وصف رسول الله ﷺ بالجهالة والحمق، نهي المؤمنون عن قول (راعنا) وأمروا باستعمال لفظٍ آخر غير مشتبه ولا يمكن معه الوصول إلى سب رسول الله ﷺ.

فسد هذا الذريعة التي يتوصل بها اليهود إلى النيل من رسول الله ﷺ حيث إنه لن يقول (راعنا) بعد قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الذَّرْبُ ءَامِنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] إلا من في قلبه سوء فحينئذ سينكف عن قولها خشية أن يظهر أمره وتظهر مخالفته، والله تعالى أعلم.

أما معنى الذريعة: فقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يُخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع.

أما الأدلة على سد الذرائع فمنها:

﴿ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ [الأنعام: ١٠٨].

﴿ وَمِنْهَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَتْمِ الرَّجُلِ أَبَا الرَّجُلِ حَتَّى لَا يُسَبَّ الشَّاتِمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ الْكِبَائِرُ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدِيهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدِيهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يُسَبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسَبُّ أَبَاهُ وَيَسَبُّ أُمَّهُ فَيَسَبُّ أُمَّهُ»^(١).

﴿ وَمِنْهَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مَشْبَهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ...»^(٢) الحديث فمَنع من الإقدام على الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات.

﴿ وَمِنْهَا النَّهْيُ عَنِ تَصْوِيرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَتَصْوِيرِ الصَّالِحِينَ حَتَّى لَا يُؤَدِيَ ذَلِكَ إِلَى الشَّرْكِ وَالْغُلُوِّ فِيهِمْ فَقَدْ ذَكَرَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ وَأُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَيْتُهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَرَأَيْتُهَا تَصَاوِيرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَوْلَتْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنُو عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ التَّصَاوِيرَ أَوْلَتْكَ شِرَارَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).



س: اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تثبت أن اليهود كانوا يلوون السبتهم بالكلام لصرفه عن ظاهره وتحويله إلى وجهة سيئة يريدونها هم؟

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٩٠) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، والبخاري (مع الفتح ٤٠٣/١٠).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٠٥١، ٢٠٥٢)، ومسلم (حديث ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) وانظر أدلة أخرى أوردناها عند قول الله تعالى: (وَلَا تُقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) [البقرة: ٣٥].

ج: من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]

✽ وقول النبي ﷺ: «إن اليهود إذا سلموا عليكم فإنما يقول أحدهم «السام»^(١)، أي: الموت.



س: لماذا نهى المسلمون عن قول (راعنا)؟

ج: ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المؤمنين إنما نُهوا عن قول (راعنا)، لأن اليهود كانت تستخدم تلك الكلمة للاستهزاء برسول الله ﷺ وسبه والسخرية والنيل منه^(٢).
✽ وذهب ابن جرير الطبري رحمه الله إلى أنها كلمة كرهها الله تعالى أن تُقال لنبية ﷺ كما قال النبي ﷺ: «لا تقولوا للعنب الكرم...»، والله تعالى أعلم.



س: ما وجه سياق الآية الكريمة: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾

[البقرة: ١٠٥] عقب قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]؟

ج: ذكر بعض أهل العلم أن وجه ذلك لبيان شدة عداوة الكافرين من القبيلين: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥] للمؤمنين، ومن ثم تنبيه المؤمنين على عدم التشبه بهم والسير وراءهم، والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بالرحمة في قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

[البقرة: ١٠٥]؟

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ١٢ / ٢٨٠)، ومسلم (مع النووي ١٤ / ١٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود إذا سلموا على أحدكم إنما يقولون: سام عليك فقل: عليك».

(٢) أخرج الطبري (١٧٢٨)، بإسناد حسن إلى قتادة: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا) [البقرة: ١٠٤] قولٌ كانت تقوله اليهود استهزاءً فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم.

ج: للعلماء فيها ثلاثة أقوال: منها:

الأول: أن المراد بالرحمة عموم الرحمة.

والثاني: أن الرحمة المراد بها الإسلام.

الثالث: أن المراد بالرحمة هنا النبوة، والله تعالى أعلم.

MOSTAFAALADWIY.COM

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
 اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ
 اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا
 رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَّبِعِ
 الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٨﴾

معناها	الكلمات
تُبدل آية بغيرها أو تُنزل حكمها أو نزيلهما (أي: اللفظ والحكم) معًا ننسيكها (من النسيان المعهود) أي: نمحها من الصدور، أو - ترتكها بلا نسخ ^(١) .	﴿نَنْسَخْ﴾ ﴿نُنسِهَا﴾
سوى الله - بعد الله - غير الله - قائم بأموركم يليها ويُدبرها لكم.	﴿دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلِيٍّ﴾
النصير هو: الناصر - المؤيد - المقوي - بل تريدون - أتريدون؟	﴿نَصِيرٍ﴾ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾
ذهب وحاد.	﴿ضَلَّ﴾
السواء هو: الوسط والمُعظم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَطَاعُوا فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٥٥]، ومنه قول حسان <small>رضي الله عنه</small> : يا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَنَسْلِهِ بعد المُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ وسواء السبيل هو: الطريق السوي المستقيم، وهو: الصراط	﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

(١) أعني أن فريقًا من العلماء قال بالقول الأول، وفريقًا قال بالقول الثاني.

المستقيم.

س: في قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا...﴾ [البقرة: ١٠٦] رد على اليهود فما وجه هذا الرد؟

ج: وجه هذا الرد أن اليهود ادَّعوا أنه لا يوجد نسخ لآيات الله ﷻ توصلًا بذلك منهم إلى إنكار آيات القرآن حتى يؤكدوا أن الأحكام الواردة في التوراة باقية إلى الأبد لم يتطرق إليها نسخ، فقالوا أثناء ذلك: إن محمدًا يأمر أصحابه اليوم بأمرٍ ثم ينهاهم عنه غدًا، واشتد طعنهم لما تحوَّلت قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام - على ما سيأتي بيانه إن شاء الله - فكان في قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا...﴾ [البقرة: ١٠٦] ردٌّ عليهم، ومن أوجه الرد عليهم أيضًا أن التوراة التي بين أيديهم ناسخة لأحكام قد تقدمتها، والله تعالى أعلم.



مبحث في النسخ

س: ما معنى النسخ؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦]؟

ج: النسخ يُطلق على معنيين:

أحدهما: النقل، كنقل كتاب من آخر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٢٩].

والثاني: الإزالة والإبطال، والإزالة على قسمين:

أولهما: إزالة الشيء وإقامة شيء مقامه^(١).

وثانيهما: إزالة الشيء وعدم إقامة شيء مقامه^(٢).

فالنسخ يكون بنقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر أو إلى إسقاطه.

﴿قال القرطبي﴾ في تفسيره: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾

[البقرة: ١٠٦] ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبذله ونغيره، وذلك أن يُحوّل الحلال

حراماً والحرام حلالاً والمباح محظوراً والمحظور مباحاً، ولا يكون ذلك إلا في

الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة، فأما الأخبار فلا يكون فيها نسخ

ولا منسوخ.



س: هل يوجد نسخ في الأخبار؟

ج: الجمهور من أهل العلم على أن الأخبار لا يتطرق إليها نسخ، نقله عنهم

القرطبي ﴿فقال: الجمهور على أن النسخ إنما هو مختص بالأوامر والنواهي،

والخبر لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى، وقيل: إن الخبر إذا تضمن

(١) ومنه قولهم نسخت الشمس الظل إذا أذهبتة وحلّت محلّه وكمثال له في الكتاب العزيز قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] نسخ قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

* وقوله تعالى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [البقرة: ١٨٥] نسخ قوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ

فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) [البقرة: ١٨٤] على رأي الجمهور.

(٢) قال القرطبي: ومن هذا المعنى قوله تعالى: (فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ) [الحج: ٥٢] أي يزيله فلا يتلى

ولا يثبت في المصحف بدله.

حُكْمًا شَرْعِيًّا جَازَ نَسْخَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [النحل: ٦٧].

هذا وقد تقدم قول الطبري رحمه الله أن الأخبار لا يكون فيها نسخ ولا منسوخ، والله أعلم.



س: اذكر تعريف (النسخ)؟

ج: قال القرطبي رحمه الله: ... فالذي عليه الحذاق من أهل السنة أنه إزالة ما قد استقر من الحكم الشرعي بخطاب وارد متراخياً.
وقال ابن عطية: وحد النسخ عند حذاق أهل السنة: الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه.



س: اذكر أشهر أقسام النسخ؟

ج: أشهر أقسام النسخ ثلاثة:

أولها: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، وهذا أكثر ما ورد، ومن أمثله: قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].
نسخ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقول الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

نسخ قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَاعَادُوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [النساء: ١٦].

وقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] على رأي الجمهور.

الثاني: نسخ التلاوة وبقاء الحكم مثل ما ذكره أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: (كان فيما أنزل. الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله ورسوله). وهذا كان مما يتلى فنسخ وبقي حكمه، والمراد بالشيخ والشيخة (المحصن والمحصنة).

والثالث: نسخ التلاوة والحكم معاً مثل نسخ الرضعات من عشر إلى خمس، ففي «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرّم من ثم نسخت بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وهن فيما يُقرأ من القرآن ^(١).

س: اذكر بعض الأدلة على النسخ؟

ج: من الأدلة على النسخ ما يلي:

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْمَرْنَا﴾﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ...﴾ الآية [النحل: ١٠١].

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

﴿الآيات الواردة في كتاب الله تعالى الدالة على النسخ كتحويل القبلة في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾﴾ [البقرة: ١٤٩] ونحوها.

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٤٥٢).

وقال النووي رحمته الله: (وهن فيما يُقرأ) معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى إنه صلى الله عليه وآله توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرأنا متلوّاً لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يُتلى.

✽ تخفيف الصلوات من خمسين صلاة إلى خمس صلوات.

✽ فداء إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم.

وثم أدلة أُخر في هذا الباب، والله تعالى أعلم.



س: متى يُصار إلى الحكم بالنسخ؟

ج: يُصار إلى الحكم بالنسخ عند تواجد الآتي:

- ١- **المخالفة**: بمعنى أن يكون هناك نص يخالف نصاً فهذا يأمر مثلاً وهذا ينهى وهذا يبيح وهذا يحظر، وهذا يُحل هذا يُحرّم.
- ٢- **تكافؤ الطرق**: وهذا يكون في الأحاديث وليس في الآيات، ومعناه في الأحاديث أن يكون هذا صحيحاً وهذا صحيحاً مثله أما إذا كان هناك صحيح وضعيف فلا يكون من باب النسخ والمنسوخ بل يُردُّ الضعيف ويُعمل بالصحيح فقط.
- ٣- **عدم إمكان الجمع**: بمعنى أن الجمع بين النسخ والمنسوخ يكون متعذراً.



س: ما الطرق التي يُتوصل بها إلى معرفة النسخ والمنسوخ؟

ج: لمعرفة النسخ طرق منها:

- ✽ معرفة التأريخ (أي: معرفة المتقدم من المتأخر).
- ✽ ورود لفظ في السياق يدل على النسخ كقول النبي ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»^(١).

✽ إجماع الأمة على أن آية ما من الآيات أو حديثاً من الأحاديث منسوخ، أو

(١) أخرجه مسلم (حديث ٩٧٧)، وأبو داود (حديث ٣٢٣٥)، والنسائي (٤ / ٨٩)، والترمذي (حديث ١٠٥٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، كلهم من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعاً.

قول جمهور العلماء أو بعضهم إذا كان مُدْعَوْماً بدليل وحجة، والله تعالى أعلم.



س: اذكر مثلاً لنسخ الأُخف بالأثقل والأثقل بالأُخف ولتساوي الوجهين ومثلاً
لآية منسوخة وليس هناك تكليف مكانها؟

ج: أما مثال نسخ الأُخف بالأثقل: فمنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] نسخ بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ولا شك أن الإلزام بالصوم أثقل من التخيير بين الصوم والإطعام.

❁ أما نسخ الأثقل بالأُخف: فمنه قوله تعالى: ﴿..وإن تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] نسخ بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

❁ ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] نسخت مصابرة العشرين للمائتين بقوله تعالى: ﴿أَكُنْ خَفِيفًا عَلَيْهِمْ لَعَلَّكَ خَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦] فأصبح الرجل ينازل الرجلين بدلاً من منازلته للعشرة.

❁ أما النسخ الذي تتساوى فيه الوجهتان: فمنه نسخ التوجه لبيت المقدس بقوله تعالى: ﴿قَوْلِ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٩]، والله تعالى أعلم.

❁ أما الآية المنسوخة ولم يبق مكانها تكليف: فهي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْتُمْ الرِّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ..﴾ [المجادلة: ١٢] نسخت بقوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ..﴾ [المجادلة: ١٣]، والله أعلم.



س: هل يُنسخ القرآن بالسنة والسنة بالقرآن؟ اذكر أمثلة لذلك؟

ج: نعم يجوز أن ينسخ القرآن بالسنة وتنسخ السنة بالقرآن فالسنة وحي، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

﴿ أما المثال لنسخ السنة بالقرآن: فهو قوله تعالى: ﴿.. فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ [المتحنة: ١٠] وكانت الاتفاقية بين رسول الله ﷺ والمشركون تقتضي أنه إذا جاء أحد^(١) من المشركون مُسلماً رده رسول الله ﷺ إلى المشركون فالنساء كن داخلات في هذا الاتفاق لكن نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ [المتحنة: ١٠].

﴿ ومثال لنسخ القرآن بالسنة على ما مثل به بعض العلماء حديث رسول الله ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، الثيب بالثيب جلد مائة والرجم، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام» نسخ قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَدْحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٥].

وكذلك حديث: «لا وصية لوارث» عند من صححه، ناسخ لقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ .. ﴾ [البقرة: ١٨٠]، والله تعالى أعلم.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ أَوْ نُنْسِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦]؟

ج: المعنى - والله أعلم - فيه لأهل العلم قولان:

القول الأول: ﴿ أَوْ نُنْسِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦] من النسيان الذي هو بمعنى الترك فيكون المعنى: ما ننسخ من آية أو نتركها بلا نسخ نأت بخير منها أو مثلها.

(١) القصة أخرجها البخاري بطولها في كتاب «الشروط» (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢) وفيها: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا... الحديث.

✽ وقد ر بعض العلماء هنا مقدرًا وهو (حُكْمٌ) فالمعنى ما ننسخ من حكم آية أو نترك حكمها نأت بخير منها أو مثلها.

✽ ويرد على هذا إيرادٌ وهو كيف تكون الآية باقية (أي: متروكة لم تنسخ) ويُقال نأت بخير منها أو مثلها؟ وللإجابة على ذلك وجوه:

أولها: أن المراد بـ(نسخها) نثبت لفظها ونترك حكمها.

ثانيها: أن المراد بالآية: الآية من آيات التوراة فالمعنى ما ننسخ من آية من آيات التوراة نأت بخير منها أو مثلها، وما نُنسي من آية من آيات التوراة نأت بآية في القرآن مثلها أو خير منها. لكن هذا القول لم يقل به هنا إلا قلة قليلة من أهل العلم. (أعني القول بأن المراد بالآية آية التوراة).

القول الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿نُسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] أي: نرفع لفظها فلا يستقر منها في القلوب والأذهان شيء، (وهو من النسيان المعهود لدى الناس) ومثال ذلك ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه من وجوه أن الذين قتلوا بيئر معونة أنزل الله تعالى فيهم قرآنًا يُتلى (أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) ثم نُسخ ذلك بعد.

✽ ومثال ذلك أيضًا ما أخرجه مسلم (٥٥٠١) من حديث أبي الأسود قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراءهم فاتلوه ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطُّول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها (لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغى واديًا ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)، وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات^(١) فأنسيتها غير أني حفظت منها: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَّا تَقْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة.

(١) أي السور التي تُفتتح بسبحان وسبح ونحوهما.



س: ما وجه الخيرية في الآيات الناسخة مع أن بعضها قد يكون أشق في العمل به من الآيات المنسوخة؟

ج: وجه الخيرية في الآيات الناسخة من عدة نواحي:

الناحية الأولى: أن الآيات الناسخة تكون في بعض الأحيان واضعة للأصار والأغلال التي كانت على الأمم من قبلنا.

الناحية الثانية: أن الآيات الناسخة قد تكون سهلة لينة في حفظها على الناس.

الناحية الثالثة: أن الآيات الناسخة، وإن كانت في بعض الأحيان أشق في العمل بها من الآيات المنسوخة إلا أن ثواب العمل بها أعظم من الآيات المنسوخة.

فعلى هذا تكون الخيرية في الآيات الناسخة عاجلاً وأجلاً.

عاجلاً في كون بعضها سهلاً يسيراً يخفف الله ﷻ به الأحكام.

وأجلاً في كون ثواب العمل بها أعظم، والله تعالى أعلم.



س: ما وجه ختام قوله ﷻ: ﴿مَا نَسَخْنَا مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْ مِنْهَا﴾ بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]؟

ج: وجه ذلك بيان قدرة الله ﷻ ونفي العجز عنه، فالله ﷻ قادر على أن يأتي بالآية المحكمة قبل الآية المنسوخة، ولكن يؤخر هذه ويبدل هذه بتلك وهو عالم بالأول والآخر ويعلم ما يصلح الناس في وقت وما يصلحهم في الوقت الآخر ويعلم أن الأليق بالناس والأنسب لهم في وقت ما أن يعملوا بكذا وفي الوقت الآخر أن يعملوا بكذا^(١)، والله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

(١) ألا ترى إلى الطبيب يذهب إليه المريض اليوم فيقول له الطبيب لا تأكل اللحم ولا السمك ولا تشرب اللبن، وبعد يوم يأتيه المريض فيقول له كل اللحم واشرب اللبن ولا تأكل السمك وبعد ذلك يُرخص له في الأكل من كل ذلك، والمريض يُسلم ولا يعترض أدنى اعتراض، وخاصة إذا كان يعلم أن الطبيب ماهراً حاذقاً ثقة، فيفعل ما به يؤمر دون أي تردد، بل وبنفس هادئة مطمئنة مستريحة لما يُقال له!!!.



س: قد يأتي الخطاب موجهاً إلى شخص ويُراد به غيره أيضاً، دَلِّل على هذا؟

ج: أما الدليل على هذا ففي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٧٠] فالخطاب صُدر لرسول الله ﷺ، وأريد به غيره أيضاً بدليل قوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وفي قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ ﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٠] فصدَّر الخطاب بقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ ﴾ [الأحزاب: ١] وختم بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢] فدخل فيه غير النبي ﷺ أيضاً، والله تعالى أعلم.



س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٧٠]؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ لِي مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانَهُمَا دُونَ غَيْرِي أَحْكَمُ فِيهِمَا وَفِيهَا مَا أَسَاءُ، وَأَمْرٌ فِيهِمَا وَفِيهَا مَا أَسَاءُ، وَأَنْهَى عَمَّا أَسَاءُ، وَأَنْسَخُ وَأَبْدِلُ وَأُغَيِّرُ مِنْ أَحْكَامِي الَّتِي أَحْكَمُ بِهَا فِي عِبَادِي مَا أَسَاءُ إِذَا أَسَاءُ، وَأُقَرُّ مِنْهُمَا مَا أَسَاءُ.

وهذا الخبر وإن كان من الله ﷻ خطاباً لنبية محمد ﷺ على وجه الخبر عن عظمتها فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى وأنكروا محمداً ﷺ لمجيئهما بما جاء به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة، فأخبرهم الله أن له ملك السموات والأرض وسلطانهما فإن الخلق أهل مملكته وطاعته عليهم السمع له والطاعة لأمره ونهيه، وأن له أمرهم بما شاء ونهيمهم

عما شاء، ونسخ ما شاء وإقرار ما شاء وإنساء ما شاء من أحكامه وأمره ونهيه، ثم قال لنبيه ﷺ وللمؤمنين معه: انقادوا لأمرى وانتهوا إلى طاعتي فيما أنسخ وفيما أترك فلا أنسخ من أحكامى وحدودى وفرائضى ولا يهولنكم خلاف مخالف لكم فى أمرى ونهىى وناسخى ومنسوخى فإنه لا قيم بأمركم سوىى ولا ناصر لكم غيرى، وأنا المنفرد بولايتكم والدفاع عنكم، والمتوحد بنصرتكم بعزىى وسلطانى وقوتى على من ناوأكم وحادكم ونصب حرب العداوة بينه وبينكم حتى أعلى حجتكم وأجعلها عليهم لكم.



س: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلِ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ ﴾ [البقرة: ١٠٨]؟

ج: لأهل العلم فيه ثلاثة أقوال:

أولها: أنهم المؤمنون.

والثانى: أنهم مشركو مكة.

والثالث: أنهم اليهود.

وأورد الرازى رحمته حجج كل فريق نقلاً عن غيره من العلماء.

فمن حجج القائلين بأنهم المؤمنون^(١) ما يلى:

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمته: نهى الله تعالى المؤمنين فى هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها كما قال تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَآ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ سَأَلُكُمْ وَإِن سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ بُدِّ لَكُمْ) [المائدة: ١٠١] أى وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها نبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة، ولهذا جاء فى الصحيح: «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأله»^(*) ولما سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد امرأته مع رجل فإن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت عن مثل ذلك فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها^(**)، ثم أنزل الله حكم الملاعة ولهذا ثبت فى الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال^(***) وفى صحيح مسلم: «ذرونى ما تركتكم فإنها هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإن نهيتكم عن شيء

الأول: أنه قال في آخر الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [البقرة: ١٠٨] وهذا الكلام لا يصح إلا في حق المؤمنين.

الثاني: أن قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٠٨] يقتضي معطوفاً عليه وهو قوله: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤].

فكأنه قال: وقولوا انظرونا واسمعوا فهل تفعلون ذلك كما أمرتم أم تريدون أن تسألوا رسولكم؟

الثالث: أن المسلمين كانوا يسألون النبي ﷺ عن أمور لا خير لهم في البحث عنها ليعلموها كما سأل اليهود موسى ﷺ ما لم يكن لهم فيه خير عن البحث عنه.

الرابع: سأل قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط.

قلت: ومن حجج القول الثاني: قول الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿١٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ حَنَّةٌ مِّنْ تَحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا

فاجتنبوه» وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ ثلاثاً ثم قال عليه السلام: «لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم» ثم قال: «ذروني ما تركتكم...» [الحدِيث، ولهذا قال أنس بن مالك ﷺ: نُهِنَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يَعْجِبُنَا أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ.

(*) أخرجه البخاري (٩٨٢٧)، ومسلم (٨٥٣٢) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحرم فحرم من أجل مسألته».

(**) انظر البخاري (مع الفتح ٨/٨٤٤)، ومسلم (٤١٧/٣)، وأبو داود (٥٤٢٢)، والنسائي (٣٤١/٦)، وابن ماجه (٦٦٠٢).

(***) أخرجه البخاري (حديث ٢٩٢٧)، ومسلم (حديث ٣٩٥ ص ١٤٣١).

(****) أخرجه مسلم (حديث ٧٣٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبتوما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فإنها هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

تَفْجِيرًا ﴿١١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفَ نَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قِيَلًا ﴿١٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ﴿[الإسراء: ٩٠-٩٣].

❁ وقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١].

❁ وقد سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا^(١).

أما القول الثالث: فذكر الرازي أنه أصح وهو أن المراد اليهود، قال: لأن هذه السورة من أول قوله: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ [البقرة: ٤٠] حكاية عنهم ومحاكاة معهم، ولأن الآية مدنية، ولأنه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولأن المؤمن بالرسول لا يكاد يسأله فإذا سأله كان متبدلاً كفرةً بالإيمان.

قلت: والذي يبدو لي أن القول الأول هو أرجح الأقوال، وإن قال قائل بالعموم (أي أن المؤمنين والمشركين واليهود كلهم سألوها)^(٢) فله وجه قوي والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بالسؤال في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ..﴾ [البقرة: ١٠٨]؟

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١ / ٢٤٢ - ٨٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا فقبل له إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت تؤثيهم الذي سألوها فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال: لا بل أستأني بهم فأنزل الله عز وجل هذه الآيات: (وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَءَاثِنَا شُعُوبًا مُّبِينَةً ..) [الإسراء: ٥٩].

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى (أم) إنها بمعنى بل تريدون أو هي على بابها في الاستفهام وهو إنكار، وهو يعمُّ المؤمنين والكافرين، فإنه عليه السلام رسول الله إلى الجميع كما قال تعالى: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِنَانِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) [النساء: ١٥٣].

ج: المراد سؤال الآيات أي: طلب حدوث المعجزات، والله تعالى أعلم.



س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۗ ﴾؟

ج: قال الراجب - كما نقله عنه القاسمي في «محاسن التأويل» -: معناه لا تسألوا رسولكم كما سئل موسى فتضلوا سواء السبيل فيؤدي بكم إلى تبديل الكفر بالإيمان فمبدأ ذلك الضلال عن سواء السبيل.

﴿ وقال الزمخشري في «كشافه»: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ١٧٠] ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل.



MOSTAFAALAH.COM

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ
 إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ
 بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ
 يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧١﴾
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا
 لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا
 تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٧٢﴾



الكلمة	معناها
﴿وَدَّ﴾	أحبَّ وتمنى



س: ما الحق الذي تبين لهم وعناه الله ﷻ بقوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]؟

ج: هذا الحق هو ما ظهر لهم من معرفتهم أن محمداً هو رسول الله ﷻ حقاً وأن دينه هو دين الحق^(١).



س: ما المراد بالعتفو والصفح في قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٩] وما الفرق بين العفو والصفح؟

ج: المراد - والله تعالى أعلم - ترك المؤاخذة واللوم. أما الفرق بين العفو والصفح: فالعفو هو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح هو إزالة أثره من النفس.



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة: ١٠٩]؟

ج: من هذه الآيات قول الله ﷻ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجنابية: ٤١] وقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [ال عمران: ١٨٦] فهذه الآيات وما على شاكلتها كانت تحث المؤمنين على العفو والصفح إذا لقوا أذى من عدوهم.



(١) أخرج الطبري (١٧٩٠) بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] قال: من بعد ما تبين لهم أن محمداً رسول الله ﷻ والإسلام دين الله.

مبحث في الحسد

س: ما هو المراد بقوله تعالى: ﴿مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩]؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن هذا الحسد من اليهود إنما هو من تلقاء أنفسهم فلم يأمرهم الله ﷻ أن يحسدوا الناس على الإيمان، بل هم عصاة في هذا الحسد الذي يحسدونه للناس.



س: هل الحسد يكون من عند النفس وغير النفس حتى يقال: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠١]؟

ج: الحسد يكون من النفس، ولفظة الحسد تُعطي هذا المعنى ولكن قيل: (من عند أنفسهم) تأكيداً وإلزاماً وإصافاً للتهمة بهم كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] وكما قال سبحانه: ﴿يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا طَيْرٍ بِطَيْرٍ يُخَاجِيهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].



س: قوله تعالى: ﴿حَسَدًا﴾ [البقرة: ١٠٩] مصدرٌ من ماذا؟

ج: هي مصدرٌ من المعنى الموجود في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩].
قاله الطبري رحمه الله: لأن في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩] معنى: حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق ووهب لكم من الرشد لدينه والإيمان برسوله وخصَّكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلاً منكم رءوفاً بكم رحيمًا، ولم يجعله منهم فتكونوا لهم تبعًا، فكان قوله: ﴿حَسَدًا﴾ [البقرة: ١٠٩] مصدرًا من ذلك المعنى.
قلت: فالمعنى حسدكم كثير من أهل الكتاب حسدًا.



س: ما المراد بالأمر في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩]؟

ج: الأمر هو الإذن بالقتال، ويؤيده ما في «الصحيحين» من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، وفيه.. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم ^(١). وقال بعض أهل العلم: إن الأمر هنا هو قتل من قُتل، وإجلاء من أُجلي، وضرب الجزية على من ضُربت عليه. وليس بين القولين تعارض إنما الثاني أكثر تفصيلاً من الأول، والله أعلم.



س: ما مستند القائلين بأن قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾

[البقرة: ١٠٩] منسوخ وبماذا نسخ على قول من قال إنه منسوخ؟

ج: هو منسوخ عندهم بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ^(٢) [التوبة: ٢٩] وقال آخرون إنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ^(٣) [التوبة: ٥] أما مستند القائلين بالنسخ فمنه ما أخرجه البخاري ^(٣) ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمارٍ على قטיפية فذكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مرّ بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في

(١) وسيأتي تخريجه.

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٧٩٧): (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) [البقرة: ١٠٩] فأتى الله بأمره فقال: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) حتى بلغ ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي صغاراً ونقمة لهم فنسخت هذه الآية ما كان قبلها (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٦٦)، ومسلم (حديث ١٧٩٨).

المجلس أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاضة الدابة حمّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تُغيروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذينا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك. فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي ﷺ يُخفصهم حتى سكنوا. ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي ﷺ: «يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا». قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطلح أهل هذه البخيرة على أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شراً بذلك، ففعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله ﷺ. وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويضطربون على الأذى، قال الله ﷻ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا..﴾ الآية [آل عمران: ١٨٦] وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] إلى آخر الآية. وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صنديد كفار قريش قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام، فأسلموا.



س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحسد؟

ج: ها هي بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحسد:

❁ قال صاحب «اللسان»: الحَسَدُ معروف حَسَدَهُ يَحْسِدُهُ وَيَحْسُدُهُ وَحَسَدَهُ إِذَا تَمَنَّى أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَيْهِ نِعْمَتُهُ وَفَضِيلَتُهُ أَوْ يُسَلِبَهُمَا هُوَ قَالَ:

وَتَرَى اللَّيْبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمِ شَتَمَ الرَّجَالِ وَعَرُضُهُ مَشْتُومٌ

الجوهري: الحسدُ أن تَتمنى زوالَ نعمةِ المحسودِ إليك يُقال حَسَدَهُ يَحْسُدُهُ حَسُودًا.

قال الأحقفش: وبعضهم يقول يَحْسِدُهُ بالكسر والمصدر حَسَدًا بالتحريك وَحَسَادَةٌ وَتَحَاسَدَ الْقَوْمُ، وَرَجُلٌ حَاسِدٌ مِنْ قَوْمٍ حُسِدٌ وَحُسَادٌ وَحَسَدَةٌ مِثْلَ حَامِلٍ وَحَمَلَةٌ وَحُسُودٌ مِنْ قَوْمٍ حُسِدٌ وَالْأُنْثَى بغير هاءٍ وَهِيَ يَتَحَاسِدُونَ.

❁ قال الحافظ ابن حجر **كحاشية (فتح الباري ١/ ٦٦١):**

الحسد تمنى زوال النعمة عن المنعم عليه، وخصه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه، والحق أنه أعم.

❁ قال النووي **رحمته الله (شرح مسلم ٢/ ٤٦٤):** قال العلماء: الحسد قسمان حقيقي ومجازي، فالحقيقي تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة.

وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإذا كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة.

❁ وقال القرطبي **رحمته الله (التفسير ٣/ ١٧):** الحسد نوعان محمود ومذموم، فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا، وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه بقوله: ❁ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ❁ **[النساء: ٥٤]** وإنما كان مذمومًا؛ لأن فيه تسفيه الحق سبحانه، وأنه أنعم على من لا يستحق.

❁ وقال الرازي في «التفسير الكبير» (٣/ ٨٣٢): إذا أنعم الله على أخيك بنعمة فإن

أردت زوالها فهذا هو الحسد، وإن اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة، أما الأول فحرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجرٌ أو كافر يستعين بها على الشر والفساد فلا يضرك محبتك لزوالها فإنك ما تحب زوالها من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها يتوسل بها إلى الفساد والشر والأذى.

س: ما مراتب الحسد التي ذكرها العلماء؟

ج: ذكر أهل العلم للحسد مراتب وهي:

المرتبة الأولى: أن يحب الشخص زوال النعمة عن غيره وإن كانت تلك النعمة لن تتحول إليه، فقصده الحاسد الأكبر وهمه الأعظم أن تزول النعمة عن المحسود وتتحول عنه، وهذا أكبر أنواع الحسد وأعلى مراتبه وأشدّه ذمًّا، وخاصة إذا صحب هذا الحب والتمني عملٌ من أجله قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣١].

المرتبة الثانية: أن يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره وتحولها إليه كأن يكون لشخص امرأة جميلة فيتمنى الحاسد أن يموت الشخص أو يطلقها حتى يتزوجها هو، أو يكون لرجل مركز قوي أو سلطان نافذ ويتمنى الحاسد أن يزول هذا المركز وذلك السلطان عن الرجل ويتحول إليه وهذا، وإن كان مجرمًا، إلا أنه أخف من النوع الأول.

المرتبة الثالثة: تمنى عدم استصحاب النعمة فيتمنى الحاسد أن يبقى المحسود على حاله من الفقر والجهل والضعف وشتات القلب، فهذا حسد على شيء مقدر فاعله ممقوت عند الله مستحققر عند الناس.

المرتبة الرابعة: ألا يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره، ولكن يتمنى لنفسه مثلها فإن حصل له مثلها سكن واستراح، فإن لم يحصل له مثلها تمنى زوال النعمة عن المحسود حتى يتساويا ولا يفضله صاحبه والجزء الأول من هذه الرابعة غير مذموم، والثاني وهو تمنى زوال النعمة عن المحسود.. مذموم.

المرتبة الخامسة: أن يتمنى الشخص لنفسه مثل ما للآخر من النعم فإن لم تحدث له تلك النعم لم يتمن زوالها عن الآخر، ويدخل في هذه المرتبة ما يسميه أهل العلم الغبطة ولا بأس بها فهي قريبة من المنافسة وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:** «لا حسد إلا في اثنتين..»^(١) الحديث فهذا حسد غبطة، الحامل لصاحبه عليه كبر نفسه وحب خصال الخير والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم وأن يكون من سبائهم وعليتهم ومُصليهم لا من فساكلهم فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمصارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه.

✽ قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ:**

وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجه ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده بل يجد في قلبه شيئاً من ذلك ولا يعامل أخاه إلا بما يحب الله، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله

وقيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك لإخوة يوسف! لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا ياتمر بها بل يعصياها طاعة لله وخوفاً وحياءً منه وإجلالاً له أن يكره نعمه على عباده فيرى ذلك مخالفةً لله وبغضاً لما يحب الله، ومحبة لما يبغضه فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويلزمها بالدعاء للمحسود وتمني زيادة الخير له بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسده ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح فهذا الحسد المذموم، هذا كله حسد تمني الزوال.

وللحسد ثلاث مراتب:

إحداها: هذه.

(١) أخرجه البخاري حديث (٥٢٠٥)، ومسلم حديث (٨١٥) من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** مرفوعاً.

والثانية: تمنى استصحاب عدم النعمة فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن الله أو قلة دينه فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب فهذا حسد على شيء مقدر، والأول حسد على شيء محقق، وكلاهما حاسد عدو نعمة الله وعدو عباده وممقوت عند الله تعالى وعند الناس ولا يسود أبداً ولا يواسى فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم، فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبداً إلا قهراً يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم.

والحسد الثالث: حسد الغبطة وهو تمنى أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا وسلطه علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس» فهذا حسد غبطة، الحامل لصاحبه عليه كبر نفسه وحب خصال الخير، والتشبه بأهلها والدخول في حملتهم وأن يكون من سباقهم وعليتهم ومصلّيهم لا من فساكلهم فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يبغظه وتمنى دوام نعمة الله عليه فهذا لا يدخل في الآية بوجه ما.



س: اذكر بعض أسباب الحسد؟

ج: ذكر العلماء للحسد جملة أسباب منها^(١):

١- العداوة والبغضاء: وهذه قد تكون كامنة في الصدر بسبب وبدون سبب دنيوي ظاهر، فقد تنشأ العداوة والبغضاء في قلب شخص لآخر من جراء ظلمه له ومكره به وخديعته إياه وغدره معه فتقذف العداوة والبغضاء في قلبه لهذا الذي ظلمه ويتمنى له

(١) ومردها في الغالب إلى ضعف الإيمان بالله ﷻ.

من قلبه أن يحل به البلاء وتنزل عليه الكربات وتنزل عنه النعم لما قدمه إليه من إساءة وبغي وعدوان.

وتنشأ هذه العداوة أيضًا بسبب اختلاف الدين فالكفار كما تقدم، وكذلك المنافقون يودون من قلوبهم - لما جُبلت عليه قلوبهم من الشر والبغي والكفر والعدوان - أن تنزل النعم عن المؤمنين وأن تنزل بهم البليات ويتضايقون غاية الضيق ويتبرمون غاية التبرم إذا نزلت بالمسلمين نعمة من ربهم ﷻ كما قال الله **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى**: ﴿.. وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُونُوا يَعِظُكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ نَصِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ آل عمران: ١١٩، ١٢٠.﴾

ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتْ الْأَبْغَضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].﴾

٢- حب الدنيا بما فيها من رياسات وجاهات من غير قصد شرعي صحيح^(١):

فإذا كان الرجل من دأبه حب الرياسة ونيل الجاه، وشعر أن غيره ينازعه في هذه الرياسة وهذا الجاه فإنه يحب لهذا المنازع أن يبتلى وأن يفتضح وأن تسوء سمعته في الناس حتى لا يصل إلى مرتبته بل ولا يقاربه فيها إلا من رحم الله. فلو سمع محب الرياسة والريادة في أي فن من الفنون أن له نظيرًا في العالم في هذا الباب وهذا الفن فيتمنى لهذا النظير الموت وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة كالشجاعة والعلم، والزهو والملك والثروة والجاه، وذلك كله حتى ينفرد هو بالرياسة والريادة والجاه، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) والقصد الشرعي الصحيح مثل قول يوسف ﷻ: (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) [يوسف: ٥٥] فإنما طلبها يوسف عليه السلام ليتسنى له العدل بين الناس في موطن شدة وقحط والناس فيه أحوج ما يكونون إلى ذلك العدل.

٣- الشح بالخير على العباد:

فهناك أقوام جُبلوا على الشح وكرهية الخير للناس، فإذا سمعوا بمنعمٍ عليه في صحة أو في عقل أو في دين أو في مال أو في ولدٍ أو في زوجة أو في جاه و.. جُن جنونهم وطار فؤادهم ونحل جسمهم بلا سبب إلا هذا السبب القاتل الذي جبلوا عليه من الشح بالخير على العباد، فتكاد صدورهم تتميز من الغيظ إذا سمعوا أن رجلاً ربح مالاً أو رزق ولداً أو تزوج بحسنة أو رزق إيماناً وحكمة ومن هذا الباب قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ [النساء: ٥٤، ٥٥].

قال الرازي في التفسير^(١): فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا بطلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق ذلك عليه وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبداً يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه، ويقال: البخيل من بخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث النفس ورذالة جبلته في الطبع؛ لأن سائر أنواع الحسد يرجى زواله لإزالة سببه وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته.

٤- ضعف الإيمان والخوف من تكبر الناس أو الخصم عليه:

فالحاسد قد لا يكون به ابتداءً حسدٌ ويبدأ الحسد في التولد إذا شعر الحاسد أن غيره سيكثر ماله وترتفع منزلته فيتكبر عليه ويتعزز عليه فيخشى من التكبر المتوقع والتعزز المرتقب فيريد ألا تنزل بصاحبه نعمة زائدة عليه حتى يبقى في منزلة واحدة دفعاً لكبره ولتعززه ولتعالیه عليه.

(١) لا أعني في تفسير الآية المتقدمة، وإنما في تفسيره (٣ / ٢٤١).

❁ وقد قال الملائكة الذين كفروا من قوم نوح: ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾. [المؤمنون: ٢٤].

٥- خوف المزاحمة وفوت المقاصد:

وهو يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد كالضرائر مثلاً، كل ضرة منهما تريد الانفراد بالزوج ونيل حبه والاحتفاظ بسره والقرب من قلبه فمن ثم تحسد الأخرى وتتمنى زوال النعم عنها وتريد لها الزلل والخطأ. وكذلك الإخوة يتزاحمون (إلا من رحم الله) للوصول إلى قلب الأب (وخاصة إن كان من ذوي الثروات والأموال) كي يؤثر بعضهم على بعض ويفضل أحداً على الآخر، ذلك إذا كان غرضهم نيل الدنيا والمال.

٦- حب تسخير البشر للنفس:

فإذا كان الرجل ثرياً من الأثرياء أو كبيراً من الكبراء يرى الناس كل يوم وقوفاً ببابه يسخرهم كيفما شاء ويوجههم حيثما يريد رضي بذلك وقنع، وإذا رأى بادرة خير حلت بأحدهم وأوتي مالا أو جاهاً وعلى إثره سيخرج من حيز تسخيريه ويشق طريقه في حياته مستغنياً عنه، كره ذلك له وتمنى بقاءه أبد الدهر مسخرًا له مذللاً معه لا يقوم له قدر ولا يرتفع له شأن ولا يتحصل له مال حتى يبقى مسخرًا له خاضعًا لسلطانه مطيعاً لأوامره.

❁ ومن هذا الباب ما أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: في نزلت: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [الأنعام: ٥٢] قال: نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا: تدني هؤلاء، وفي رواية كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترءون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

﴿ وَمَنْ هَذَا قَوْلِ قَوْمِ نوحَ لِنوحَ ع: ﴿ أَنْزَلْنَا لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١] ومن هذا قول المشركين لمتبعي رسول الله ﷺ: ﴿ أَهْتُولَاءَ مَنْ لَئِلَهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأنعام: ٣٥] بل وقولهم في حسدهم رسول الله: ﴿ لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] كأنهم يقولون كيف نقدم علينا غلامًا يتيماً ونخضع له ونسمع ونطيع ونطأطئ له رءوسنا؟!



س: لذكر الآيات التي ورد فيها ذكر الحسد صريحاً في كتاب الله ﷻ؟

ج: ورد ذكر الحسد صريحاً في كتاب الله ﷻ في أربعة مواطن:

الأول: قول الله ﷻ: ﴿ وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

الثاني: قول الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.. ﴾ [النساء: ٥٤].

الثالث: قوله ﷻ: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُواهَا ذُرُوبًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح: ١٥].

الرابع: قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥].



س: اذكر بعض الآيات التي ورد فيها الحسد تلميحاً؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

﴿ قول الله ﷻ: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ آيِكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [يوسف: ٨، ٩].

﴿ وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

﴿ وقوله سبحانه: ﴿ وَدُؤُوا لَوْتَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: ٨٩].

﴿ وقوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

﴿ وقال جل ذكره: ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٩].

﴿ وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿ وقوله ﷻ: ﴿ وَمَا نَفَرْنَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ١٤].

﴿ وقوله سبحانه: ﴿ إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ نَسُّوهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

﴿ وقوله سبحانه: ﴿ وَدُؤُوا لَوْتُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ١٩].

﴿ وقال ﷻ: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [إلى قوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧-٣٠].

﴿ وقوله جل ذكره: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم: ٥١].

﴿ وقال الله سبحانه: ﴿ فَقَالُوا^(١) أَنْوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴾.

(١) أي قوم فرعون، يقولون ذلك لموسى وهارون.

[المؤمنون: ٤٧]



س: هل لإيراد قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠] عقب قوله ﷺ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] وجه اتصال وربط بين الآيتين؟

ج: ذكر العلماء للربط بين الآيتين وجوهاً منها:

الأول: أن المسلمين في الظرف الذي لا يكون موافقاً للجهاد عليهم أن يشتغلوا فيه بالإعداد للجهاد وذلك بتهديب الأخلاق والأرواح وتزكية النفوس بإقام الصلاة وفعل الخيرات إبقاءً على طاقاتهم الروحية والبدنية إلى حين يؤذن لهم بالجهاد.

الثاني: قال الطبري رحمته الله وإنما أمرهم جل ثناؤه في هذا الموضع بما أمرهم به من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتقديم الخيرات لأنفسهم ليظهروا بذلك من الخطأ الذي سلف منهم في استنصاحهم اليهود وركون من كان ركن منهم إليهم وجفاء من كان جفا منهم في خطابه رسول الله ﷺ بقوله: ﴿رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] إذ كانت إقامة الصلوات كفارة للذنوب وإيتاء الزكاة تطهيراً للنفوس والأبدان من أدناس الآثام، وفي تقديم الخيرات إدراك الفوز برضوان الله.

الثالث: قال الزجاج في «تفسيره»: ثم نبه الله سبحانه إلى بعض وسائل النصر الذي وعدوا به وهو أداء الصلاة.

الرابع: هو أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١١٠] الحث على الإقبال على ما ينفع من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات وعدم الالتفات إلى حسد الحاسدين فكيدهم في تباب وأمرهم في وبال وسعيهم في خسار، والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بالخير في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠] وهل في الآية الكريمة شيء مضمّر؟

ج: الخير هنا يُراد به العمل الذي يرضاه الله ﷻ.

وقد يأتي الخير على غير هذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العنكبوت: ٨] فالخير هنا (المال) على قول الكثير من أهل العلم، وكذلك في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ...﴾ [البقرة: ٢١٥].

❁ أما هل في الآية الكريمة مضمّر أم لا؟ فأشار فريق من أهل العلم إلى أن فيها مضمراً وهو الثواب فيكون المعنى: وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا ثوابه عند الله.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: و(الخير) هو العمل الذي يرضاه الله، وإنما قال: ﴿تَجِدُوهُ﴾ [البقرة: ١١٠] والمعنى تجدوا ثوابه، ثم قال: لاستغناء سامعي ذلك بدليل ظاهر على معنى المراد منه كما قال عُمر بن لُجأ: وَسَبَّحَتِ الْمَدِينَةُ لَا تَلْمُهُا رَأَتْ قَمَرًا بِسُوقِهِمْ نَهَارًا وإنما أراد: وسبّح أهل المدينة.



MOSTAFARAH.COM

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا
 أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
 مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٤﴾



معناها	الكلمة
أحبَّ وتمنى.	(وَدَّ) ﴿
جمع هائد، والهائد هو: النائب الراجع إلى الحق ^(١) ، قاله الطبري.	(هُودًا) ﴿
جمع أمنية؛ وهي: ما يتمناه الشخص.	(أَمَانِيُّهُمْ) ﴿
حجتكم - بينتكم ^(٢) .	(بُرْهَانَكُمْ) ﴿
استسلم وخضع.	(أَسْلَمَ) ﴿
انقاد لأمر الله - أسلم النفس لطاعة الله - أخلص لله.	(أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) ﴿



(١) وليس مراد اليهود بقولهم لا يدخل الجنة إلا من كان هودًا أي من كان تابعًا راجعًا إلى الحق وإنما مرادهم من كان على شريعتهم وشاكلتهم، والله أعلم.

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ هاتوا بينتكم (الطبري بإسناد حسن ١٨٠٤).

س: اذكر بعض الادعاءات الكاذبة التي يدعيها اليهود والنصارى؟

ج: من هذه الادعاءات ما يلي:

❁ دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه:

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ۗ﴾ [المائدة: ١٨].

❁ دعواهم أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات:

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۗ﴾ [البقرة: ٨٠].

وقال سبحانه: ﴿...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۗ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

❁ دعوى اليهود أن المهتدي هو اليهودي وقول النصارى إن المهتدي هو

النصراني:

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا كُنُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ فَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۗ﴾ [البقرة: ١٣٥].

❁ دعوى اليهود أن الجنة لن يدخلها إلا اليهودي، ودعوى النصارى أن الجنة

لن يدخلها إلا النصراني:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ﴿بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢، ١١١].



س: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ ۗ﴾

[البقرة: ١١١]، إجمال، فصل هذا الإجمال؟

ج: تفصيله أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا والنصارى قالوا:

لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً وليس المعنى أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً أو نصرانياً وليس المعنى أيضاً أن النصارى قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً أو نصرانياً ذلك لأن كل فرقة منهما تضلل الأخرى كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ... ﴾ [البقرة: ١١٣]**، والله تعالى أعلم.



س: لماذا عُبِّرَ بالوجه دون سائر الجوارح في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة: ١١٢]؟

ج: للعلماء على ذلك أجوبة ثلاثة:

أولها: أن الوجه خصّ بالذكر لكونه أكرم أعضاء ابن آدم وأشرفها وهو أعظمها حرمة عليه وحقاً فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أخرى أن يكون أخضع له.

الثاني: أن الوجه قد يُكنى به عن الذات كما ذكره بعض العلماء في قوله تعالى: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصل: ٢٨]**، وكما في قوله تعالى: **﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا إِتْبَاعُ وَجْهِهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٦-١٧]**.

الثالث: أن أعظم العبادات هي السجدة وإنما تحصل بالوجه فلا جرم خصّ الوجه بالذكر، ولهذا قال زيد بن عمرو بن نفيل:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالًا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمُنْزُنُ تَحْمِلُ عَذَابًا زُلَالًا



س: انتظمت الآية الكريمة: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [البقرة: ١١٢] شرطين لثبوت الأجر على العمل ما هما هذان الشرطان؟

ج: أما الشرط الأول فهو إخلاص العمل لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا مأخوذ من قوله**

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢].

✽ والشرط الثاني اتباع الرسول ﷺ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] أي: متبع فيه للرسول ﷺ، وهذا المعنى موجود في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] فلا بد أن يكون العمل خالصًا صوابًا، خالصًا لله، صوابًا في كونه موافقًا لسنة رسول الله ﷺ، فإذا اختل شرط من الشرطين وانتقص فالعمل مردود.

✽ قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١).

✽ وقال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهَا الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا...﴾ [النور: ٣٩].

✽ وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[الفرقان: ٢٣]

✽ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي توضح بطلان العمل وذهاب ثوابه إذا لم يكن خالصًا لله صوابًا بموافقة سنة رسول الله ﷺ.



(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وفي لفظ مسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ
النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ
الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ
يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمُهُ فِي خَرَابِهًا أُولَئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

معناها	الكلمات
الذل والصغار.	(خِزْيٌ) ❖
حيثما.	(فَأَيْنَمَا) ❖
تتجهوا وتقبلوا، وهي من الأضداد لكن معناها هنا ما ذكرناه.	(تُولَّوْا) ❖
هنالك قبلة ^(١) الله - فثم الله تبارك وتعالى - فثم تدركون بالتوجه إليه رضا الله الذي له الوجه الكريم.	(فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ) ❖

(١) ولا تعلق لهذا بنفي صفة الوجه لله تعالى، فصفة الوجه ثابتة من نصوص آخر، وقد روي هذا التفسير
بأسانيد تصح عن مجاهد عند الطبري.

س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَوَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن اليهود كفروا النصرارى وقالوا: إنهم ليسوا على شيء مع أن اليهود يتلون التوراة وفيها الأمر بالتصديق بعيسى ﷺ. وكذلك النصرارى كفروا اليهود وقالوا: إنهم ليسوا على شيء مع كون النصرارى يقرءون الإنجيل وفيه الأمر بالتصديق بموسى ﷺ.

وجاء مشركو العرب - وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) [البقرة: ١١٣] فقالوا مثل مقالة اليهود والنصارى فقالوا: إن محمداً ﷺ ومن معه ليسوا على شيء، فالله يفصل بين هؤلاء جميعاً ويحكم فيهم ويقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصْرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]، وكما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾^(٢) [سبأ: ٢٦].

(١) هذا على رأي الجمهور، فذهب الجمهور إلى أن المعنيين بقوله تعالى: (الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) هم مشركو العرب، بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن المعنيين بقوله تعالى: (الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) هم قوم قبل اليهود والنصارى، قالوا مثل ذلك فيمن خالفهم، مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم: إنهم ليسوا على شيء.

(٢) قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: وأما تأويل الآية فإنه قالت اليهود: ليست النصرارى في دينها على صواب، وقالت النصرارى: ليست اليهود في دينها على صواب، وإنما أخبر الله عنهم بقبيلهم ذلك للمؤمنين إعلماً منه لهم بتضييع كل فريق منهم حكم الكتاب الذي يُظهر الإقرار بصحته وأنه من عند الله، وجحدهم مع ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه لأن الإنجيل الذي تدين بصحته وحقيقته النصرارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى عليه السلام، وما فرض الله على بني إسرائيل فيها من الفرائض، وأن التوراة التي تدين بصحتها وحقيقتها اليهود تحقق نبوة عيسى عليه السلام، وما جاء به من عند الله من الأحكام والفرائض.

ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ

س: في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْنَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ...﴾ [البقرة: ١١٣] توبيخ لليهود والنصارى، ومن طرف خفي توبيخ للمختلفين من أمة محمد ﷺ، وضح ذلك؟

ج: وجه هذا التوبيخ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: أنهم تعمدوا الكذب والافتراء كل فريق على الآخر مع كونهم يعلمون بكذب ما ذهبوا إليه، فالوقوع في الدعاوى الباطلة والتكلم بما ليس عليه برهان، وإن كان قبيحاً على الإطلاق لكنه من أهل العلم والدراسة للكتب أشد قبيحاً وأفظع جرماً وأعظم ذنباً. وفي هذا أيضاً توبيخ للمختلفين من أمة محمد ﷺ مع اتفاقهم على تلاوة القرآن^(١)، قال القاسمي في «محاسن التأويل»: «فها هنا تسكب العبرات بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا بسنة ولا قرآن ولا بيان من الله ولا برهان، بل لما غلت مراحل العصية في الدين تمكن الشيطان من تفريق كلمة المسلمين».

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح

مع أن الله تعالى أمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف، فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [ال عمران: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا

^١ شَيْءٍ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ (البقرة: ١١٣) مع تلاوة كل واحد من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قلبه ذلك، فأخبر جل ثناؤه أن كل فريق منهم قال ما قال من ذلك على علم منهم أنهم فيما قالوه مبطلون وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به على معرفة منهم بأنهم فيه ملحدون.

(١) ويرد في ذم من كذب على علم وضل بعد بيان، قوله تعالى: { وَأَقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ } (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُنَكِّتَهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّعَ هُونَهُ فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) { الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦ } وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ﴿الأنعام: ١٥٣﴾، وقد امتاز أهل الحق من هذه الأمة بالسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله ﷺ وعمامت عليه جماعة المسلمين.



س: ما معنى الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١١٣]؟

ج: الواو هي واو الحال، والمعنى: أن كل فرقة قالت في الأخرى التي قالت مع كونها تتلو الكتاب، والكتاب يُكذِّبها فيما قالت من شأن الكفر بالأنبياء ﷺ.



س: من المعلوم أن اليهود على ضلال وكذلك النصارى وكلاهما ليس على شيء وقد قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ولا بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار» فلماذا عتب الله على اليهود لما قالوا: ﴿لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣] وعلى النصارى لما قالوا: ﴿لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]؟

ج: وجه هذا العتاب لكون كل فريق أنكر على الآخر شيئاً ثابتاً في دينه وثابتاً في الحقيقة ألا وهو نبوة موسى ونبوة عيسى ﷺ، فلما أنكر اليهود على النصارى إيمانهم بعيسى (على الوجه الصحيح من أنه عبد الله ورسوله) وأنكر النصارى على اليهود إيمانهم بموسى ﷺ^(١) عتب الله ﷻ على الفريقين مقاتلتهما، وقد روى الطبري^(٢) وابن أبي حاتم بأسانيدهما عن قتادة قال: قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ

(١) قال الطبري رحمه الله: ومعنى ذلك: وقالت اليهود ليست النصارى على شيء من دينها منذ دانت دينها، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء منذ دانت دينها.

(٢) أخرجه الطبري (١٨١٣) بإسناد حسن، وابن أبي حاتم (التفسير ١١١١).

النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ ﴿البقرة: ١١٣﴾ قال: بلى قد كانت أوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا، وقالت النصارى: ﴿لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ ﴿البقرة: ١١٣﴾ ولكن القوم ابتدعوا وتفرقوا.



س: كيف قيل في اليهود والنصارى أنهم ليسوا على شيء مع كونهم يقرون بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبَعْضُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؟

ج: المعنى - والله أعلم - أنهم ليسوا على شيء يُعْتَدُ بِهِ فِي أَمْرِ التَّصْدِيقِ بِالْأَنْبِيَاءِ ﷺ فَمَا دَامُوا كَفَرُوا بِأَحَدِهِمْ فَقَدِ كَفَرُوا بِجَمِيعِهِمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿النساء: ١٥٠، ١٥١﴾ ويُقال أيضًا: إن الكفر الذي أتوا به أحبط عملهم الذي عملوه وأذهب ثواب الخير القليل الذي اعتقدوه، والله أعلم.



س: ما معنى القيامة؟ ولماذا أطلق على يوم القيامة يوم القيامة؟

ج: قال الطبري رحمه الله: وأما القيامة فهي مصدرٌ من قول القائل: قمت قيامًا وقيامَةً كما يقال: عُدت فلانًا عيادةً، وصنت هذا الأمر صيانةً. وإنما عُني بالقيامه قيام الخلق من قبورهم لربهم، فمعنى يوم القيامة يوم قيام الخلائق من قبورهم لمحشرهم.



س: من الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها؟

ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال:

﴿الأول﴾: أنهم النصارى كانوا يطرحون الأذى في بيت المقدس ويمنعون الناس من الصلاة فيه.

❁ **الثاني:** أنه باختصار البابلي المجوسي وجنده ومن أعانهم من النصارى^(١).

(١) قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال: عني الله عز وجل بقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ النصارى وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس، وأعانوا باختصار على ذلك ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف باختصار عنهم إلى بلاده.

والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها^(٢) وأن لا مسجد عني الله عز وجل بقوله: (وَسَعَى فِي خَرَابِهَا) [البقرة: ١١٤] إلا أحد المسجدين إما مسجد بيت المقدس وإما المسجد الحرام، وإذا كان ذلك وكان معلوماً أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله ﷺ وأصحابه من الصلاة فيه صحَّ وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارته إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية، وعمارته كان افتخارهم^(٣)، وإن كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم.

وأخرى: أن الآية التي قبل قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ [البقرة: ١١٤] مضت بالخبر عن اليهود والنصارى ودمَّ أفعالهم، والتي بعدها نبهت بدمَّ النصارى والخبر عن افتراءهم على ربهم، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكراً، ولا للمسجد الحرام قبلها فيؤجَّه الخبر بقول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ إليهم وإلى المسجد الحرام.

وإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها إليه وهو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها إذ كان خبرها لخبرها نظيراً وشكلاً إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك وإن انفقت قصصها فاشتبهت. انتهى المراد من قول ابن جرير رحمه الله.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: فلم يرض اختيار الطبري رحمه الله بل اختار القول القائل أنهم مشركو قريش، وعلل ذلك بقوله: لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود، وكانوا أقرب منهم ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولاً إذ ذاك لأنهم لعنوا من قبل على لسان داود وعيسى ابن مريم^(٤) ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، وأيضاً فإنه تعالى لما وجَّه الدم في حق اليهود والنصارى شرع في دمَّ المشركين الذين أخرجوا رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة ومنعوا من الصلاة في المسجد الحرام: وأما اعتماده على أن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة فأبي خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه واستحذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى: (وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [الأنفال: ٣٤].

* أما الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فرفض اعتراض الحافظ بن كثير وانتصر لما قاله الطبري رحمه الله

= جميعاً، فقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري: وهذا الاعتراض من ابن كثير على أبي جعفر رحمه الله ليس يقوم في وجه حجة الطبري على صواب ما ذهب إليه تأويل الآية والطبري لم يغفل عن مثل اعتراض ابن كثير، ولكن ابن كثير غفل عن سياق تأويل الطبري وصحيح أن ما كان من أمر أهل الشرك في الجاهلية في البيت الحرام

(*) أراد القول الأول والثاني والثالث من الأقوال التي قدمناها .

(**) قال الله تبارك وتعالى: (أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَمِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) [التوبة: ٩١].

(***) قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَبَّأُونَ هَوْنَكَ عَنْ مُكَرِّمَتِ اللَّهِ فَكَلَّمَهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ...﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]. يدخل في عموم معنى قوله: (وَسَعَى فِي خَرَابِهَآ) ، ولكن سياق الآيات السابقة ثم التي تليها توجب كما ذهب إليه الطبري أن يكون معنياً بها من كانت الآيات النازلة في خبره وقصته، والآيات السالفة جميعاً خبر عن بني إسرائيل الذين كانوا على عهد موسى، وتأنيب لبني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ ثم ما كان منهم لأهل الإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ ثم عتاب بعض أهل الإيمان على ما جرى على ألسنتهم من ألفاظ اليهود في خطاب نبيهم ﷺ، ثم تحذير لهم من أهل الكتاب جميعاً، يهوديهم ونصرانيهم وذكر لاقتراء الفريقين بعضهم على بعض وادعاء كل فريق أنه هو الفريق الناجي يوم القيامة، ثم أفرد بعد ذلك أخبار النصارى كما أفرد من قبل أخبار بني إسرائيل فعند سوء فعلهم في منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ثم كذبهم على ربهم أنه اتخذ ولداً ثم قول بعضهم: (لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ) [البقرة: ١١٨] وأن ذلك شبيهه بقول اليهود: (إِنَّا نَأْتِيَهُمْ جَهَنَّمَ) [النساء: ١٥٣] ثم أخبر أنه أرسل رسوله محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، وأمره أن يعرض عن أهل الجحيم من هؤلاء وهؤلاء ثم أعلمه أن اليهود والنصارى جميعاً لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وطريقتهم في الاقتران على رب العالمين. فالسياق كما ترى بمعزل عن المشركين من العرب، ولكن ابن كثير وغيره من أئمتنا رضوان الله عليهم تختلط عليهم المعاني حين تتقارب، ولكن أبا جعفر (*) صابر على كتاب ربه مطيق لحمله لا يعجله شيء عن شيء ما استطاع فهو يخلص معاني كتاب ربه تخلصاً لم أجده قط لأحد بعده ممن قرأ كتابه، وأكثرهم يعترض ولو صبر على دقة هذا الإمام لكان ذلك أولى به وأشبهه بخلق أهل العلم وهم له أهل، غفر الله لنا ولهم. انتهى ما قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

هذا وقد خطأ أبو بكر الرازي الوجه المذكور بقوله: إنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح ﷺ بدهر طويل والنصارى كانوا بعد المسيح، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس، وأيضاً فإن النصارى يعتقدون في بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود وأكثر فكيف أعانوا على تخريبه (***) .

(*) يعني الطبري.

❁ **الثالث:** أنهم مشركو قريش إذ منعوا رسول الله ﷺ من المسجد الحرام وحالوا بينه وبين دخول مكة.

❁ **الرابع:** أنهم مشركو قريش الذين منعوا رسول الله ﷺ من الدعاء إلى الله بمكة وألجئوه إلى الهجرة.

❁ **الخامس:** ذكره الرازي قال: وهو أقرب إلى رعاية النظم قال: وهو أن يُقال: إنه لما حوّلت القبلة إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فكانوا يمنعون الناس من الصلاة عند توجيههم إلى الكعبة، ولعلهم سعوا أيضًا في تخريب الكعبة بأن حملوا بعض الكفار على تخريبها، وسعوا أيضًا في تخريب مسجد الرسول ﷺ لئلا يُصلُّوا فيه متوجهين إلى القبلة فعابهم الله بذلك وبين سوء طريقتهم فيه.

❁ **السادس:** أنها عامة في كل ظالم منع أي مسجد من مساجد الله أن يذكر فيه اسم الله ﷻ.



س: ما نوع الإضافة في قوله تعالى: ﴿مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٤]؟

ج: الإضافة إضافة تشریف كقوله تعالى: ﴿نَافَةَ اللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣].



س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَطَدَفَ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥٧] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

(*) قلت: أخرج الطبري (٣٢٨١) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤] أولئك أعداء الله النصارى، حملهم بغض اليهود على أن أعانوا باختصار البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس.

أما نقل اتفاق أهل السير فلا نكاد نصدقه إذا اختلف مع المنقول عن التابعين رحمهم الله، والله أعلم.

[الأنعام: ١٤٤] وقوله تعالى في الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي...»^(١) ؟

ج: الجمع بين هذه له طرق:

الأول: أن يتنزل هذا على الاختصاص بمعنى أن يقال: ليس هناك من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه، وليس من المكذبين أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها وليس من المفترين أظلم ممن افتري على الله كذباً ليضل الناس... وليس من المصورين أظلم ممن ذهب يضاهاى بخلق الله ويحاول بزعمه أن يخلق كخلقه.

الثاني: أنهم جميعاً في الظلم سواء.

الثالث: أن المراد تبشيع هذه الأفعال وتجريم فاعليها، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤] ؟

ج: لأهل العلم في تأويل ذلك أقوال:

الأول: أن هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا هذه المساجد إلا خائفين من المؤمنين أن يبسطوا بهم فضلاً عن الاستيلاء عليها ومنع المؤمنين منها، فالمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الظلمة وعتو الكفرة والفجرة.

الثاني: أن هذا خبر معناه الأمر، والمعنى لا تمكنوا هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها واجتهدوا في منعهم من دخول مساجد الله إلا في حال هم فيه خائفون كأن يكونوا أسارى يربطون أو يحاكمون في المساجد ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٥٩)، ومسلم (حديث ٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى.

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴿التوبة: ٢٨﴾، وكالوارد في قول أبي هريرة: (ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان) (١).

الثالث: أن هذا إخبار عن حال الذين منعوا مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها، فكان من شأنهم أنهم لم يدخلوها بعد ذلك إلا خائفين كما قال قتادة (٢): ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ ﴿البقرة: ١١٤﴾ وهم اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا نُهك ضرباً وأُبلغ في العقوبة.



س: ما المراد بالخزي في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ﴿البقرة: ١١٤﴾؟

ج: المراد بالخزي العار والشُّرُّ والدُّلَّة، وهذا يكون بأمر منها:

✽ القتل والسبي.

✽ أداء الجزية عن يد وهم صاغرون.

✽ ظهور المهدي وإنزال هزيمة هؤلاء على يديه، والله تعالى أعلم.



س: اذكر بعض الوارد في فضل المساجد وتكريمها؟

ج: ورد في ذلك شيء كثير نورد منه ما يلي:

✽ **إضافة المساجد لله ﷻ:** - وهي إضافة تشريف - في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ

لِلَّهِ﴾ ﴿الجن: ١٨﴾، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ ﴿التوبة: ١٨﴾، وفي قوله

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٦٥٦)، ومسلم (حديث ١٣٤٧) من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة قال: (بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان).

(٢) أخرجه الطبري (١٨٢٧)، بإسناد حسن عن قتادة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: فإن النصارى لما ظلموا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تُصلي إليها اليهود، عوقبوا شرعاً وقدرًا بالدُّلَّة فيه إلا في أحيان من الدهر أُشحن بهم بيت المقدس، وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضاً أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم، والله أعلم.

تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٤].

﴿ أذن الله ﷻ برفعها: كما قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ أَنْ تَتَرَفَعُوا فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ الْحِزْبَ وَلَا يَتَّبِعُونَ ذِكْرَ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧].

﴿ جعل الله عمارتها دليلاً على الإيمان: كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨].

﴿ جعل الله ﷻ مُحَرَّبَ المساجد أظلم الناس: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ [البقرة: ١١٤].

﴿ المساجد خير بقاع الأرض: فقد ذكر ذلك النبي ﷺ (١).

﴿ بواب المساجد هم الملائكة: يكتبون الداخل أولاً بأول.

﴿ كافأ الله ﷻ من بنى مسجداً البيت في الجنة: كما قال النبي ﷺ: «من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة» (٢).

﴿ جعل للماشي إلى المسجد عظيم الأجر وجزيل الثواب: فقد قال النبي ﷺ: «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجته» (٣).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزْلاً في الجنة كلما غدا أو راح» (٤).

وأخرج مسلم في «صحيحه» من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رجل لا

(١) وقد تقدم ذلك، وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٠)، ومسلم (حديث ٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٢)، ومسلم (حديث ٦٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة، قال: فقيل له: أو قلت له: لو اشتريت حملاً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء، قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إنني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول الله ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كله»^(١).

ونحوه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد»، قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، قال: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم»^(٢).

❁ وَعَدَّ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا كَثْرَةَ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ: ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(٣).

❁ وَكَانَ جِزَاءً مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبَهُ بِالْمَسْجِدِ: أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله^(٤).
❁ وَتَكْرِيماً لِلْمَسَاجِدِ: أمر النبي ﷺ من دخلها أن يركع ركعتين قبل أن يجلس^(٥).

(١) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٥١).

(٤) أخرج البخاري (حديث ١٤٢٣)، ومسلم (حديث ١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...، ورجل قلبه معلق في المساجد...» الحديث.

(٥) أخرج البخاري (حديث ٤٤٤)، ومسلم (حديث ٧١٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس».

❁ **وشرع لمن دخلها أن يقول: اللهم افتح لي أبواب رحمتك** ^(١) .
 ❁ **وعدّ البزاق في المسجد خطيئة** وكانت كفارتها دفنها ^(٢) .
 ❁ **ونزّه رسول الله ﷺ المساجد عن خبيث الرائحة فقال: «من أكل ثومًا أو بصلاً**
فليعتزل مسجدنا» ^(٣) ، ولما بال الرجل في المسجد قال النبي ﷺ: «إن المساجد لا
 تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن» ^(٤) .
 ❁ **والملائكة تصلي على المصلي ما دام في مصلاه الذي صلى فيه: تقول: اللهم**
اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يُحدّث ^(٥) .



س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ١١٥] وسبب نزولها؟
 ج: أما قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** ﴾ [البقرة: ١١٥] أي: والله ملك المشرق
 والمغرب، أما قوله تعالى: ﴿ **فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ١١٥] فللعلماء فيه
 أقوال:

❁ **منها: أن هذا في صلاة النافلة على الراحلة في السفر فيصلي الشخص النافلة**
على الراحلة في السفر حيثما توجهت به كما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إنما

-
- (١) أخرج مسلم (حديث ٧١٣) من حديث أبي حميد (أو أبي أسيد) الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك...» الحديث.
 (٢) أخرج البخاري (حديث ٤١٥)، ومسلم (حديث ٥٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها».
 (٣) أخرج البخاري (حديث ٥٤٥٢)، ومسلم (حديث ٥٦٤ ص ٣٩٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا».
 (٤) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.
 (٥) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٩)، ومسلم (حديث ٦٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

أنزلت هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعاً، ويلتحق بالمسافر الخائف والمطلوب والمقاتل ونحو ذلك.

❁ ومنها: أن معنى الآية الكريمة: والله المشرق والمغرب فأينما توجهتم في سفركم فتم (هنالك) قبله الله فاتجهوا إليها.

❁ ومنها: أن هذه الآية الكريمة كانت قبل الأمر بالتوجه إلى القبلة فلما نزل قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١١٤] نسخها^(١). هذه أقوى الأقوال في تأويل هذه الآية الكريمة، والله تعالى أعلم.



س: هل لهذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ...﴾ [البقرة: ١١٥] صلة بالآية التي قبلها؟

ج: قال ابن جرير الطبري رحمته الله: هي لها [مواصلة]، وإنما معنى ذلك: ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها، والله المشرق والمغرب فأينما توجهوا وجوهكم فاذكروه فإن وجهه هنالك يسعكم فضله وأرضه وبلاده ويعلم ما تعملون ولا يمنعكم تخريب من خرب مسجديت المقدس ومنعهم من منعوا من ذكر الله فيه أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله تبتغون به وجهه.

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٨٣٥) قال: قوله عز وجل: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) ثم نسخ ذلك بعد ذلك فقال الله: (وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَنِينٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

معناها	الكلمة
تنزهه عن الولد خاضعون مطيعون ^(١) - مقرون بالعبودية - قائمون يوم القيامة، والقنوت يطلق على القيام في الصلاة كما قال النبي ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت». ويطلق على السكوت أيضًا، فكان الصحابة يتكلمون في الصلاة حتى نزل قول الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فأمروا بالسكوت، ويطلق على الدعاء كذلك. هو المبدع، وبديع السموات والأرض منشؤهما على غير مثال سابق (وسمي المبتدع مبتدعًا لإحداثه منه ما لم يسبقه إليه غيره).	(سُبْحَانَهُ) ﴿ (قَانِتُونَ) ﴿ (بَدِيعُ) ﴿

(١) فإن قيل: الكافر غير مطيع لله فالإجابة أن أقدار الله عز وجل من موت وحياة ومرضى ومصائب وحوادث ورزق وولد ونحو ذلك تجري عليه رغم أنفه.
قال الطبري رحمه الله تعالى: وأولى معاني القنوت في قوله تعالى: (كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ) [البقرة: ١١٦] الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله عز وجل وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها، وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الذين زعموا أن الله ولدًا بقوله: (بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) [البقرة: ١١٦] ملكًا وخلقًا ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض [أنها] مقرة بدالاتها على ربها وخالقها وأن الله تعالى بارئها وخالقها، وإن جحد ذلك بعضهم فألسنتهم مذعنة له بالطاعة بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك وأن المسيح أحدهم فأنى يكون لله ولدًا وهذه صفته؟!!!

MOSTAFAALADWY.COM

س: من الذين قالوا: اتخذ الله ولداً؟

ج: هم اليهود والنصارى وطوائف من أهل الشرك، فاليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، وطوائف من المشركين قالوا: الملائكة بنات الله.

قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَبْنَا لَهُمُ اللَّهَ أَنْ يُفَكَّرَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

❁ وقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧].



س: ما معنى سبحانه في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ ﴾

[البقرة: ١١٦]؟

ج: معناها هنا - والله أعلم -: تنزهه عن الولد.



س: اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تهمي الولد عن الله سبحانه وتعالى وتبين جرم

من جعل لله ﷻ ولداً؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

❁ قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١- ٤].

❁ وقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ ﴾ [مريم: ٨٨- ٩٤].

❁ وقول الله ﷻ: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴾

[الأنعام: ١٠١].

❀ وقوله تعالى: ﴿... وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ ﴿الكهف: ٤، ٥﴾ .

❀ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ ﴿البقرة: ١١٦﴾ .

❀ وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد»^(١) .



س: ما وجه إيراد قوله تعالى: ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ ﴿البقرة: ١١٦﴾ عقب قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴿البقرة: ١١٦﴾؟

ج: وجه ذلك كما قال الطبري رحمه الله: وكيف يكون المسيح لله ولداً وهو لا يخلو إما أن يكون في بعض هذه الأماكن إما في السموات وإما في الأرض والله ملك ما فيهما، ولو كان المسيح ابناً كما زعمتم لم يكن كسائر ما في السموات والأرض من خلقه وعبيده في ظهور آيات الصنعة فيه.



س: ما وجه إيراد قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِذَا قَضٰٓءُ أَمْرٍ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ ۗ كُنْ فَيَكُونُ ۗ ﴿البقرة: ١١٧﴾ عقب قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴿البقرة: ١١٦﴾؟

ج: وجه ذلك أن الله ﷻ بَيِّنٌ وأوضح أنه خلق السموات والأرض على غير مثال سابق، وكذلك فهو قادر على خلق المسيح من غير أبٍ على غير مثالٍ سابق^(٢) .

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨ / ٧٣٩)، والنسائي (٤ / ١١٢) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ عن ربه ﷻ.

(٢) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: فمعنى الكلام: سبحان الله أتى يكون له ولد وهو مالك ما في السموات والأرض تشهد له جميعاً بدلائلها عليه بالوحدانية وتقرُّ له بالطاعة وهو بارئها وخالقها وموجدتها من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه، وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله جل ثناؤه بُنُوته وإخباراً منه أن الذي ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير



س: قسم بعض أهل العلم البدعة قسمين اذكرهما مع مثال لكل منهما؟

ج: قسم بعضهم البدعة قسمين^(١) :

❁ بدعة شرعية كقول النبي ﷺ: «وكل بدعة ضلالة»^(٢) .

❁ بدعة لغوية كقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لما جمع الناس على صلاة

الترابيح: نعم البدعة هذه^(٣) .

والدِّ بقدرته.

(١) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى، وقال القرطبي رحمه الله: كل بدعة صدرت من مخلوق فلا يخلو أن يكون لها أصل في الشرع أو لا فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وحض رسوله عليه فهي في حيز المدح وإن لم يكن مثاله موجوداً كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهذا فعله من الأفعال المحمودة وإن لم يكن الفاعل قد شُيِّبَ إليه، ويعضد هذا قول عمر رضي الله عنه: نعم البدعة هذه، لما كانت من أفعال الخير وداخله في حيز المدح وهي وإن كان النبي ﷺ قد صلاها إلا أنه تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس عليها فمحافظة عمر رضي الله عنه عليها وجمع الناس لها وندبهم إليها بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة، وإن كانت في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهي في حيز الذم والإنكار قال معناه الخطابي.

قلت (القائل هو القرطبي رحمه الله): وهو معنى قوله رضي الله عنه في خطبته: «وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»^(*) يريد ما لم يوافق كتاباً أو سنته أو عمل الصحابة رضي الله عنهم، وقد بين هذا بقوله: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء»، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(*) وهذا إشارة إلى كل ما ابتدئ من قبيح وحسن وهو أصل هذا الباب، وبالله العصمة والتوفيق لأرب غيره.

(٢) أخرجه مسلم، (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة».

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٠١٠) من طريق عبدالرحمن بن عبد القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يُصلي الرجل لنفسه ويُصلي الرجل فيصلِّي بصلاته الرهط فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل يريدها آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله.



س: ما معنى ﴿قَضَى﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [البقرة: ١١٧]؟

ج: قضى هنا بمعنى أحكم وأمضى وفرغ منه، قال الطبري رحمه الله يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [البقرة: ١١٧] وإذا أحكم أمرًا وحتمه^(١)، وأصل كل قضاء أمر (الإحكام والفراغ منه، ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس (القاضي بينهم) لفصله القضاء بين الخصوم وقطعه الحكم بينهم وفرغه منه به، ومنه قيل للميت (قد قضى) يُراد به قد فرغ من الدنيا: وفصل منها، ومنه قيل: (ما ينتضي عجبني من فلان) يُراد ما ينقطع ومنه قيل: (تقضّى النهار) إذا انصرم، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٣٢] أي: فصل الحكم بين عباده بأمره إياهم بذلك، وكذلك قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤] أي: أعلمناهم بذلك وأخبرناهم به، وفرغنا إليهم منه.
ومنه قول أبي ذؤيب:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ^(٢) قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغَ تَبَعُ

ويروى: وتعاورا^(٣) مسرودتين قضاهما.

ويعني بقوله (قضاهما) أحكمهما، ومنه قول الآخر في مدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

﴿*﴾ أخرجه مسلم (حديث ٧٦٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً.

﴿*﴾ أخرجه مسلم (حديث ٧١٠١) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً (مصحوباً بقصة).

(١) حتم الأمر أي قضاة قضاء لازماً.

﴿*﴾ وقال القرطبي رحمه الله: وقال الأزهري: قضى في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه.

﴿*﴾ وقال القرطبي أيضاً: قال علماؤنا: ﴿قَضَى﴾ لفظ مشترك: يكون بمعنى الخلق، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي خلقهن ويكون بمعنى الإعلام، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤] أي أعلمنا ويكون بمعنى الإلزام وإمضاء الأحكام، ومنه سُمِّيَ الحاكم قاضياً ويكون بمعن توفية الحق قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩] ويكون بمعنى الإرادة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨] أي إذا أراد خلق شيء.

(٢) مسرودتان أي درعان.

(٣) تعاورنا فلاناً بالضرب ضربناه واحداً بعد واحد.

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق^(١) في أكمامها لم تفتق
ويروى: «بوائج»^(٢).



معاني الأمر

س: اذكر معاني الأمر في كتاب الله ﷻ؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

والأمر في القرآن يتصرف على أربعة عشر وجهاً.

❁ الأول: الدين قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤٨]

يعني دين الله الإسلام.

❁ الثاني: القول: ومنه قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧] يعني

قولنا^(٣)، وقوله: ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بِبَيْنِهِمْ﴾ [طه: ٦٢] يعني قولهم.

❁ الثالث: العذاب: ومنه قوله تعالى: ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] يعني لما

وجب العذاب بأهل النار.

❁ الرابع: عيسى عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ [ال عمران: ٤٧] يعني

عيسى^(٤) وكان في علمه أن يكون من غير أب.

❁ الخامس: القتل ببدر: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [غافر: ٢٨] يعني

القتل ببدر، وقوله تعالى: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢] يعني قتل

(١) البوائق جمع بانقة وهي الداھية المنكرة التي فتحت ثغرة لا تفسد، والأكمام جمع كم (يضم الكاف وكسرهما) وهو غلاف الثمرة قبل أن ينشق عنه وقوله (لم تفتق) أصلها تفتق، حذف أحد التاءين وتفتق الكم عن زهرته انشق وانفطر، قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله، وقال أيضاً.

(٢) بوائج جمع بانجة وهي الداھية التي تنفتق انفتاقاً منكراً فتعم الناس وتتابع عليهم شروها.

(٣) ولمنازع أن ينازع في هذا المعنى في هذا الموطن، وكذلك في بعض المعاني المذكورة في غيره من الأوجه التي ذكرها القرطبي رحمه الله.

(٤) وهذا أيضاً مما يُنازع فيه.

كفار مكة.

❁ **السادس: فتح مكة:** قال الله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾
[التوبة: ٢٤] يعني فتح مكة.

❁ **السابع: قتل قريظة وجلاء بني النضير:** قال الله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩].

❁ **الثامن: القيامة:** قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١].

❁ **التاسع: القضاء:** قال الله تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١] يعني القضاء.

❁ **العاشر: الوحي:** قال الله تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة:

٥] يقول يُنزل الوحي من السماء إلى الأرض، وقوله: ﴿يُنزِلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] يعني الوحي.

❁ **الحادي عشر: أمر الخلق:** قال الله تعالى: ﴿الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] يعني أمور الخلائق.

❁ **الثاني عشر: النصر:** قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [آل

عمران: ١٥٤] يعنون النصر، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٥١] يعني النصر.

❁ **الثالث عشر: الذنب:** قال الله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق: ٩] يعني

جزاء ذنبها.

❁ **الرابع عشر: الشأن والفعل:** قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾

[هود: ٩٧] أي: فعله وشأنه وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النود: ٦٣] أي: فعله^(١).



س: إذا أراد الله ﷻ أمراً فهل يتحقق هذا الأمر بدون قولٍ منه سبحانه أم أنه يتحقق

بقول الله ﷻ: ﴿كُنْ﴾ [البقرة: ١١٧] وما في معناه؟

(١) وفي بعض ما ذكره القرطبي من المعاني نظر، والله تعالى أعلم.

ج: ذهب بعض العلماء مذهباً ضعيفاً هنا فقالوا: إن ما يريدُه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يتحقق بدون قول ﴿كُنْ﴾ [البقرة: ١١٧] ، وقالوا: إن قول الله **عَلَيْكَ**: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] نظير قول القائل: (قال فلان برأسه) و(قال بيده) إذا حرَّك رأسه، أو أوماً بيده ولم يقل شيئاً، قالوا: وهو كقول عمرو بن حممة الدوسي: فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاحُهُ إِذَا رَامَ تَطْيَارًا يُقَالُ لَهُ قَعَّ قَالُوا: ولا قول هناك، وإنما معناه إذا رام طياراً وقع.

قلت: وهذا مذهب ضعيف والصواب من القول ما ذكر الله في كتابه حيث قال سبحانه:

﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

[آل عمران: ٥٩]

﴿وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

[الأعراف: ١٦٦]

﴿وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] ، وفي الحديث القدسي في قصة الرجل الذي لم يفعل خيراً قط وحضرته الوفاة فقال: «إذا أنا متُّ فحرِّقوني ثم اسحقوني ثم ذرُّوني في اليم في يومٍ عاصفٍ...» الحديث وفيه أنهم فعلوا به ما أمرهم فقال الله له: «كن رجلاً» فإذا هو رجل قائم بين يدي الله **عَلَيْهِ**.
﴿ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا...﴾ [البقرة: ٢٤٣].



(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٨) من حديث أبي سعيد **رَضِيَ** مرفوعاً، وله طرق عن رسول الله **ﷺ**.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا
آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ
أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا
النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ
الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ
الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ
ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾
وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

معناها	الكلمة
هَلَّا.	(لَوْلَا) ❖
يُصَدِّقُونَ وَيَتَّبِعُونَ المرسلين ويدعون لأوامر الله عز وجل.	(يُؤَقِّنُونَ) ❖
هي النار إذا شبت وقودها.	(الْحَجِيرِ) ❖
دينهم.	(دِينِهِمْ) ❖
مَنْ يتولاك ويقوم بأمرك.	(وَلِيِّ) ❖
ناصر ينصرك.	(نَصِيرٍ) ❖
يتبعونه حق اتباعه ويقومون به خير قيام، ومن تفسير التلاوة	(يَتْلُونَهُ حَقًّا) ❖
بالاتباع: قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ [الشمس: ٢]، وقيل في:	(تِلَاوَتِهِ) ❖
يتلونه حق تلاوته: يرتلون حتى ترتيله، وقيل: لا يحرفونه ولا	
يغيرونه ولا يبدلون، والقول الأول عليه أكثر أهل العلم، والله	
أعلم.	

س: من الذين لا يعلمون المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ [البقرة: ١١٨]؟ ومن الذين من قبلهم المذكورون في نفس الآية أيضًا؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إن المراد بـ ﴿ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨] هنا هم النصارى ورجحه ابن جرير الطبري رحمته الله لأن سياق الآيات المتقدمة فيهم.
 ﴿ وَقَالَ آخِرُونَ هُمُ النَّصَارَى وَمَعَهُمُ الْيَهُودُ أَيْضًا فَقَدْ تَعَنَتِ الْيَهُودُ وَطَلَبُوا الْآيَاتِ مِنْ مُوسَى عليه السلام فَقَالُوا ﴾ ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥]. إلى غير ذلك من الآيات الواردة في تعنتهم.

﴿ وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّ ﴾ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة: ١١٨] هم مشركو العرب فهم الذين تعنتوا وطلبوا الآيات من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ حيث قال: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَجِهْرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفٍ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

وقالوا: ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً ﴾ [المدثر: ٥٢] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾ [الفرقان: ٢١].

﴿ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ إِنَّ ﴾ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة: ١١٨] هم الجهالة من هذه الفرق من النصارى واليهود وأهل الشرك الذين سألوا أنبياءهم الآيات، والله تعالى أعلم.

أما ﴿ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [البقرة: ١١٨] فمبنية على تفسير ﴿ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨]، فإن قيل ﴿ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨] هم مشركو العرب

﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٨] هم أهل الكفر بصفة عامة من قوم نوح وهود وصالح و... ومن اليهود والنصارى كذلك.

وإن قلنا إن ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١١٨] هم النصارى ف﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٨] هم اليهود وسائر أمم الكفر، وإن أطلقنا القول ف﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٨] هم الكفار الذين تقدموا وسألوا الآيات، والله تعالى أعلم.



س: كيف نجتمع بين قوله تعالى: ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨] وبين قوله ﷻ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]؟

ج: وجه الجمع أن قلوبهم متشابهة في كفرهم وعنادهم وتعنتهم وزيغهم كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَّوْا بِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣] أي: كأنهم تواصلوا بتكذيب الرسل ووصفهم بالسحر والجنون. أما قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤] فهذا في التعاملات التي تجري بينهم، وموقف كل منهم تجاه الآخر وتضليل كل منهم للآخر، فهم وإن تشابهت قلوبهم في كونهم كفارًا متعنتين، فقلوبهم كذلك مختلفة فيما بينهم في تضليل كل منهم للآخر وحسد كل منهم للآخر وعداوة كل منهم للآخر كما قال تعالى: ﴿فَاغْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤] والله أعلم.



س: ما المراد بالآية في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ كَأَيْنَا آيَةً﴾ [البقرة: ١١٨]؟

ج: المراد بالآية المعجزة كسؤالهم رؤية الله جهرة وكسؤالهم جعل الصفا ذهبًا وكسؤالهم الرُّقِيِّ في السماء ونحو ذلك، والله تعالى أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]؟

ج: المعنى أنكم يا من سألتم عن الآيات وجاء ذكركم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ [البقرة: ١١٨] فهذه الآيات قد بيّنت لكم وفصلت لكم تفصيلاً فهذا كتاب الله كله آيات دالة على صدق نبوة أنبيائنا. و ثم آيات أخر كانشقاق القمر وحنين الجذع وتكثير الطعام وتكليم الحيوان لرسولنا وتسليم الأحجار عليه وإذعان الأشجار إليه، و.. إلى غير ذلك من الآيات التي بينها وفصلناها للموقنين فهم الذين ينتفعون بهذه الآيات أما الذين ختم على قلوبهم وسمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة فالأمر فيهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧] وكما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥] والله أعلم.



س: ما المراد بالحق في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْتَلَّ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩]؟

ج: لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنه الصدق.

الثاني: أنه القرآن.

الثالث: الإسلام، وبكل هذا أرسل رسول الله ﷺ.



س: قوله تعالى: ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة: ١١٩] بشير بماذا ولمن؟ ونذير لمن ومن

ماذا؟

ج: بشير لمن أطاعه وصدقه واتبعه بالجنة ونذير لمن عصاه وخالفه وكذبه بالنار،

والله تعالى أعلم.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَمْثَلِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] اذكر آيات في معنى الآية الكريمة وهل صح لهذه الآية سبب نزول؟

ج: المعنى - والله أعلم - أنك لست مسئولاً عن كفر من كفر وعصيان من عصى وتمرد من تمرد ما دمت قد أدت ما عليك من البلاغ والتبشير والإنذار.

أما الآيات التي في معناها فتمت:

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوَفَيْتَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

﴿وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

﴿وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

﴿وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

ولا نعلم لهذه الآية سبب نزول صحيحاً، والله تعالى أعلم.



س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِغَ وَلْيَمْهَرُ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ج: الآية هي قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾

[النساء: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِنْدِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ

إِيْمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩].



س: ما المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟

ج: المراد بالعلم هنا ما يلي:

✽ العلم ببطلان عقائدهم وتحريفهم الكتب المنزلة من عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.
 ✽ العلم أن الإسلام هو دين الحق وما سواه من الأديان باطل.
 ✽ عموم العلم الذي جاء به رسول الله ﷺ من كتاب الله وما أوحاه الله ﷻ إليه من السنة، والله تعالى أعلم.



س: هل الكفر ملة واحدة أو عدة ملل؟

ج: ذكر أهل العلم قولين في هذا الباب:

✽ فمن العلماء من ذهب إلى أن الكفر ملة واحدة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] فأفرد الملة هنا، وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١] ومن العلماء القائلين بهذا القول أبو حنيفة والشافعي وداود وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى أجمعين نقله عنهم القرطبي **رَحِمَهُمُ اللَّهُ**.

✽ ومن العلماء من ذهب إلى أن الكفر ملل واستدل بحديث النبي ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين»^(١) ومن القائلين بهذا القول الإمام مالك والإمام أحمد في الرواية الأخرى رحمهما الله ﷻ.

ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(١) إسناده حسن فقد أخرجه أبو داود (حديث ٢٩١١)، وأحمد (١٧٨ / ٢ - ١٩٥) وغيرهما من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً.



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟

ج: قال القرطبي رحمته الله: المعنى: ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم.

✽ وقال أبو جعفر بن جرير الطبري رحمته الله: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً فذبح طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك إلا أن تكون يهودياً نصرانياً، وذلك مما لا يكون منك أبداً لأنك شخص واحد ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل فالزم هدى الله الذي لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل.

وأما (الملة) فإنها الدين وجمعها الملل.

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] إن هدى الله هو الهدى يعني إن بيان الله هو البيان المقنع والقضاء الفاصل بيننا فهلموا إلى كتاب الله وبيانه الذي بين فيه لعباده ما اختلفوا فيه وهو التوراة التي تقرن جميعاً بأنها من عند الله يتضح لكم فيها المحق فينا من المبطل وأئنا أهل الجنة وأئنا أهل النار وأئنا على

الصواب وأئنا على الخطأ.

❁ وإنما أمر الله نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه لأن فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا: من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى وبيان أمر محمد ﷺ وأن المكذّب به من أهل النار دون المصدّق به.

❁ ثم قال الطبري رحمته الله في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ..﴾ [البقرة: ١٢٠] يعني جل ثناؤه: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ﴾ يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك من تهوّد وتنصّر فصرت من ذلك إلى إرضائهم ووافقت فيه محبتهم من بعد الذي جاءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم، ومن بعد الذي اقتضت عليك من نبئهم في هذه السورة مالك من الله من ولي - يعني بذلك: ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك، وقيم يقوم به، ولا نصير ينصرك من الله فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ويمنعك من ذلك إن أحلّ بك ذلك ربك.. ثم قال رحمته الله وقد قيل: إن الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد ﷺ لأن اليهود والنصارى دعتهم إلى أديانها، وقال كل حزب منهم إن الهدى هو ما نحن عليه دون ما عليه غيرنا من سائر الملل فوعظه الله أن يفعل ذلك وعلمه الحجة الفاصلة بينهم فيما ادعى كل فريق منهم، والله أعلم.



س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَكْفُرُونَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْآيَةُ﴾ [البقرة: ١٢١]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

❁ الأول: أنهم علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله ^(١) وهم

(١) وقد انتصر ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لهذا القول فقال: لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين وتبديل من بدّل منهم كتاب الله وتأولهم إياه على غير تأويله وادعائهم على الله الأباطيل، ولم يجز لأصحاب محمد ﷺ في الآية التي قبلها ذكر فيكون قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ موجّهًا إلى الخبر عنهم ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها، فيكون موجّهًا ذلك إلى

المذكورون في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يُنَادِي عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بَيْنَا وَبَيْنَ أَنْهَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الفصل: ٥٢-٥٤].

❁ الثاني: أنهم أصحاب محمد ﷺ^(١).

❁ الثالث: أورده ابن عطية في «المحرر» فقال: ويحتمل أن يُراد بـ﴿الَّذِينَ﴾ العموم في بني إسرائيل والمؤمنين من العرب.



س: ما فائدة التفسير بقوله تعالى: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]؟

ج: المراد المبالغة في صفة اتباعهم للكتاب.



س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن من أقام دينه من أهل الكتاب وآمن بما في كتابه واتبع ما فيه حق الاتباع قاده هذا الإيمان والاتباع إلى الإيمان برسول الله ﷺ وبما جاء به ومن كفر فأولئك هم الخاسرون^(٢).

^١ أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله ﷺ وبعد انقضاء قصص غيرهم، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له.

فإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجهاً إلى أنه خبر عمن قصص الله جل ثناؤه قصصهم في الآية قبلها والآية بعدها، وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل، وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية: الذين آتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد - وهو التوراة - فقرأوه واتبعوا ما فيه فصدقوا وآمنوا بك وبما جئت به من عندي أولئك يتلونه حق تلاوته، وإنما أدخلت الألف واللام في الكتاب لأنه معرفة، وقد كان النبي ﷺ وأصحابه عرفوا أي الكتب عني به.

(١) وقد ورد بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (١٨٧٨).

(٢) قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: فأخبر جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة هو المتبع ما فيها من حلالها وحرامها والعامل بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفة دون من كان محرراً لها مبدلاً تأويلها مغيراً سنتها تاركاً ما فرض الله فيها عليه، وإنما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من



س: الضمير في قوله تعالى: ﴿يُؤَيِّدُ﴾ [البقرة: ١٢١] يرجع إلى من؟

ج: قيل: إنه يرجع إلى رسول الله ﷺ وقيل: إنه يرجع إلى القرآن كما قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾

[الإسراء: ١٠٧]

س: فيم يتمثل الخسران في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؟

ج: الخسران يتمثل في ولوج هذا الخاسر النار كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْئَا نَارٌ مُوعَدَةٌ﴾ [هود: ١٧].

✽ وكما قال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»^(١).



س: لماذا كرر قوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ الآية

[البقرة: ١٢٢]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وكررت ها هنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم نعته واسمه وأمره وأمنه فحذرهم من كتمان هذا وكتمان ما أنعم به عليهم، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية و الدينية ولا يحسدوا بني عمهم^(٢) من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه والحيد عن موافقته صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

^(١) متبعي التوراة وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم لأن في اتباعها اتباع محمد ﷺ وتصديقه لأن التوراة تأمر أهلها بذلك وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم، وأن في التكذيب بمحمد التكذيب لها، فأخبر جل ثناؤه أن متبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد ﷺ وهم العاملون بما فيها.

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) مراده أن العرب أولاد إسماعيل، واليهود أولاد إسحاق، وإسماعيل وإسحاق أخوان.



MOSTAFAALADWY.COM

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ
إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾



س: ما العامل في (إذ) من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]؟
ج: العامل فيه هو (واذكر) فالمعنى: واذكر إذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات.



ذكر نبي الله وخليله إبراهيم ؑ

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث في الثناء على نبي الله إبراهيم ؑ وبيان فضله
وتكريمه؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

﴿قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

﴿وقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ١٧٣].

﴿وقوله تعالى: ﴿إِن إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٤)

شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَعَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي

الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿[النحل: ١٢٠-١٢٣].

﴿وقوله تعالى لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

﴿وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ

فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَنْبِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة: ١٣٠-١٣٢﴾.

❁ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿البقرة: ١٢٧﴾.

❁ وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾ الآيات ﴿المتحنة: ٤﴾.

❁ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ﴿الأنعام: ٧٥﴾.

❁ وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ ﴿الصفات: ١١٣﴾.

❁ وقوله تعالى: ﴿...فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ ﴿النساء: ٥٤﴾.

❁ وقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿الصفات: ١٠٨﴾، ﴿١٠٩﴾.

❁ وجعل الله كلمة التوحيد باقية في عقبه قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ ﴿الزخرف: ٢٨﴾.

❁ وجعل الله ﷺ النبوة في ذريته كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ ﴿العنكبوت: ٢٧﴾.

❁ وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ ﴿الأنعام: ٨٣﴾.

❁ وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿آل عمران: ٦٧﴾.

❁ وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

أما الأحاديث فمنها:

❁ قول المسلمين في كل صلاة يصلونها - كما علمهم نبيهم محمد ﷺ: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(١).

❁ وفي الصباح كان النبي ﷺ يقول: «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»^(٢).

❁ ورأى النبي ﷺ الأطفال حول إبراهيم غ في الجنة كما في حديث سمرة بن جندب^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



س: ما الكلمات التي ابتلى الله ﷻ بها إبراهيم ﷺ؟

ج: هي عموم الشرائع والأوامر والنواهي والتكاليف التي كلف الله ﷻ بها إبراهيم غ فيدخل في ذلك ما ذكره العلماء مما يلي:

❁ فراق إبراهيم ﷺ قومه في الله حين أمر بفراقهم^(٤).

❁ ومحاججته للنمرود كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا

(١) أخرجه البخاري (بهذا اللفظ) مع الفتح (٦ / ٤٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣ / ٤٠٦) من حديث ابن أبيزى مرفوعاً وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً وفيه «... وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم □ وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة...» الحديث.

(٤) قال تعالى: (فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [العنكبوت: ٢٦].

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿البقرة: ٢٥٨﴾^(١).

✽ صبره على قذفه في النار.

✽ ما أمره الله به من إكرام الضيف وصبره على ذلك.

✽ وما ابتلي به من أمره بذبح ولده عليه السلام وصبره على ذلك وامتناله ما أمره الله

به ويدخل في ذلك أيضًا ما ذكره العلماء وفيه:

✽ أن الله عز وجل ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد، في الرأس قص

الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وفي الجسد تقليم الأظافر، وحلق العانة والختان، وتنف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء.

✽ ويدخل فيها أيضًا الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار

والإفاضة.

✽ ويدخل فيها أيضًا ما ذكره بعض أهل العلم حيث قال: الإسلام ثلاثون سهمًا

منها عشر آيات^(٢) في براءة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمَدُونَ ..﴾ إلى آخر الآية **[التوبة: ١١٢]**

وعشر آيات^(٣) في أول سورة قد أفلح المؤمنون، و﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾،

وعشر آيات^(٤) في الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ...﴾ **[الأحزاب: ٣٥]** فأتهمن

كلهن فكتب له براءة قال الله: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ **[النجم: ٣٦]** إلى غير ذلك من

(١) فتكلم إبراهيم عليه السلام بكلمة الحق عند سلطان جائر.

(٢) يقصد عشر صفات وهي: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمَدُونَ الْحَمْدُونَ السَّابِقُونَ السَّاجِدُونَ

الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾... **[التوبة: ١١٢]**

(٣) يعني عشر صفات أيضًا وهي: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُهُمْ فَمَا بَيْنَهُمْ غَيْرَ مَلُومِينَ ٦ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وراءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩﴾ **[المؤمنون: ١-٩]**.

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ

فُرُوجَهُمْ وَالْحَنَفَظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ **(٣٥)**

[الأحزاب: ٣٥].

التكاليف التي كُلف بها إبراهيم غ.

وهذا العموم هو الذي اختاره ابن جرير وابن كثير رحمهما الله رحمهما.

قال أبو جعفر الطبري رحمته: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال: إن الله رحمته أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه وأمره أن يعمل بهن فأتَمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل، وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل (الكلمات) وجائز أن تكون بعضه، لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه، وإذا كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول عني الله بالكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء ولا عني به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو إجماع من الحجة ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته.



س: لماذا أطلق على هذه التكاليف كلمات؟

ج: قال ابن عطية رحمته: لأنها اقترنت بها أوامر هي كلمات.



س: الضمير في قوله تعالى: ﴿فَاتَمَّهَنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] يرجع إلى من؟ وما معنى ذلك؟

ج: يرجع الضمير إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم في قول أكثر المفسرين والمعنى: فقام بهن خير قيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريطٍ ولا توانٍ وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَابْتَرَاهِمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧].

❁ وذهب فريق من العلماء إلى أنه يرجع إلى الله صلى الله عليه وسلم، والمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئاً.



س: الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَوْثَقْنَا إِبْرَاهِيمَ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤] تدل على أن الأنبياء

معصومون من أن يظلموا الناس وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن الأنبياء عليهم السلام - كما هو معلوم ابتداءً - أئمة يقتدى بهم كما قال الله ﷻ في شأن إبراهيم عليه السلام وذريته: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدًى وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عَبَادَهُ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِآيَاتٍ فَكَّرًا وَقَدَّ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أُقْتَدِةٌ ﴿[الأنعام: ٨٣- ٩٠]، فأمرنا الله بالافتداء بهم، ولما كانوا أئمة يقتدى بهم علم أنهم ليسوا ظلمة، لأن الله ﷻ قال: ﴿لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

❖ قال الرازي رحمته الله (٤/ ٤٠): الآية تدل على عصمة الأنبياء من وجهين:

الأول: أنه قد ثبت أن المراد من هذا العهد^(١) الإمامة ولا شك أن كل نبي إمام، فإن الإمام هو الذي يؤتم به، والنبي أولى الناس، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقاً فبأن تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاسقاً فاعلاً للذنب والمعصية أولى.

الثاني: قال: ﴿لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فهذا العهد إن كان هو النبوة وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظالمين، وإن كان هو الإمامة فكذلك، لأن كل نبي لا بد وأن يكون إماماً يؤتم به، وكل فاسق ظالم لنفسه فوجب أن لا تحصل

(١) يعني العهد المذكور في قوله تعالى: (وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [البقرة: ١٢٤].

النبوة لأحد من الفاسقين، والله أعلم.



س: قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤] هل هو دعاء أو استفهام؟

ج: من العلماء من قال: إنه دعاء والمعنى واجعل اللهم من ذريتي أئمة كما جعلتني إمامًا.
ومن العلماء من قال: إنه استفهام بمعنى وهل تجعل يا رب من ذريتي أئمة كذلك؟ والعلم عند الله تعالى.



س: على من تُطلق الذرية؟

ج: تطلق الذرية في الغالب على الأبناء ومن جاء منهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ [الإسراء: ٣] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] وقول الخليل عليه السلام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤].

ومن تطلق الذرية على الآباء أحيانًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ فِي الْفُلِكِ الْمَسْحُونِ﴾ [يس: ٤١] أي: آباءهم.

ومن تطلق على الآباء مع الأبناء ومنه قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]، والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بالعهد في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]؟

ج: المراد والله أعلم الإمامة في الدين، فلما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] طلب إبراهيم عليه السلام أن يكون من ذريته أئمة أيضًا فقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، أي: إذا كان في**

ذريتك ظالم فلن تناله الإمامة في الدين، والله تعالى أعلم.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالعهد هنا: الأمن من العذاب يوم القيامة، ومنهم من قال: إن المراد بالعهد هنا: الأمر أي: لا يجوز أن يكون الظلمة أهلاً، لأن تُقبل منهم أوامر الله ﷻ.

وتم أقوال آخر، والعلم عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.



س: رجلان أحدهما مسرف على نفسه لكنه حامل لكتاب الله ﷻ، والآخر صالح في نفسه لكنه مقل من القرآن أبهما يُقدم لإمامة الناس في الصلاة؟
ج: الأدلة في هذه المسألة تشهد لكل وجه:

﴿ **فمن قال:** إن الذي يُقدم هو حامل القرآن دليبه قول النبي ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ﷻ» ^(١) .

﴿ **ومن قال:** إن الصالح يقدم، دليبه قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] لما قال لإبراهيم ﷺ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] . والله تعالى أعلم.



س: الإمامة لا تُنال إلا بالصبر وضح ذلك؟

ج: إيضاحه من قول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

﴿ وهذا إبراهيم ﷺ لما ابتلاه ربُّه بالكلمات فأنمهن وقام بهن خير قيام من

(١) أخرج مسلم (حديث ٦٧٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً...» الحديث.

صبر على الإلقاء في النار والامتنال للأمر بذبح الولد، ومحاججة الجبابرة والختان وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وسائر التكاليف الأخرى قال الله سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾ [البقرة: ١٢٤].

وكذلك ابن عباس وغيره من الأئمة نالوا ما نالوه من العلم بالصبر على طلبه وتحصيله^(١).

(١) أخرج الدارمي في سننه (١ / ١٤١، ١٤٢) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال: واعجباً لك يا بن عباس أتري الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتية وهو قائل، فأتوسد رداي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراي فيقول: يا بن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فأتيك؟! فأقول: أنا أحق أن أتيك، فأسأله عن الحديث قال: فبقي الرجل حتى رأني وقد اجتمع الناس علي فقال: كان هذا الفتى أعقل مني. صحيح.

ومن ثم فقد نبغ ابن عباس ونفع الله به وهدى الله على يديه أقواماً، فقد أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٠٥٩٨) بإسناد حسن إلى ابن عباس قال: لما اعتزلت حروراء وكانوا في دار على حداثهم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة لعلي أتى هؤلاء القوم فأكلهم، قال: فإني أتخوفهم عليك قال: قلت: كلا إن شاء الله قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها تعن الإبل، ووجوههم معلية من آثار السجود قال: فدخلت فقالوا: مرحباً بك يا بن عباس، ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: لتحدثه، قال: قلت: أخبروني ما تقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً قلت: ما هن؟ قالوا: أولهن أنه حكم الرجال في دين الله، وقد قال الله: (إِنَّ أَلْحَقَّكُمْ إِلَّا لِلَّهِ) [يوسف: ٤٠، ٦٧] قال: قلت: وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يسب ولم يغنم، لأن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم قال: قلت: وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين قال: قلت: رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثكم من سنة نبيكم □ ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم، قال: قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصِّدِّقَ وَأَنَّهُ حُرْمٌ) إلى قوله: (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ) [المائدة: ٩٥] وقال في المرأة وزوجها: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا) [النساء: ٣٥] أنشدكم الله أحكم الرجال في حق دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم في حق دمائهم وصلاح ذات بينهم، قال: خرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، وأما قولكم: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسيون أمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها

وكذلك سائر الفنون لا يَنْبَغُ فيها أهلها إلا بالصبر عليها وعلى تلقيها، والله تعالى أعلم.



س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] وبين كون عددٍ من الأئمة ظلمة؟

ج: الإمامة هنا هي الإمامة في الدين فلا يكون إمامًا في الدين يأمرنا الله ﷻ بالافتداء به إلا وهو صالح كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]. ومن العلماء من قال: لا ينال عهد الله في الآخرة ظالمًا، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وعاش. قلت: وهذا مبني على تفسير العهد في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] فارجع إليه.



س: هل الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى أم الخروج عليه؟

ج: الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى ما دام مسلمًا، لقول النبي ﷺ لما سأله بعض الصحابة عن منازعة الأئمة قال: «لا إلا أن تروا كفرًا بواحد عندكم من الله فيه

=ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول: (الَّذِينَ آمَنُوا بِالْمُؤْمِنِينَ مِن نَفْسِهِمْ وَأَزَّوَجَهُمْ أُهْتَبُهُمْ) [الأحزاب: ٦] فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم؟ أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم قال: وأما قولكم: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فقال: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال: «والله إنني لرسول الله وإن كذبتوني اكتب يا علي محمد بن عبد الله» فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا.

* وأخرج عبد الله بن أحمد في (الزوائد على فضائل الصحابة لأبيه رقم ١٩٤٧) بإسناد صحيح إلى يزيد بن الأصم قال: خرج معاوية حاجًا وخرج معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه.

برهان».

قال القرطبي رحمته الله: والذي عليه الأكثر من العلماء أن الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الخوف بالأمن وإراقة الدماء وانطلاق أيدي السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد في الأرض، والأول مذهب طائفة من المعتزلة وهو مذهب الخوارج فاعلمه.



س: ذرية إبراهيم عليه السلام هل كلهم صالحون أم منهم الصالح والطالح، وهل تحققت الإمامة في ذرية إبراهيم عليه السلام؟

ج: ذرية إبراهيم عليه السلام منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ [الصافات: ١١٢، ١١٣].

وقد تحققت النبوة في الصالحين منهم، قال الله تبارك: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨].



س: الظالم لا ينفعه نسبه عند الله تعالى دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

﴿قَوْلَ اللَّهِ تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١].

﴿قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ [عبس: ٣٤، ٣٥].

﴿قَوْلَ اللَّهِ تعالى لِنُوحٍ عليه السلام لَمَّا قَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَبْنَىٰ مِنْ أَهْلِ ﴿٤٥﴾﴾﴾ [هود: ٤٥]، ﴿قَالَ يٰ نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦].

﴿وَقَدْ أَمَرْنَا اللَّهَ تعالى بِالتَّاسِي بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِلَّا فِي اسْتِغْفَارِهِ لِأَبِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ اُسُوَةٌ حَسَنَةٌ فِي اِبْرَاهِيْمَ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ اِذْ قَالُوْا لِقَوْمِهِمْ اِنَّا بُرَّءُوْا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ كُفْرًا يَكْفُرْنَا وَيَدَّ اَيْنَا وَبَيْنَكُمْ اَلْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ اَبَدًا حَتّٰى تُوْمِنُوْا بِاللّٰهِ وَحَدُّهُ الْاَقْوَلُ اِبْرَاهِيْمَ لِاَبِيْهِ لَا سَتَّغِرَنَّ لَكَ ﴿ الممتحنة: ٤.﴾

﴿ ولما سأل إبراهيم عليه السلام الإمامة لذريته قال الله تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِيْنَ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»^(١).

﴿ وقوله عليه السلام: «يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً»^(٢).



MOSTAFAALADWI.COM

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ / ٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح وقد تقدم.

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن
مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٦٥﴾



معناها	الكلمة
مرجعاً (يثوبون أي: يرجعون) - مجتمعاً - مكان يثابون عنده.	(مَثَابَةٌ) ❖
من: الأمن، أي: أمناً من العدو فكان الرجل يلقي قاتل أبيه ولا يتعرض له بسوء في الحرم.	(وَأَمْنًا) ❖
أمرنا - أوحينا.	(وَعَهِدْنَا) ❖
المصلون.	(وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) ❖



س: ما المراد بالبيت في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]؟
 ج: المراد بالبيت هنا الكعبة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾
 [الحج: ٢٩].



س: اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل مكة والبيت الحرام وكونه كان
 أمناً للناس؟

ج: من الآيات الواردة في هذا الباب ما يلي:

﴿قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾
 فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].
 ﴿وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبْعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ
 حَرَمًا آمِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
 [القصص: ٥٧].

﴿وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنِ أَتَّعَبُوا أَنِ أَغْبَدُوا رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ
 شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنِ أَتَّكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].
 ﴿وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ
 وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [فريش: ٣، ٤].

﴿وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].
 ﴿وقوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنْخِطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾
 [العنكبوت: ٦٧].

﴿وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى
 وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
 [البقرة: ١٢٥].

﴿وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا

وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ [الحج: ٢٦].

❁ وقد أقسم الله ﷻ بمكة فقال سبحانه: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ ۝١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣٠﴾ [التين: ٣٠].

❁ وقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكْمِ يُظَلَمِ تُدْفَعُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

أما الأحاديث فمنها:

قول النبي ﷺ: «إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة ودعوت لها في ثملها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة».

وقول النبي ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها» فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليبوتهم فقال: «إلا الإذخر»^(١).

❁ وقال أبو شريح العدوي رضي الله عنه لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح - سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به - إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (١٣٥٣) والبخاري (١٥٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٣٥٤)، والبخاري (حديث ١٨٣٢).

❁ هذا والصلاة بالمسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد.

❁ وبه الحجر الأسود ومقام إبراهيم والصفاء والمرورة.

س: **بيِّن على وجه الإجمال هل مكة أفضل أم المدينة؟**

ج: ابتداءً ففي كلِّ خير، ولكن على العموم فمكة أفضل من المدينة بنص حديث رسول الله ﷺ، فقد قال النبي ﷺ: «والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت»^(١).

❁ ولكون الصلاة بمسجد مكة تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد^(٢) بينما الصلاة في مسجد المدينة تعدل ألف صلاة فقط وجمهور العلماء على أن مكة أفضل من المدينة، والله تعالى أعلم.



س: **ما معنى «مَثَابَةٌ» [القرة: ٢٥]؟**

ج: **في معناها أقوال:**

الأول: أن معنى «مَثَابَةٌ» مرجعًا والمعنى يثوبون إليه أي: يرجعون^(٣) إليه، والمعنى أنه جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، فلا يكادون يقضون منه وطراً حيث إنهم يأتونه ثم يرجعون إلى أهلهم ثم يعودون إليه فلا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطراً.

قال القاسمي رحمته (محاسن التأويل ١ / ٧٤٢): (مَثَابَةٌ للناس) مِبَاءَةٌ ومرجعًا للحجاج والعمَّار، يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه، ومَثَابَةٌ مفعلة من (الثوب) وهو

(١) أخرجه أحمد (المسند ٤ / ٧)، والترمذي (حديث ٣٩٢٥) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وابن ماجه (حديث ٣١٠٨)، والحاكم في المستدرک (٧ / ٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين كلهم من حديث عبدالله بن عدي بن الحمراء الزهري (واللفظ لأحمد) أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله عز وجل ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». وانظر أيضًا سنن الترمذي (حديث ٣٩٢٦).

(٢) عند من رأى صحة الحديث بذلك.

(٣) من قولهم: تاب فلان إلى رشده.

الرجوع ترامياً إليه بالكلية، وسر هذا التفضيل ظاهر في انجذاب الأفتدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها له فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس الحديد فهو الأولى بقول القائل:

محاسنه هيولي كل حسن ومغناطيس أفتدة الرجال
فهم يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطراً بل
كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياًقاً.
لا يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقاً
فلله كم لها من قنيل وسليب وجريح، وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح
ورضي المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل والأحباب والأوطان مقدماً بين يديه
أنواع المخاوف والمتالف والمعاطب والمشاق، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ذكر
هذه الشذرة (الإمام ابن القيم في أوائل زاد المعاد).
الثاني: مثابة، أي: مجمعاً لاجتماع الناس عليه في الحج والعمرة.
الثالث: من الثواب أي: أنهم يثابون عنده.
والله تعالى أعلم.



موافقات عمر رضي الله عنه ربه رضي الله عنه

س: اذكر بعض الموافقات التي وافق فيها عمر رضي الله عنه ربه رضي الله عنه؟

ج: من هذه الموافقات ما يلي:

١- موافقة عمر لربه رضي الله عنه في النهي عن الصلاة على المنافقين ففي «الصحاحين»^(١)
من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لماتوني عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن
عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه فأخذ

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٧٢)، ومسلم (حديث ٢٤٠٠).

عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟! قال: «إنما خيرني الله - أو: أخبرني الله - فقال: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴿التوبة: ٨٠﴾﴾ فقال: «سأزيده على سبعين». قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمَ عَلَى قَبْرِهِ ﴿التوبة: ٨٤﴾﴾.

وفي رواية أخرى للبخاري من حديث عمر بن الخطاب ^(١) رَوَى اللَّهُ قَالَ:

لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله وثبت إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا - أُعِدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ - فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أخر عني يا عمر» فلما أكثرت عليه قال: «إني خيرت فاخترت لو أعلم أي إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها» قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف لم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيات من براءة: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا ﴿التوبة: ٨٤﴾﴾، قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ. والله ورسوله أعلم.

٢- موافقة عمر ربِّه ﷺ في أسارى بدر ففي «صحيح مسلم» ^(٢) من حديث عمر

رَوَى اللَّهُ قَالَ:

لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فاتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٣٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣) من طريق أبو زميل (وهو سماك الحنفي) عن ابن عباس عن عمر رَوَى اللَّهُ.

كفأك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل ﷺ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأمده الله بالملائكة.

قال أبو زميل^(١) فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا بن الخطاب» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان (نسيباً لعمر)، فأضرب عنقه^(٢) فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكهما، فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة» (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ)، وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ سَرَى حَتَّى يُثَخَّرَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿فَكُلُّوا

(١) هو راوي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في رواية أحمد (١ / ٣٠، ٣١): وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين.

مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴿ [الأنفال: ٦٩] ، فأحل الله الغنيمة لهم .

٣- موافقة عمر رضي الله عنه ربّه عليه السلام في الحجاب .

٤- موافقة عمر رضي الله عنه ربّه عليه السلام في قوله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى يا

رسول الله... الحديث .

٥- موافقة عمر رضي الله عنه ربّه عليه السلام في قوله: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا

مَنْكُنْ... ﴾ الآية [التحريم: ٥] .

وها هو الحديث الذي يجمع هذه الثلاثة:

أخرج البخاري ^(١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث ^(٢)

فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ

إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] ، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن

يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في

الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مَنْكُنْ... ﴾

[التحريم: ٥] ، فنزلت هذه الآية .



س: ما هو المراد بمقام إبراهيم عليه السلام؟

ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال منها ما يلي:

الأول: أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام هو الحرم كله .

الثاني: أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام الحج كله: (الطواف بالبيت والوقوف بعرفة

وبمزدلفة وبمنى ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة...)، والمراد أن الناس

(١) الحديث أخرجه البخاري (حديث رقم ٤٠٢) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري) (١ / ٥٠٥): وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي

الزيادة عليها لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر، وقصة الصلاة

على المنافقين وهما في الصحيح، وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال: ما نزل بالناس أمر قط

فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر، وهذا دال على كثرة موافقته .

أمرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا الْأَمَاكِنَ الَّتِي قَامَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَدَعَا بِهَا مَوَاطِنَ يَصَلُّونَ (أَي: يَدْعُونَ اللَّهَ) فِيهَا كَمَا فَعَلَ إِمَامُهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الثالث: وهو الصحيح: أَنْ الْمُرَادَ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْحَجَرُ الَّذِي كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُومُ عَلَيْهِ لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ لَمَّا ارْتَفَعَ الْجِدَارُ أَتَاهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ لِيَقُومَ فَوْقَهُ وَيُنَاوِلَهُ الْحِجَارَةَ فَيَضَعُهَا بِيَدِهِ لِرَفْعِ الْجِدَارِ وَكَلَّمَا كَمَلَ نَاحِيَةَ انْتَقَلَ إِلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى يَطُوفُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ كَلَّمَا فَرَّغَ مِنْ جِدَارِ نَقْلِهِ إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي تَلِيهَا، وَهَكَذَا حَتَّى تَمَّ جِدَارَانِ الْكَعْبَةِ.

كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ ^(١) وَقَالَ: وَكَانَتْ آثَارُ قَدَمَيْهِ ظَاهِرَةً فِيهِ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا مَعْرُوفًا تُعْرَفُهُ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا وَلِهَذَا قَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ اللَّامِيَّةِ:

وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةٌ عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلٍ

وَقَدْ أَدْرَكَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ فِيهِ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ^(٢) حَدَّثَهُمْ قَالَ: رَأَيْتُ الْمَقَامَ فِيهِ أَصَابِعُهُ غُ وَأَخْمَصُ قَدَمَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ أَذْهَبَهُ مَسْحَ النَّاسِ بِأَيْدِيهِمْ.

قلت: وَيَتَأَيَّدُ مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَنَّ الْمَقَامَ هُوَ الْحَجَرُ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ^(٣) مِنْ حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ قَالَ: سَأَلْنَا ابْنَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيَقَعُ الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ فِي الْعِمْرَةِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةِ؟

قال: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ وَطَافَ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةِ.

(١) وَزَادَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْحَجَرَ كَانَ مَلصَقًا بِالْكَعْبَةِ وَأَنَّ الَّذِي أَخْرَجَهُ إِلَى مَوْطِنِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ الْآنَ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأُورِدَ بَعْضُ الْأَسَانِيدِ بِذَلِكَ وَقَالَ: فَهَذِهِ الْآثَارُ مُتَعَاذَةٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ.

(٢) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ إِلَى أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (حَدِيثٌ ١٦٢٣).

وأخرج مسلم ^(١) عن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في وصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقراً: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت.



س: هل يشرع مسح مقام إبراهيم؟

ج: لا يشرع مسح مقام إبراهيم عليه السلام إذ لم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نقل - فيما علمت - بإسناد صحيح عن أحد من أصحابه، وأما ما تقدم عن أنس أنه قال: رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم. فليس فيه أن أنس فعل ذلك ولا أن هؤلاء الناس فعلوا ذلك بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد قال قتادة رضي الله عنه كما روي عنه ذلك بسند حسن عند ابن جرير الطبري رضي الله عنه: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، وقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها ^(٢).



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]؟

ج: هذا أمر من الله تعالى لعباده أن يصلوا خلف مقام إبراهيم عليه السلام. وقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: أمروا أن يصلوا عنده ^(٣). ومن العلماء من قال: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] أي: مُدْعَى يدعون عنده، وصلت هنا بمعنى: دعوت، قال ابن جرير الطبري رضي الله عنه: وقائلو هذه المقالة هم الذين قالوا: إن مقام إبراهيم هو الحج كله،

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨).

(٢) أخرجه الطبري (أثر رقم ٢٠٠٠) وعنده زيادة: ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة بمسحونه حتى اخلو لوق وانمحي.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠٠٥) بإسناد حسن عن قتادة.

فكان معناه في تأويل هذه الآية: واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار وسائر أماكن الحج التي كان إبراهيم يقوم بها مداعي تدعوني عندها وتأتون بإبراهيم خليلي ﷺ فيها فإني قد جعلته لمن بعده من أوليائي وأهل طاعتي إمامًا يقتدون به وبآثاره فاقتدوا به.

وأما تأويل قائل القول الآخر فإنه: اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلى تصلون عنده عبادة منكم وتكرمة مني لإبراهيم، وهذا القول هو أولى بالصواب لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب ^(١) وجابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ.

س: هل كان هناك شيء عند البيت مما أمر إبراهيم بتطهير البيت منه؟

ج: ذكر بعض أهل العلم أنه كان عند البيت بقايا أصنام كان يعبدها قوم نوح ومن بعدهم فأمر إبراهيم ﷺ أن يطهر البيت منها كما فعل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حيث طهرها من الأصنام التي كانت بها، فقد أخرج البخاري ^(٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصب فجعل يطعنهما بعود في يده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] و﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيَنَّ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سجدة: ١٧]، وأخرجه مسلم ^(٣).
 * وأخرج البخاري ^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحييت، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأضلاع فقال: «قاتلهم الله! والله إن استقسما بالأضلاع قط».

فعلى هذا فمعنى قوله تعالى: ﴿طَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ...﴾ [البقرة: ١٢٥] طهره مما به من بقايا الأصنام والأوثان.

(١) يعني قول عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله: (وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [البقرة: ١٢٥]، وقد أخرجه الطبري بإسناد صحيح رقم (١٩٨٥) وهو في الصحيح كذلك.

(٢) حديث (٤٧٢٠).

(٣) مسلم حديث (١٧٨١).

(٤) البخاري حديث (٣٣٥٢).

❁ وثمَّ قول آخر وهو: ابنا بيتي مطهراً من الشرك، وأسساه على التوحيد كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَتَسَسَ بُنْيَانَهُ، عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بُنْيَانَهُ، عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِهَيْبَةٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ❁

[التوبة: ١٠٩]

❁ وقول ثالث: امنعا من أراد أن يشرك بالله عند البيت أو أن يقول الزور عنده كما جاء فيما رواه البخاري^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

❁ **وقول رابع:** طهراه مما به من أذى وقذر وذنس وأوساخ يحدثها الناس فيه ونظفاه من هذا كله.

ويتنظم معنى الآية الكريمة كل ما ذكر، والله تعالى أعلم.



س: من المراد بالطائفين في قوله تعالى: ﴿طَهَّرَ بَيْتَ الطَّائِفِينَ وَالْمَكَكِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ [البقرة: ١٢٥] ومن المراد بالعاكفين؟ وكذلك من هم الركع السجود؟

ج: أما الطائفون فعلى الصحيح هم الذين يطوفون بالبيت، ومن العلماء من قال: إن الطائفين هم الذين أتوا إلى البيت من غربة، والقول الأول أولى بالصواب. ❁ أما العاكفون فهم المعتكفون فيه، ومن العلماء من قال: إن المراد بالعاكفين أهل البلد الحرام (وهم المجاورون للبيت الحرام)، والقول الأول أولى بالصواب، والله أعلم. ❁ أما الركع السجود^(٢) فهم المصلون، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥٥، ٤٦٥٦)، ومسلم (حديث ١٣٤٧).

(٢) وقد روى ابن جرير بإسناد حسن عن قتادة (٢٠٢٥) أنه قال: و ﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ أهل الصلاة، والله تعالى أعلم.



س: لماذا ذكر الركوع والسجود ولم يُذكر القيام في قوله تعالى: ﴿وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ﴾ [البقرة: ١٢٥]؟

ج: اكتفى بذكر الركوع والسجود؛ لأنه قد علم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام، والله تعالى أعلم.



س: في قوله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِرِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] ردُّ على اليهود والنصارى وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن الآية الكريمة فُرِّرَ فيها أن إبراهيم غُ أمر أن يطهر البيت للطائفتين والعاكفين والركع السجود، واليهود والنصارى يزعمون أنهم يوقرون إبراهيم غُ، ومع ذلك لا يحجون البيت الذي طهره إبراهيم ﷺ، والله أعلم.

س: اذكر بعض النصوص التي وردت في الحث على تطهير المساجد وتنظيفها؟

ج: ومنها: قوله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِرِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿وقوله تعالى: ﴿فِي مِثْوَةِ آذِنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦].

﴿وكانت هناك امرأة سوداء تقم المسجد على عهد رسول الله ﷺ﴾ (١) وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في المسجد: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القدر، إنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن» (٢).

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٥٨)، ومسلم (حديث ٩٥٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً أسود - أو امرأة سوداء - كان يقم المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات، قال: «أفلا كنتم أذنتموني به دلوني على قبره» أو قال: «قبرها» فأتى قبره فصلى عليه.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترموه، دعوه» فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا

❁ وقال النبي ﷺ: «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها»^(١) دفنها». وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت عليّ أعمال أمتي حسنُها وسيئُها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُمَاط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن»^(٢).



س: هل من مُقَدَّرٍ محذوف في قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ [البقرة: ١٢٥]؟
ج: قال بعض العلماء: إن هنا مقدرًا محذوفًا وهو (وقلنا) فالمعنى على ذلك وقلنا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، والله تعالى أعلم.



س: لماذا حُصِّت الكعبة بالذكر في قوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]؟
ج: حُصِّت بالذكر لشرفها وعلو قدرها وارتفاع منزلتها، ولكونها أعظم حرمة من سائر البيوت، أو لكونها كانت الموجودة وحدها إذ لم يكن هناك شيء من المساجد غيرها، والله تعالى أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] معطوف على ماذا؟
ج: قيل: إنه معطوف على قوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٢٢]، فالمعنى: اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، والله أعلم.
❁ وقيل: عطف على قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

^١البول ولا القدر، إنها هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشئت عليه.
(١) أخرجه البخاري (حديث ٤١٥)، ومسلم (٥٥٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً.
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٥٥٣) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً.

قال الرازي: والمعنى: أنه لما ابتلاه بكلمات وأتمهن قال له جزاء لما فعله من ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] وقال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، ويجوز أن يكون أمر بهذا ولده إلا أنه تعالى أضمر قوله وقال، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَطَنُوا أَنَّهُ وَقَعَ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٧١].

❁ وقيل: إن هذا أمر من الله تعالى لأمة محمد ﷺ أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وهو كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم غ وكأن وجهه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا﴾ [البقرة: ١٢٥] أنتم من مقام إبراهيم مصلى، والتقدير أنه لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمنًا فاتخذوه أنتم قبله لأنفسكم...، والله أعلم.



س: ركعتا الطواف هل هما فرض أم سنة؟

ج: إذا كان الطواف تطوعًا فركعتاه تطوع أيضًا، وإذا كان الطواف فرضًا فللعلماء في ركعتيه قولان:

أحدهما: أنهما (أي: الركعتين) فرض لكون النبي ﷺ صلتهما، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «خذوا عني مناسككم».

والثاني: أنهما نفلٌ كذلك، لأن النبي ﷺ لما سأله الأعرابي عن الصلوات قال: «خمس صلوات في اليوم والليلة»، فقال الأعرابي: هل عليّ غيرها، قال: «لا إلا أن تطوع» قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال النبي ﷺ: «أفلمح إن صدق»، والله تعالى أعلم.



س: هناك من قُتل عند البيت الحرام، فكيف توجه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]؟

ج: الآية محمولة على الأمر، والمعنى: أننا أمرنا الناس أن يؤمنوا من دخل

الحرم، فمنهم من وفى والتزم بهذا الأمر ومنهم من خالف وعاند، والله تعالى أعلم.



س: هل تجوز الصلاة داخل الكعبة؟

ج: نعم تجوز الصلاة داخل الكعبة، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: دخل رسول الله ﷺ البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقوا عليهم، فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالاً فسألته هل صلى فيه رسول الله ﷺ؟ قال: نعم بين العمودين اليمانيين.

ولا يُعارض هذا بما أخرجه مسلم^(٢) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها، ولم يُصلِّ فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قُبُل البيت ركعتين، وقال: «هذه القبلة»، وذلك لأن بلالاً قد أثبت وأسامة بن زيد قد نفى والمثبت مقدم على النافي، فلعل بلالاً رأى ما لم يره أسامة بن زيد رضي الله عنه أو لعل الواقعة تعددت.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (فتح الباري ٣/ ٧٤٥): وقد وقع إثبات صلاته فيها عن أسامة من رواية ابن عمر عن أسامة عند أحمد وغيره فتعارضت الرواية في ذلك عنه، فتترجح رواية بلال من جهة أنه مثبت وغيره نافي ومن جهة أنه لم يختلف عليه في الإثبات واختلف على من نفى، وقال النووي وغيره: يجمع بين إثبات بلال ونفي أسامة بأنهم لما دخلوا الكعبة اشتغلوا بالدعاء فرأى أسامة النبي ﷺ يدعو فاشتغل أسامة بالدعاء في ناحية والنبي ﷺ في ناحية ثم صلى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه ولم يره أسامة لبعده واشتغاله، ولأن بإغلاق الباب تكون الظلمة مع احتمال أن يحجبه عنه بعض الأعمدة فنفاها عملاً بظنه.

وقال المحب الطبري: يحتمل أن يكون أسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة فلم

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٩٨)، ومسلم (حديث ١٣٢٩).

(٢) أخرج مسلم (حديث ١٣٣٠).

يشهد صلاته.

ويشهدله ما رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » عن ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أسامة قال دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة فرأى صوراً فدعا بدلو من ماء فأتيته به فضرب به الصور، فهذا الإسناد جيد^(١).

قال القرطبي: فلعله استصحب النفي لسرعة عوده انتهى، نقل ذلك الحافظ ابن حجر رحمته ونقل أقوالاً آخر فليرجع إليها من شاء.

قلت: ويُستدل للجواز بعموم قول النبي ﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فحيثما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل»، ويُستدل أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَعَهْدْنَا إِلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] على جواز الصلاة داخل الكعبة، ولا ينتهض شخص للاستدلال بقوله تعالى: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠] على المنع لكونه في حق من هم ليسوا بداخلا بالكعبة إنما هو في حق من هم خارجها والبعيد عنها، والله أعلم



(١) في إسناده عبدالرحمن بن مهران لا أعلم راوياً عنه غير ابن أبي ذئب ولم أقف على أحد وثقه سوى ابن حبان.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا
 وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ
 أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

أسوقه - ألجته - أدفعه .

(أَضْرَهُ) ﴿١٢٦﴾

(ثب) ﴿١٢٦﴾ الموضع الذي يصير إليه الكافر .

MOSTAFAALADUNYA.COM

س: ما المراد بالبلد في قوله تعالى: (ثَوْنِي بئى: ثِبْنِي بئى ثدى) [البقرة: ١٢٦]؟ وهل تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام فيها؟

ج: هذه البلدة هي مكة، وقد تحققت دعوة إبراهيم غ فيها، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

❁ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبِّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا﴾ [النمل: ١٢١].

❁ وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا آمَنَّا وَيُخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

❁ وقوله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ① إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿الْمَ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① الِّمَّ يَجْعَلُ كَيْدُهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١-٥]، وقول النبي ﷺ: «لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح»^(١).



س: اذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على أن الله ﷻ يرزق الظالم ويملي لهم يأخذه بعد ذلك؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرِيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتَهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ [الحج: ٤٨].

❁ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ①﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٣٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً.

عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ النحل: ١١٦، ١١٧.﴾

﴿ وقوله تعالى: ﴿ لَا يَغْرُنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي آلِكَ ﴿ ١١٦ ﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿ آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧.﴾

﴿ وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوْرًا ﴿ الإسراء: ٢٠.﴾

﴿ وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ يَكُوْنَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿ ٣٣ ﴾ وَلِيُؤْتِيَهُمْ آتُونًا وَسُرْرًا عَلَيْهَا يُتَّكُونَ ﴿ ٣٤ ﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ الزخرف: ٣٢ - ٣٥.﴾

﴿ وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتَعَهُ قَلِيْلًا ثُمَّ أَصْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ ﴿ البقرة: ١٢٦.﴾

﴿ وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُمْ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوْا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ﴿ ٢٣ ﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيْلًا ثُمَّ نَضْضُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيْظٍ ﴿ لقمان: ٢٣، ٢٤ ﴾، وقول النبي ﷺ: « إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» (١)، ثم قال: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيْدٌ ﴿ هود: ١٠٢.﴾



س: وردت أحاديث تدل على أن الله ﷻ حرم مكة قبل خلق السموات والأرض وأحاديث تدل على أن الله ﷻ حرمها لما دعا إبراهيم بذلك فكيف تجمع بين هذه وتلك؟

ج: وجه هذا الجمع أن يُقال: إن إبراهيم بلغ عن الله ﷻ حكمه فيها وتحريمه إياها، وأنها لم تزل بلدًا حرامًا عند الله قبل بناء إبراهيم غ لها.

﴿ ويجمع أيضًا بأن يُقال: إن إبراهيم ﷺ أراد تأكيد حرمة مكة، والله تعالى (١) أخرجه البخاري حديث (٤٦٨٦)، ومسلم (حديث ٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا.

أعلم.

س: من القائل: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]؟

الجواب: لأهل العلم في ذلك قولان:

أولهما وأصحهما: أن هذا قول الله ﷻ وبيانه أن إبراهيم غ أراد أن يحجر الدعوة بالرزق للمؤمنين دون الكافرين فأجابه الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]، والمعنى: ومن كفر فإني أرزقه أيضًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير، وهي كقوله تعالى: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَتُولًا وَهَتُولًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، والآيات التي على شاكلتها.

والثاني: أن هذا هو قول إبراهيم عليه السلام، وتكون القراءة (فأمتعته قليلاً ثم اضطره...) بمعنى الطلب من الله ﷻ، والقول الأول أصح وأولى، والله تعالى أعلم.



س: ما الفرق بين هاتين الدعوتين:

الأولى: قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

الثاني: قوله عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]؟

(١) وطرح ابن جزي الكلبي الغرناطي سؤالاً مشابهاً في تفسيره فقال: فإن قيل: لم قال في البقرة: {بلداً آمناً} [البقرة: ١٢٦] فعرف في إبراهيم ونكر في البقرة؟ أجيب على ذلك بثلاثة أجوبة:

(الجواب الأول): قاله أستاذنا أبو جعفر بن الزبير، وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله: (أَلْقُوا مِنْ أَلْبَتِ) [البقرة: ١٢٧] وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه فلم يحتج إلى تعريف بخلاف آية إبراهيم فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به فذكره بلام التعريف.

(الجواب الثاني): قاله السهيلي، وهو أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم، لأنها مكة فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التي للحضور كقولك: هذا الرجل وهو حاضر بخلاف آية البقرة فإنها مدنية ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور، وفي هذا نظر، لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة.

ج: بعض أهل العلم لا يفرق بين هاتين الدعوتين من إبراهيم غ ويقول: إنما هو تفنن في أسلوب الخطاب، والمعنى: رب اجعل هذا البلد بلدًا آمنًا.

وبعض العلماء يُفرق فيقول: إن مكة كانت واديًا قبل أن تكون بلدًا كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فدعا إبراهيم عليه السلام لهذا الوادي أن يكون بلدًا بقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، فلما استجيب دعاؤه طلب مزيدًا من الأمن لهذا البلد فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والله تعالى أعلم.



س: المتاع القليل في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّتْهُمْ قَلِيلًا﴾ [البقرة: ١٢٦]؟

ج: الصحيح من أقوال أهل العلم في ذلك أن هذا المتاع القليل أمده وغايته إلى موت الكافر، والله تعالى أعلم.



= (الجواب الثالث): قاله بعض المشارقه أنه قال: هذا بلدًا آمنًا قبل أن يكون بلدًا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا، وقال هذا البلد بعد ما صار بلدًا وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين، والله أعلم.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ
 رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا
 وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً
 لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
 الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا
 عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
 وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

معناها	الكلمة
مستسلمين - خاضعين - طائعين . جماعة .	(مُسْلِمِينَ) ﴿١٢٧﴾ (أُمَّةً) ﴿١٢٧﴾
بين لنا أعمال حجنا - وضح لنا أماكن الذبح - علمنا طرق عبادتك وشرائع دينك . هو: القرآن .	(وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا) ﴿١٢٨﴾ (الْكِتَابَ) ﴿١٢٨﴾
قيل: هي السنة، وقيل: هي الفقه في الدين، وتطلق - أيضًا - على: الإصابة في القول والعمل، وعلى: وضع الشيء في موضعه .	(وَالْحِكْمَةَ) ﴿١٢٨﴾ ^(١)
يطهرهم من الشرك والأدناس وقول الزور .	(وَيُزَكِّيهِمْ) ﴿١٢٩﴾

(١) الحكمة ورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هي السنة، أخرجه الطبري (٢٠٧٨)، وورد عن مالك

س: ما العامل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة:

١٢٧]؟

ج: العامل هو (واذكر) فالمعنى: واذكر يا محمد لقومك ولأهل الكتاب بناء

إبراهيم وإسماعيل ﷺ للكعبة ورفعهما لقواعدها، والله أعلم.



س: ما المراد بقواعد البيت؟

ج: هي أسس البيت التي تأسس عليها.



س: ما المراد بالبيت في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة:

١٢٧]؟

ج: المراد بالبيت هو الكعبة، وقد نقل ابن عطية في تفسيره الإجماع على هذا.



^١بإسناد صحيح عند الطبري (٢٠٧٩) قال في الحكمة: المعرفة بالدين والفقہ في الدين والاتباع له.

وقال الطبري أيضاً أثر (٢٠٨٠): حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، قال: «الحكمة»، الدين الذي لا يعرفونه إلا به ﷺ، يعلمهم إياها. قال: و «الحكمة»، العقل في الدين وقرأ: (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [البقرة: ٢٦٩]، وقال لعيسى: (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) [آل عمران: ٤٨]، قال: وقرأ ابن زيد: (وَأَتْلَوْهُمُ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا) [الأعراف: ١٧٥]، قال: لم ينتفع بالآيات، حيث لم تكن معها حكمة: قال: «والحكمة» شيء يجعله الله في القلب، ينور له به.

قلت (مصطفى): وهو إسناد صحيح إلى ابن زيد، وهو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

قال أبو جعفر: والصواب من القول عندنا في «الحكمة» أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ، والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من «الحكم» الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل، بمنزلة «الجلسة والقعدة» من «الجلوس والقعود»، يقال منه: «إن فلاناً لحكيم بين الحكمة»، يعني به: إنه لبين الإصابة في القول والفعل.

وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: ربنا وابعث فيهم رسلاً منهم يتلو آياتك ويعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم وفصل قضائك وأحكامك التي تعلمها إياها.

س: هل هذه القواعد التي رفعها إبراهيم وإسماعيل كانت مبنية قبلهما أم هما اللذان أسساها؟

ج: فريق من أهل العلم يقولون: كانت موجودة قبلهما بناها آدم عليه السلام.
وقيل: إنها كانت قواعد بيت أهبطه الله عليه السلام مع آدم عليه السلام.
وقيل: إنها لم تكن موجودة ولكن إبراهيم عليه السلام بناها، والله تعالى أعلم.
❁ هذا ونقلها هنا قولاً للطبري رحمته الله يفيد في الإجابة على أسئلة مشابهة.
قال رحمته الله (٢ / ٦٤):

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل، رفعوا القواعد من البيت الحرام. وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم، فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة. وجائز أن يكون ذلك كان القبة التي ذكرها عطاء، مما أنشأه الله من زبد الماء. وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطها من السماء. وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم، حتى رفع قواعد إبراهيم وإسماعيل. ولا علم عندنا بأي ذلك كان من أي، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله عليه السلام، بالنقل المستفيض. ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها، ولا هو - إذ لم يكن به خبر، على ما وصفنا - مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس، فيمثل غيره، ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد. فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا. والله تعالى أعلم.



س: إبراهيم وإسماعيل عليه السلام هل رفعوا القواعد من البيت معاً أم رفعها إبراهيم وحده؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن إبراهيم عليه السلام كان بينها ويرفعها وإسماعيل عليه السلام كان يناوله الحجارة.
وقيل: إنهما بناها معاً.
وها نحن نورد هنا ما ذكره البخاري رحمته الله في قصة بناء هذا البيت ورفع قواعد،

قال رضي الله عنه (حديث ٣٣٦٤):

حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السخيتاني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير قال ابن عباس: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطلقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبانها إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعها هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَشْكُرُونَ ﴾ **إبراهيم:** **٣٧** وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً؛ فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فذلك سعي الناس بينهما». فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه - تريد نفسها - ثم سمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله أم إسماعيل

لو تركت زمزم - أو قال - لو لم تغرف من الماء - لكنت زمزم عيناً معيناً». قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرايية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماءٍ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا - قال: وأم إسماعيل عند الماء - فقالوا: أتأذنين لنا أن نزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فألقي ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس»، فنزلوا، وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجته امرأة منهم. وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يتغي لنا، ثم سألتها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشرٌ، نحن في ضيقٍ وشدةٍ. فشكيت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي ﷺ وقولي له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك. قال: ذلك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك. فطلقها، وتزوج منهم أخرى. فلبث عندهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بخيرٍ وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء».

قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذٍ حَبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه»، قال: «فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه». قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي غ، ومُريه يُثِبْتُ عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحدٍ؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمر أن تثبت عتبة بابك. قال: ذلك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال، وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] قال: فجعلوا بينان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقال أيضاً (حديث ٣٣٦٥): حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا أبو عامر عبدالملك بن عمرو قال حدثنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل، ومعهم شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعتها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيت بالله. قال فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها، حتى لما فنى الماء قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً. قال: فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحداً فلم تحس أحداً. فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة، ففعلت

ذلك أشواطاً، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل - تعني الصبي - فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت، تقرها نفسها، فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلني أحس أحداً، فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحداً، حتى أتمت سبعاً، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا جبريل، قال: فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الأرض، قال: فانثقت الماء فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفز، قال: فقال أبو القاسم: لو تركته كان الماء ظاهراً، قال: فجعلت تشرب من الماء ويدُّ لبنتها على صبيها. قال: فمر ناسٌ من جرهم ببطن الوادي فإذا هم بطير، كأنهم أنكروا ذلك، وقالوا: ما يكون الطير إلا على ماء، فبعثوا رسولهم فنظر، فإذا هم بالماء، فأتاهم فأخبرهم، فأتوا إليها فقالوا: يا أم إسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك، أو نسكن معك؟ فبلغ ابنها فنكح فيهم امرأة. قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي. قال: فجاء فسلم فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد. قال: قولي له إذا جاء: غير عتبة بابك. فلما جاء أخبرته، قال: أنت ذلك، فاذهبي إلى أهلك. قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي. قال: فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ فقال: وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم. قال: فقال أبو القاسم عليه السلام: «بركة بدعوة إبراهيم». قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له، فقال: يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبني له بيتاً. قال: أطع ربك. قال: إنه أمرني أن تعيني عليه، قال: إذن أفعل أو كما قال. قال: فقاما فجعل إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].



س: هل الكعبة على حالها الآن مبنية على قواعد إبراهيم عليه السلام؟

ج: الذي من البيت على قواعد إبراهيم عليه السلام الآن إنما هما ركنان فقط الركن الذي فيه الحجر الأسود، والركن اليماني، وكذلك كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما جاء ابن الزبير رضي الله عنه ردها على قواعد إبراهيم لما أخبرته عائشة رضي الله عنها بأن هذه كانت رغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا حدثان عهد الناس بالجاهلية والكفر. ثم لما جاء عبد الملك بن مروان ردها إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدل على هذا كله ما يلي:

❁ ما أخرجه البخاري ^(١) ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: «ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم» فقلت: يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال: «لولا حدثان قومك بالكفر» فقال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم.

وقال الإمام مسلم رحمته الله ص ٩٧٠ فيما بعدها:

حدثنا هناد بن السري. حدثنا ابن أبي زائدة. أخبرني ابن أبي سليمان عن عطاء. قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية، حين غزاها أهل الشام، فكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير. حتى قدم الناس الموسم. يريد أن يجزئهم (أو يحربهم) ^(٢) على أهل الشام فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس! أشيروا علي في الكعبة. أنقضها ثم أبنى بناءها. أو أصلح ما وهي منها؟ قال ابن عباس: فإني قد فرق لي رأي فيها ^(٣). أرى

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٦٨)، ومسلم (حديث ١٣٣٣).

(٢) (يجزئهم أو يحربهم) من الجراءة أي: يشجعهم على قتالهم، بإظهار قبح فعالهم. هذا هو المشهور في ضبطه. قال القاضي: ورواه العذري يجربهم، ومعناه: يختبرهم وينظر ما عندهم في ذلك من حمية وغضب لله تعالى ولييته. ومعنى يحربهم، أي: يغيظهم بما يرونه قد فعل بالبيت. من قولهم: حربت الأسد، إذا أغضبته. قال القاضي: وقد يكون معناه: يحملهم على الحرب ويحرضهم عليها ويؤكد عزائمهم لذلك. قال: ورواه آخرون: يحزبهم أي يشد قوتهم ويميلهم إليه ويجعلهم حزبا له وناصرين له على مخالفيه. وحزب الرجل من مال إليه. وتحازب القوم تمالأوا.

(٣) (قد فرق لي رأي فيها) أي: كشف وبيّن. قال الله تعالى: {وقرأنا فرقناه}، أي: فصلناه وبيناه. هذا هو

أن تصلح ما وهي منها. وتدع بيتاً أسلم الناس عليه. وأحجاراً أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي ﷺ. فقال ابن الزبير: لو كان أحدكم احترق بيته، ما رضي حتى يجده^(١). فكيف بيت ربكم؟ إني مستخير ربي ثلاثاً. ثم عازماً على أمري. فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها. فتحامها الناس أن ينزل، بأول الناس يصعد فيه، أمر من السماء. حتى صعده رجلٌ فألقى منه حجارة. فلما لم يره الناس أصابه شيءٌ تتابعوا^(٢). فنقضوه حتى بلغوا به الأرض. فجعل ابن الزبير أعمدة. فستر عليها الستور^(٣). حتى ارتفع بناؤه.

وقال ابن الزبير: إني سمعت عائشة تقول: إن النبي ﷺ قال: «لولا أن الناس حديثٌ عهدهم بكفر، وليس عندي من النفقة ما يقوي على بناءه، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمس أذرع، ولجعلت لها باباً يدخل الناس منه، وباباً يخرجون منه».

قال: فأنا اليوم أجد ما أنفق. ولست أخاف الناس. قال: فزاد فيه خمس أذرع من الحجر. حتى أبدى أسساً^(٤) نظر الناس إليه. فبنى عليه البناء. وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعاً. فلما زاد فيه استقصره. فزاد في طوله عشر أذرع. وجعل له بابين: أحدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه. فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك. ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسسٍ نظر

=الصواب في ضبط هذه اللفظة ومعناها. وهكذا ضبطها القاضي والمحققون.

(١) (يجده) أي: يجعله جديداً.

(٢) (تتابعوا) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا، وكذا ذكره القاضي عن رواية الأكثرين.

وعن أبي بحر: تتابعوا. وهو بمعناه. إلا أن أكثر ما يستعمل، تتابعوا، في الشر خاصة. وليس هذا موضعه.

(٣) (فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور) المقصود بهذه الأعمدة والستور أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام ويعرفوا موضع الكعبة. ولم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء وصار مشاهداً للناس فأزالها. لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة. (من التعليق على مسلم).

(٤) (حتى أبدى أسساً) أي: حفر من أرض الحجر ذلك المقدار إلى أن بلغ أساس البيت الذي أسس عليه إبراهيم عليه السلام حتى أرى الناس أساسه. فنظروا إليه فبنى البناء عليه.

إليه العدول من أهل مكة. فكتب إليه عبدالملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير^(١) في شيء. أما ما زاد في طوله فأقره. وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بناءه. وسد الباب الذي فتحه. فنقضه وأعادته إلى بناءه.

حدثني محمد بن حاتم. حدثنا محمد بن بكر. أخبرنا ابن جريج. قال: سمعت عبدالله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة. قال عبدالله بن عبيد: وفد الحارث بن عبدالله على عبدالملك بن مروان في خلافته. فقال عبدالملك: ما أظن أبا خبيب (يعني ابن الزبير) سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها. قال الحارث: بلى! أنا سمعته منها. قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن قومك استقصروا من بنيان البيت. ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه. فإن بدا لقومك^(٢)، من بعدي، أن يبنوه فهلمي^(٣) لأريك ما تركوا منه». فأراها قريباً من سبعة أذرع. هذا حديث عبدالله بن عبيد. وزاد عليه الوليد بن عطاء: قال النبي ﷺ: «وجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقياً وغربياً. وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟» قالت: قلت: لا. قال: «تعزراً ألا يدخلها إلا من أرادوا. فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي. حتى إذا كاد أن يدخل^(٤) دفعوه فسقط».

(١) (إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير) يريد بذلك سبه وعيب فعله. يقال: لطحته، أي: رميته بأمر قبيح. يعني: إنا براء مما لوته بما اعتمده من هدم الكعبة.

(٢) (فإن بدا لقومك) يقال: بدا له في الأمر بداء، بالمد، أي: حدث له فيه رأي لم يكن. وهو ذو بدوات، أي: يتغير رأيه. والبداء محال على الله تعالى، بخلاف النسخ. قاله النووي.

(٣) (فهلمي) هذا جار على إحدى اللغتين في هلم. قال الجوهري: تقول: هلمَّ يا رجل، بفتح الميم بمعنى: تعال. قال الخليل: أصله لمَّ. من قولك: لم الله شعثه، أي: جمعه. كأنه أراد لم نفسك إلينا، أي: أقرب. وها للتنبية. وحذفت ألفها لكثرة الاستعمال، وجعلت اسماً واحداً يستوي في الواحد والاثان والجمع والمؤنث.

فيقال، في الجماعة: هلم. هذه لغة أهل الحجاز. قال الله تعالى: (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَتِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) [الأحزاب: ١٨]. وأهل نجد يصرفونها فيقولون للثنتين: هلما. وللمرأة: هلمي. وللنساء: هلممن. والأولى أفصح. هذا كلام الجوهري.

(٤) (كاد أن يدخل) هكذا هو في النسخ كلها: كاد أن يدخل. وفيه حجة لجواز دخول أن بعد كاد وقد كثر ذلك.

قال عبد الملك للحارث: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم. قال: فنكت ساعة بعصاه^(١) ثم قال: وددت أني تركته وما تحمل.

وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة. حدثنا أبو عاصم. ح وحدثنا عبد بن حميد. أخبرنا عبد الرزاق. كلاهما عن ابن جريج، بهذا الإسناد، مثل حديث ابن بكر: وحدثني محمد بن حاتم. حدثنا عبد الله بن بكر السهمي. حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن أبي قزعة؛ أن عبد الملك بن مروان، بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير! حيث يكذب على أم المؤمنين. يقول: سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة! لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر. فإن قومك قصرُوا في البناء» فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا. يا أمير المؤمنين! فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا.

قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه، لتركته على ما بنى ابن الزبير.

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله **بعد أن ذكر هذه الآثار:** فهذا الحديث كالمقطع به إلى عائشة، لأنه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير، فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير، فلوترك لكان جيداً ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكا عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها فترك ذلك الرشيد، نقله عياض والنووي، ولا تزال - والله أعلم - هكذا إلى آخر الزمان إلى أن يخرها ذو السويقتين من الحبشة، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرب الكعبة ذو

= وهي لغة فصيحة. لكن الأشهر عدمه.

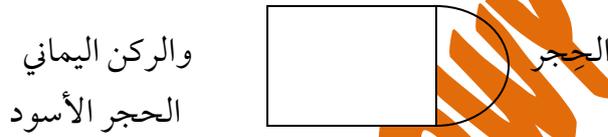
(١) (فنكت ساعة بعصاه) أي: بحث بطرفها في الأرض. وهذه عادة من تفكر في أمر مهم. قاله النووي.

السويقتين من الحبشة».

❁ وقال الحافظ ابن حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (فتح الباري ٣ / ٥٥٤):

(فائدة): في البيت أربعة أركان: الأول له فضيلتان: كون الحجر الأسود فيه وكونه على قواعد إبراهيم، وللثاني الثانية فقط وليس للآخرين شيء منهما، فلذلك يُقبل الأول ويستلم الثاني فقط ولا يُقبل الآخران ولا يستلمان هذا على رأي الجمهور، واستحب بعضهم تقبيل الركن اليماني أيضًا^(١).

❁ قلت: فعلى هذا صورة الكعبة الآن كالتالي:



الركن الذي به الحجر الأسود، والركن اليماني كلاهما على قواعد إبراهيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أما الآخران فلا، والله أعلم.



س: أهل الصلاح يعملون أعمالاً صالحة ويرحون من ربهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ القبول، وأهل الفساد يعملون أعمالاً فاسدة ويظنون أنهم إلى خير وضح ذلك؟

ج: نعم أهل الصلاح يعملون الصالحات ويسألون الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ القبول لها.

❁ ألا ترى إبراهيم وإسماعيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُم يرفعان القواعد من البيت ويقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ!!!﴾ [البقرة: ١٢٧].

❁ وها هم عباد الرحمن يبيتون لربهم سجداً وقياماً ويقولون: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا!!!﴾ [الفرقان: ٦٥].

❁ وها هم أهل الإيمان: ﴿يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

[المؤمنون: ٦٠]

(١) قلت: لم يرد أن النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبَّلَ الركن اليماني.

❁ وها هو الصديق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصدّق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويجاهد معه ويصحبه في هجرته ويتصدق بكل ماله في سبيل الله ويُعلّمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول في صلاته: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»^(١).

❁ وها هو المحدث الملهم الفاروق أمير المؤمنين عمر يجاهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينفق نصف ماله في سبيل الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول عند موته: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي^(٢).

وهؤلاء الأنصار يحفرون الخندق ويقولون:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
❁ أما أهل الفساد والريب فكما قال الله سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩].



س: إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَام كانا مسلمين فلماذا قالوا: ﴿وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]؟

ج: المراد أنهما طلبا الثبات على الإسلام والزيادة من الطاعات وحسن الامتثال لأمر الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله تعالى أعلم.



(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢ / ٣١٧)، ومسلم (١٧ / ٢٨) من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرج ذلك البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٧٠٠) في قصة مقتل عمر وفيه وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدّم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي.

س: في قول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَجَعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ما يدل على أن الهداية للإسلام والتوفيق للطاعة إنما هما من عند الله تعالى، اذكر مزيداً من الأدلة على ذلك؟

ج: نعم الهداية للإسلام والتوفيق للطاعات من عند الله تعالى، وها هي بعض الأدلة على ذلك.

﴿قال أهل الإيمان الذين أورثوا الجنان: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَفْسِ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠].

﴿وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

﴿وقال تعالى: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

﴿وقال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف: ١٧٨].

﴿وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمِنَ وَرَبِّتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

﴿وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣].



س: لماذا خص إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذريتهما بالدعاء؟

ج: خصا ذريتهما بالدعوة، لأنهما أحق بالشفقة، وقد قال الله تعالى: ﴿فَوَأْنَسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]، ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا كانوا أئمة في الخير يُقتدى بهم، والله أعلم.



س: ما المراد بالمناسك في قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]؟

ج: قيل في المناسك هنا: إنها أعمال الحج^(١)، وقيل: هو مواطن الذبح^(١) وقيل:

(١) روى الطبري (٢٠٦٣) بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨] فأرهما الله

هي عموم العبادة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وأما «المناسك» فإنها جمع «منسك»، وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه، ويتقرب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح: إمَّا بذبح ذبيحة له، وإمَّا بصلاةٍ أو طواف أو سعي، وغير ذلك من الأعمال الصالحة. ولذلك قيل لمشاعر الحج: «مناسكه»، لأنها أمارات وعلامات يُعتادها الناس ويتردّدون إليها.

وأصل «المنسك» في كلام العرب: الموضع المعتاد الذي يُعتاده الرجل ويألفه، يقال: «لفلان منسك»، وذلك إذا كان له موضع يُعتاده لخير أو شر. ولذلك سميت «المناسك» «مناسك»، لأنها تُعتاد، ويُتردد إليها بالحج والعمرة، وبالأعمال التي يُتقرب بها إلى الله.

وقد قيل: إن معنى «النسك»: عبادة الله. وأن «الناسك» إنما سمي «ناسكًا» بعبادة ربه. فتأوّل قائلو هذه المقالة قوله: ﴿وَأَرْنَا مَنْاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]، وعلمنا عبادتك، كيف نعبدك؟ وأين نعبدك؟ وما يرضيك عنا فنفعله؟ وهذا القول، وإن كان مذهبًا يحتمله الكلام، فإن الغالب على معنى «المناسك» ما وصفنا قبل، من أنها «مناسك الحج» التي ذكرنا معناها.

وخرج هذا الكلام من قول إبراهيم وإسماعيل على وجه المسألة منهما ربّهما لأنفسهما. وإنما ذلك منهما مسألة ربّهما لأنفسهما وذريتهما المسلمين. فلما ضمّا ذريتهما المسلمين إلى أنفسهما، صارا كالمخبرين عن أنفسهما بذلك. وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لتقدم الدعاء منهما للمسلمين من ذريتهما قبل في أول الآية، وتأخره بعد في الآية الأخرى. فأما الذي في أول الآية فقولهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ثم جمعا أنفسهما والأمة المسلمة من ذريتهما، في مسألتهما ربّهما أن يُريهم مناسكهم فقالا: ﴿وَأَرْنَا مَنْاسِكَنَا﴾

=مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والإفاضة من عرفات والإفاضة من جمع ورمي الجمار حتى أكمل الله الدين، أو دينه.

(١) أخرج الطبري (٢٠٦٦) بإسناد صحيح عن عطاء قال: ﴿وَأَرْنَا مَنْاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨] قال: ذبحنا.

[البقرة: ١٢٨]. وأما التي في الآية التي بعدها: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فجعلا المسألة لذريتهما خاصة، وقد ذكر في قراءة ابن مسعود: (وأرهم مناسكهم) يعني بذلك: وأر ذريتنا المسلمة مناسكهم.



س: هل كان لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذنوب حتى يقولوا: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن كل شخص له ذنوب فيما بينه وبين الله ﷻ، ودل على ذلك حديث رسول الله ﷺ: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم»^(١)، وفي رواية: «لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»^(٢).

وكما قال النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه»^(٣).

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

ومن العلماء من قال: إن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دعوا بهذا الدعاء

(١) كلا الروايتين عند مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه مرفوعاً (حديث ٢٧٤٨).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً (حديث ٢٧٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٦١٢)، ومسلم (حديث ٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وفي لفظ لمسلم: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناه البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يسوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرغ ويكذبه».

ليكون بمثابة التشريع لمن بعدهما أن يقتدوا بهما ويدعون ربهم في هذا الموطن كما دعاه فيه إبراهيم وإسماعيل.

❁ ومنهم من من قال: إن هذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لذريتهما.
❁ ومن العلماء من قال: إنما أراد إبراهيم وإسماعيل الثبات على الدين، والله أعلم.

وهنا نورد قول الطبري رحمته الله:

قال رحمته الله: فإن قال لنا قائل: وهل كان لهما ذنوبٌ فاحتاجا إلى مسألة ربهما التوبة؟

قيل: إنه ليس أحداً من خلق الله، إلا وله من العمل - فيما بينه وبين ربه - ما يجب عليه الإنابة منه والتوبة، فجائز أن يكون ما كان من قيلهما ما قالنا من ذلك، إنما خصاً به الحال التي كانا عليها، من رفع قواعد البيت، لأن ذلك كان أحرى الأماكن أن يستجيب الله فيها دعاءهما، وليجعل ما فعلا من ذلك سنة يُقتدى بها بعدهما، وتتخذ الناس تلك البقعة بعدهما موضع تنصّل من الذنوب إلى الله، وجائز أن يكونا عنيًا بقولهما: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]، وتُبَّ على الظلمة من أولادنا وذريتنا - الذين أعلمتنا أمرهم - من ظلمهم وشركهم، حتى يُنبئوا إلى طاعتك، فيكون ظاهر الكلام على الدعاء لأنفسهما، والمعني به ذريتهما، كما يُقال: «أكرمني فلان في ولدي وأهلي وبرني فلان» إذا برَّ ولده.



س: ما معنى ﴿التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]؟

ج: قال الطبري رحمته الله:

وأما قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] فإنه يعني به إنك أنت العائد على عبادك بالفضل والمتفضل عليهم بالعفو والغفران - الرحيم بهم المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته المنجي من تريد نجاته منهم برأفتك من

سخطك.



س: هل تحققت دعوة إبراهيم حيث دعا: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]؟ ومن هذا الرسول؟

ج: نعم تحققت، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢]، وهذا الرسول هو محمد ﷺ.



س: في هذه الآيات مشروعية التوبل بأسماء الله الحسنى وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام توسلا إلى الله ﷻ بهذه الأسماء.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والله أعلم.



وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ
 وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
 الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ
 لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ
 وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا
 تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

معناها	الكلمات
رغب في الشيء: أحبه، ورغب عن الشيء: كرهه وأعرض عنه، ويرغب عن: يترك - يزهّد في.	(يَرْغَبُ عَنِ) ﴿
دين.	(مِلَّةٌ) ﴿
فيها أقوال منها: سفه في نفسه - أهلك نفسه - جلب لنفسه السفه - جهل نفسه (وانظر معناها باستفاضة فيما يأتي إن شاء الله).	(سَفِهَ نَفْسَهُ) ﴿
اخترناه - اجتبيناه.	(اصْطَفَيْنَاهُ) ﴿
قال الطبري رحمه الله: الصالح هو: المؤدي حقوق الله عليه، وقال القرطبي: والصالح في الآخرة هو: الفائز.	(الصَّالِحِينَ) ﴿
أخلص العبادة - اخضع بالطاعة - امثل الأمر.	(أَسْلِمْتُ) ﴿
أمر.	(وَوَصَّى) ﴿

س: ما المراد بـ ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠]؟

ج: قال بعض العلماء: إن المراد بها الاستفهام الذي يحمل التقريع والتوبيخ، والله أعلم.



س: ما ملة إبراهيم عليه السلام؟

ج: ملة إبراهيم عليه السلام هي الحنيفية السمحة، وهي الإسلام، دليل ذلك ما يلي:
 ﴿ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].
 ﴿ وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١].

﴿ وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٢٠] شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَّهُ وَهَدَانَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].
 ﴿ وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣].

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان مسلمًا ومن ثم فإبراهيم عليه السلام كان مسلمًا وقد تقدم صريحًا، إلى غير ذلك من الآيات، والله أعلم.



س: من الذين رغبوا عن ملة إبراهيم؟

ج: هم اليهود والنصارى وكل من حاد عن الإسلام، وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة^(١) قال: قوله: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠] رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية، بدعة ليست من الله،

(١) الطبري (أثر ٢٠٨٣).

وتركوا ملة إبراهيم - يعني: الإسلام - حنيفًا، كذلك بعث الله نبيه محمدًا ﷺ بملة إبراهيم.

س: **وضح معنى ﴿سَفَهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]؟**

ج: **لأهل العلم في ذلك أقوال نورد منها ما يلي:**

١ - **سفه نفسه أي:** سفه في نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَزَّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي: لا تعزموا على عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله، ومعنى سفه نفسه أي: جهل في نفسه.

٢ - **سفه نفسه أي:** أهلك نفسه.

٣ - **سفه نفسه أي:** ظلم نفسه.

٤ - **سفه نفسه أي:** جهل، والسفه هنا صفة للنفس أي: نفسه سفيهة أو سفهت نفسه، قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]: إلا من سفهت نفسه، وقد بينا فيما مضى أن معنى (السفه): الجهل.

فمعنى الكلام: وما يرغب عن ملة إبراهيم الحنيفية إلا سفيه جاهل بموضع حظ نفسه فيما ينفعها ويضرها في معادها كما:

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] قال: إلا من أخطأ حظه^(١).

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وإنما نصب (النفس) على معنى المفسر وذلك أن (السفه) في الأصل للنفس فلما نقل إلى (من) نصبت (النفس) بمعنى التفسير كما يقال: (هو أوسعكم دارًا) فتدخل الدار في الكلام على أن السعة فيها لا في الرجل، فكذلك (النفس) أدخلت لأن السفه للنفس لا لـ (من)، ولذلك لم يجز أن يقال: (سفه أخوك) وإنما جاز أن يفسر بالنفس وهي مضافة إلى معرفة لأنها في تأويل نكرة.

٥ - **ومن العلماء من حمل سفه نفسه على ظاهرها ففسر سفه بمعنى جهل، وسفه نفسه أي:** جهل نفسه، والمعنى جهل نفسه وما فيها من الآيات والدلالات والعبير

(١) إسناده حسن إلى ابن زيد.

على توحيد الخالق سبحانه وعلى أن الفطرة هي الإسلام.

قال الزَّجَّاج في تفسيره: (معاني القرآن وإعرابه ١ / ٢١١): والقول الجيد عندي في هذا أن سفه في موضع جهل، فالمعنى - والله أعلم - إلا من جهل نفسه أي: لم يفكر في نفسه كقوله ﷻ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

✽ وأشار القرطبي رحمه الله: إلى قول الزجاج وقال: يفكر في نفسه من يدين يبطش بهما ورجلين يمشي عليهما وعين يبصر بها وأذن يسمع بها، ولسان ينطق به وأضراس تنبت له عند غناه عن الرضاع وحاجته إلى الغذاء ليطحن بها الطعام، ومعدة أعدت لطبخ الغذاء، وكبد يصعد إليه صفوه، وعروق ومعاير ينفذ فيها إلى الأطراف، وأمعاء يرسب إليها ثقل الغذاء ويبرز من أسفل البدن فيستدل بهذا على أن له خالقاً قادراً حكيمًا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] أشار إلى هذا الخطابي رحمه الله.



س: ما سبب اصطفاء إبراهيم ﷺ في الدنيا وعلو منزلته في الآخرة؟

ج: لذلك أسباب، وقبل هذه الأسباب إرادة الله ﷻ.

✽ ثم سرعة امتثال إبراهيم ﷺ لأمر الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ✽.

[البقرة: ١٣٠، ١٣١]

صبره ﷻ، فلما ابتلاه ربه بالكلمات^(١) أتمهن ﷻ ووفى بهن كما أخبر الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

✽ شكره لنعم الله ﷻ عليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا

(١) وقد تقدم تفسير هذه الكلمات، ومنها أن الله ابتلاه في بدنه بالختان وهو ابن ثمانين سنة فاختنن بالقدوم، وابتلاه الله بالإلقاء في النار فصبر على ذلك، وابتلاه الله في ولده بأن أمره بذبحه فوفى بذلك إلى أن فداه الله بذبح عظيم، وابتلاه الله بلقاء الجبابرة فالتقى بهم وقال كلمة الحق ولم يخش في الله لومة لائم فقال: (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) [البقرة: ٢٥٨] إلى غير ذلك مما تقدم.

وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ أَحْبَبَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿النحل: ١٢٠، ١٢١﴾. إلى غير ذلك.



س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَمَطَّ قَيْنَتَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ١٣٠]؟

ج: وجه ذلك أن الله ﷻ لما قال لإبراهيم غ أسلم فقال إبراهيم: أسلمت لرب العالمين فحينئذ اصطفاه الله في الدنيا وجعله في الآخرة من الصالحين، والله أعلم.



س: هل إبراهيم ﷺ لم يكن مسلمًا حتى قال الله له أسلم؟

ج: بل كان إبراهيم ﷺ مسلمًا، وإنما المراد والله أعلم أن الله ﷻ أمره بزيادة الانقياد والخضوع والإخلاص والامثال لله ﷻ، ونظير ذلك قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَ وَالَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].



س: الضمير في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ [البقرة: ١٣٢] يرجع إلى ماذا؟

ج: لأهل العلم هنا قولان:

الأول: أن الضمير يرجع إلى الملة وهي الإسلام.

الثاني: أن الضمير يرجع إلى قوله: ﴿أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]

والمؤدي واحد، والله أعلم.



س: الوفاة على الإسلام مطلب لأهل الصلاح اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

﴿قَوْلِ يَوْسُفَ ﷺ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

[الأعراف: ١٢٦]

﴿ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَعْقُوبَ لِأَبْنَائِهِمَا: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[البقرة: ١٣٢]

﴿ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَزْحَرَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مِنْتَهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^(١).



س: من هم بنو إبراهيم الذين أوصاهم إبراهيم بقوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] ومن هم بنو يعقوب؟

ج: أما بنو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالمذكوران في كتاب الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إسماعيل وإسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. أما بنو يعقوب فهم: يوسف وإخوته الأحد عشر، والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بالدين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾ [البقرة: ١٣٢]؟

ج: المراد الإسلام، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

[آل عمران: ١٩]

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، والله أعلم.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾ [البقرة: ١٣٢]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أن الله اختار لكم هذا الدين، وهو الإسلام.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٤٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً.



س: ما معنى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: الزموا هذا الدين ولا تفارقوه، فإن الموت يأتي بغتة فحافظوا على دينكم حتى تأتاكم منيتكم وأنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وتدينون الإسلام.

ومن العلماء من قال: إن المعنى أحسنوا ظنكم بالله عليه السلام لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عليه السلام»^(١)، والأول أولى، والله أعلم.



س: هل وُلِدَ يعقوب عليه السلام في حياة إبراهيم عليه السلام؟

ج: لم أفق على دليل صريح يفيد ذلك، لكن رأى بعض أهل العلم أنه كان حياً في حياة إبراهيم عليه السلام، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:
 ﴿قَالَ اللَّهُ تَبَّٰرَكَ إِنَّهُ يَشْرَرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَثَةِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] قالوا: فلو لم يوجد يعقوب في حياة الخليل وسارة عليهما السلام لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة.

﴿وَاسْتَدْلُوا أَيضًا بقول الله تعالى في شأن إبراهيم ع: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].
 ﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢].
 ﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤]،
 والله تعالى أعلم.



س: قرأ بعض أهل العلم (يعقوب) بالفتح في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ [البقرة: ١٣٢] فما وجه تأويل هذه القراءة؟

(١) أخرجه مسلم رحمه الله (حديث ٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً.

ج: تأويله أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه ووصى معهم يعقوب أيضًا إذ كان حاضرًا معهم.

ولكن القراءة الأولى (أعني قراءة من قرأ يعقوب بالرفع) أولى وأشهر ثم إنها متواترة كذلك، فالتأويل على أنها مرفوعة أولى، وحيثذ يكون المعنى أن يعقوب كذلك أوصى بنيه، والله تعالى أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] من قائله؟

ج: الذي يظهر لي أن قائله هو إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، والله تعالى أعلم.



MOSTAFAALADW.COM

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ
لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ
وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

الكلمة	معناها
(أَمْ كُنْتُمْ)	أكنتم ^(١) ؟ - بل كنتم.
(شُهَدَاءَ)	شهودًا، أي: حضورًا.
(خَلَتْ)	مضت.
(كَسَبَتْ)	عملت.



(١) قال الطبري رحمه الله: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ [البقرة: ١٣٣] أكنتم؟ ولكنه استفهم بـ (أم) إذ كان استفهامًا مستأنفًا على كلام قد سبقه كما قيل: ﴿المرَّ ① تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأرَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَلَهُ﴾ [السجدة: ١ - ٣]، وكذلك تفعل العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه تستفهم فيه بـ (أم).

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ﴾ [البقرة: ١٣٣]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

❁ الأول: أكنتم حضور مرض موت يعقوب عليه السلام حتى تفتروا عليه وتنسبوا إليه أنه يهودي أو نصراني!!!

كلا بل لم تكونوا حاضرين، وإنما هي افتراءات تفترونها، وقد سأل يعقوب عليه السلام بنيه عند موته ما تعبدون من بعدي فأقروا بأنهم يدينون من بعده الله تعالى إليه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً وهم له مسلمون.

❁ الثاني: أن معنى ﴿ أَمْ كُنْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٣٣] بل كنتم، وعليه فالمعنى: بل كنتم يا أهل الكتاب حاضرين موت يعقوب عليه السلام (والمراد أسلافكم كانوا حضور موت يعقوب عليه السلام) وعلموا أنه سأل أولاده عن دينهم وأقروا بأنهم اختاروا دينه ودين آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وهو دين الإسلام، ولكنكم يا أهل الكتاب جحدم ذلك ونسبتم إليه اليهودية والنصرانية ونسبتموه إليها وهو منها بريء، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمته الله: وتأويل الكلام: أكنتم يا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم الجاحدين نبوته حضور يعقوب وشهوده إذ حضره الموت أي: أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل وتنحلوهم اليهودية والنصرانية، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم وولده إسحاق وإسماعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة وبذلك وصّوا بنيتهم، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم، وهذه آيات نزلت تكذيباً من الله تعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملتهم فقال لهم في هذه الآية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له.

❁ **وقال ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ فِي الْمَحَرَّرِ:** هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء صلوات الله عليهم ونسبواهم إلى اليهودية والنصرانية فرد الله تعالى عليهم وكذبهم وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفية والإسلام وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فَتَدَّعُونَ عن علم؟ أي: لم تشهدوا بل أنتم تفترون، و (أم) تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية، ثم قال: وقال قوم: أم بمعنى بل، والتقدير: بل شهد أسلافكم يعقوب وعلمتم منهم ما أوصى به ولكنكم كفرتم جحدًا ونسبتموهم إلى غير الحنيفية عنادًا. والأظهر أنها بمعنى بل وألف الاستفهام معًا، والله أعلم.



س: الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ...﴾ [البقرة: ١٣٣] لمن؟

ج: أكثر أهل العلم على أن الخطاب لأهل الكتاب، ومن العلماء من قال: إنه خطاب للمؤمنين، والأول أظهر، والله أعلم.

س: من المراد بالأمة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾

[البقرة: ١٣٤]؟

ج: المراد بالأمة هم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط^(١)، والله أعلم.

س: لماذا قَدَّمَ إسماعيل في الذكر على إسحاق؟

ج: قال بعض العلماء: لأنه أكبر منه سنًا^(٢)، والله تعالى أعلم.



س: العرب لا تمتنع من أن تجعل الأعمام بمنزلة الآباء هل من دليل؟

ج: الدليل في قوله تعالى: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

(١) والأسباط: هنا هم أولاد يعقوب عليه السلام.

(٢) وقد روى ذلك الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (أثر رقم ٢٠٨٩).

وَإِسْحَاقَ ﴿البقرة: ١٣٣﴾ فأطلق على إسماعيل أب^(١) وهو عم يعقوب عليه السلام.

س: بعض العلماء يجعل الجد أباً يحجب الإخوة عن الميراث هل من دليل لهم على ذلك؟ ومن من الصحابة قال بذلك؟

ج: أما الدليل على ذلك فهو قول أبناء يعقوب عليه السلام: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] فجعلوا إبراهيم أباً ليعقوب عليه السلام مع أنه جده.

وكذلك قول يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، وإبراهيم جد يوسف عليه السلام.

✽ أما الصحابة القائلون بذلك فمنهم الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(٢) ومنهم أيضاً عبدالله بن عباس رضي الله عنهما^(٣).

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٣٣]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: حضرته مقدمات الموت وعلاماته.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] واذكر بعض الآيات والأحاديث التي تؤدي معناها؟

ج: أما بالنسبة لمعناها فقد قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: أي أن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيراً يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم ولا تسألون عما كانوا

(١) بيد أن بعض العلماء ذكروا أن ذلك على سبيل التغليب في هذا الموطن، والله أعلم.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (حديث ٣٦٥٨) بإسناده إلى ابن أبي مليكة قال: كتب أهل الكوفة إلى ابن

الزبير في الجد فقال: أما الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذاً خليلاً لا تأخذته» أنزله أباً يعني: أبا بكر.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم (التفسير ١٢٩١) بإسناد صحيح إلى ابن عطاء قال: سمعت ابن عباس يقول: الجد أب

ويتلو ابن عباس: (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) [البقرة: ١٣٣].

يعملون.

❖ **وقال الطبري رحمه الله:** يقول لليهود والنصارى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهلهم ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية فتضيفونها إليهم، فإنهم أمة - ويعني بـ (الأمّة) في هذا الموضع الجماعة والقرن من الناس، قد خلت: مضت لسيلها.

❖ **وقال أيضاً:** ويعني بقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] أي: ما عملت من خير، ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثل ذلك ما عملتم ولا تؤاخذون أنتم أيها الناحلوهم ما نحلتموهم من التملل فتسألوا عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم يعملون فيكسبون من خير وشرّ لأن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت فدعوا انتحالهم وانتحال مللهم، فإن الدعاوي غير مغنيتكم عند الله، وإنما يغني عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم إن كنتم عملتموها وقدمتموها.

قلت: أما الآيات والأحاديث في معنى الآية الكريمة فمنها ما يلي:

❖ قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنْزِرُ وَاِزْرَةً وَّزَرَّ اٰخِرَىٰ وَاِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ اِلَىٰ جَمِيهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَّلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

❖ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ اِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٦٤].

❖ وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

❖ وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

❖ وقوله تعالى: ﴿فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور: ٥٤].

❖ وقوله تعالى: ﴿فَلَا اَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُوْنَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

❖ وقول النبي ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»^(١).

❖ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٢) قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنْذِرْ

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) أخرجه البخاري حديث (٤٧٧١)، ومسلم حديث (٢٠٦).

عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿الشعراء: ٢١٤﴾ قال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمه رسول ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً».

MOSTAFAALADWIY.COM

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

معناها	الكلمات
يهودًا. مستقيمًا - مخلصًا - مائلًا (أي: عن الشرك إلى التوحيد).	(هُودًا) (حَنِيفًا)



MOSTAFAALADWIY.COM

س: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥] إجمالاً،
فصّل هذا الإجمال؟

ج: تفصيله - والله أعلم - أن اليهود قالوا للمسلمين: كونوا يهوداً تهتدوا.
والنصارى قالوا للمسلمين: كونوا نصارى تهتدوا.



س: ما المراد بقولهم: ﴿تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥]؟

ج: المراد - والله أعلم - تهتدون للحق وتدخلون الجنة، كما قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ
الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١١١].



س: على أي أساس نصبت ملة في قوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٥]؟

ج: نصبت على أن هناك مقدرًا محذوفًا وهو (تتبع) والمعنى: بل تتبع ملة إبراهيم
حينئذٍ.



س: لماذا قيل: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥]؟

ج: لأن اليهود والنصارى مقرون بنبوته ﷺ، فالإجابة عليهم من الجانب الذي
أقروا به فكأنه قيل لهم: بل تعالوا تتبع ملة إبراهيم التي أجمعنا نحن وأنتم على
الشهادة لها بأنها دين الله ﷻ الذي ارتضاه واجتبه وأمر به. قال الطبري رحمه الله: احتج
الله لنبيه محمد ﷺ بأبلغ حجة وأوجزها وأكملها وعلمها محمدًا نبيه ﷺ فقال: يا
محمد قل للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى
تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥]: بل تعالوا تتبع ملة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة
لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتبه وأمر به فإن دينه كان الحنيفية المسلمة، وندع
سائر الملل التي نختلف فيها فينكرها بعضنا ويقرُّ بها بعضنا فإن ذلك على اختلافه لا
سبيل لنا على الاجتماع عليه كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم.



س: اذكر مزيداً من أقوال أهل العلم في تفسير الحنيف؟

ج: ذكر عدد من العلماء أن الحنيف هو المستقيم، وقال آخرون: هو الحاج وقال آخرون: هو المخلص، وقيل: هو المائل^(١) (أي: مائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام) كما قال الشاعر:

ولكننا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا حَنِيفًا دِينًا عَنْ كُلِّ دِينٍ

وبعض العلماء يقولون: إنما سمي دين إبراهيم الحنيفية؛ لأنه أول من سنَّ الاختتان.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: (الحنيف) عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته، وذلك أن (الحنيفية) لو كانت حج البيت لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء، وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفاً بقوله: ﴿وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

فكذلك القول في الختان لأن (الحنيفية) لو كانت هي الختان لوجب أن يكون اليهود حنفاء، وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧].

فقد صح إذاً أن (الحنيفية) ليست الختان وحده ولا حج البيت وحده ولكنه هو ما وصفنا من الاستقامة على ملة إبراهيم واتباعه عليها والالتزام به فيها. انتهى ما قاله الطبري رَحِمَهُ اللهُ.

﴿ وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى قتادة قال: الحنيفية شهادة أن لا إله إلا الله

(١) من قولهم رجل حنيف، وتحنف الرجل إذا مال، والأحنف هو الذي تميل قدمه كل واحدة منها إلى أختها بأصابعها، قالت أم الأحنف تُرْقِصُه:

وَاللَّهُ لَوْلَا حَنَافٌ فِي رِجْلَيْهِ وَدِقَّةٌ فِي سَاقَيْهِ مِّنْ هُرْلِهِ

مَا كَانَ فِي فِتْيَانِكُمْ مِّنْ مِّثْلِهِ

يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات وما حرّم الله ﷻ والختان، وكانت حنيفة في الشرك، كانوا أهل الشرك وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمات، وكانوا يحجون البيت وينسكون المناسك^(١).



س: لماذا نسبت الحنيفية إلى إبراهيم ﷺ ولم تنسب إلى من قبله من الأنبياء ألم يكونوا حنفاء هم وأتباعهم؟!

ج: بل كانوا حنفاء - ﷺ - هم وأتباعهم، أما سؤال الباب فقد أجاب عليه الطبري **رحمته الله** بقوله: إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفاً متبعاً طاعة الله ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحداً منهم إماماً لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة كالذي فعل من ذلك بإبراهيم فجعله إماماً فيما بينه من مناسك الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام تعبدًا به أبدًا إلى قيام الساعة وجعل ما سن من ذلك علمًا مميزًا بين مؤمني عباده وكفارهم والمطيع منهم له والعاصي فسمي الحنيف من الناس حنيفاً باتباعه ملته واستقامته على هديه ومنهاجه وسمي الضال عن ملته بسائر أسماء الملل فقيل: (يهودي - نصراني - مجوسي) وغير ذلك من صنوف الملل.



س: لماذا أطلق على معوج الرجلين أحنف (مع أن الأحنف معناه المستقيم كما ذكرت عن بعض العلماء)؟

ج: أطلق عليه ذلك تفاعلاً بالشفاء والسلام، كما قيل للديغ: سليم تفاعلاً بالشفاء، وللأعمى بصير تفاعلاً كذلك، وكما قيل للمُهَلِكَةِ من الأرض: مفازة، والله أعلم.



(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٠٧).

قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ
وَأَسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى
وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ التَّيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُو مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا
ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُو عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾

معناها	الكلمة
صدقنا.	(ءَامَنَّا) ﴿١﴾
الأسباط هم: أبناء يعقوب الاثنا عشر، وقيل: هم بني إسرائيل قال تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَّمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠]، وقيل الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب أعرضوا.	(وَالْأَسْبَاطَ) ﴿١﴾
فراق الحق (٢) - المجادلة والمخالفة والتعادي - عصيان.	(تَوَلَّوْا) ﴿١﴾
سيكفيك شرهم وينصرك عليهم ويمكنك منهم.	(شِقَاقٍ) ﴿١﴾
دين الله - فطرة الله.	(فَسَيَكْفِيكَهُمُ) ﴿١﴾
	(صِبْغَةَ اللَّهِ) ﴿١﴾

(١) أخرج الطبري (٢١٠٤) بإسناد حسن عن قتادة قال: الأسباط يوسف وإخوته، بنو يعقوب ولد اثني عشر

رجلاً فولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا (أسباطاً).

(٢) ومنه قوله تعالى: (وَإِن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُثُوا) [النساء: ٣٥].

س: الخطاب لمن في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦] ولمن أمروا أن يقولوه؟

ج: الخطاب للمؤمنين، وأمروا أن يقولوا هذا القول لليهود والنصارى القائلين: كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا.

ويقول المؤمنون هذا القول أيضًا لكل أحد كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤].



س: ما الذي أنزل على إبراهيم وما الذي أوتاه موسى وعيسى ؑ؟

ج: الذي أنزل على إبراهيم ؑ هو الصحف المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩]، والذي أنزل على موسى ؑ هو التوراة والذي أنزل على عيسى ؑ هو الإنجيل، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].



س: قال الله ﷻ للمؤمنين: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] فهل قال المسلمون ذلك؟ وما جزاء من امتثل ذلك؟ وما جزاء من خالفه؟

ج: نعم قال المؤمنون ذلك قال الله تعالى: ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَّا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وجزاء من امتثل ذلك ما ذكره الله تعالى حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[النساء: ١٥٢]

✽ وجزاء من خالفه ما ذكره الله في كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابًا مُّهِينًا ﴿النساء: ١٥٠، ١٥١﴾.



س: إذا أخبرنا أهل الكتاب بخبر فماذا يجب علينا تجاه هذا الخبر؟

ج: إذا كان هذا الخبر موافقاً لكتاب الله ﷻ الذي بين أيدينا قبلناه وإذا كان هذا
الخبر يكذبه كتاب ربنا رددناه.

وإذا لم يوافق ولم يخالف توقفنا فيه لما رواه البخاري ^(١) من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل
الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦] والله تعالى أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لهذه الآية الكريمة: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة:

١٣٦]؟

ج: قال الطبري رحمه الله: يعني تعالى ذكره بذلك ﴿قُولُوا﴾، أيها المؤمنون لهؤلاء
اليهود والنصارى الذين قالوا لكم، ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾، ﴿ءَامَنَّا﴾
أي: صدقنا ﴿بِاللَّهِ﴾.

قال: وقد دللنا فيما مضى أن معنى (الإيمان) التصديق بما أغنى عن إعادته وقال
أيضاً: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، يقول أيضاً: صدقنا بالكتاب الذي أنزل الله إلى
نبينا محمد ﷺ فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم إذ كانوا متبعيه ومأمورين منهيين به
فكان - وإن كان تنزيلاً إلى رسول الله ﷺ بمعنى التنزيل إليهم للذي لهم فيه من

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٥)، والنسائي في السنن الكبرى في التفسير (١١٣٨٧).

المعاني التي وصفت ويعني بقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، صدقنا أيضاً وأما بما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وهم الأنبياء من ولد يعقوب.

وقوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ [البقرة: ١٣٦]، يعني وأما أيضاً بالتوراة التي آتاها الله موسى وبالإنجيل الذي آتاه الله عيسى والكتب التي آتى النبيين كلهم وأقرنا وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من عند الله وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى يصدق بعضهم بعضاً على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] يقول: لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض ونتبرأ من بعض ونتولى بعضاً كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد ﷺ وأقرت بغيرهما من الأنبياء، وكما تبرأت النصارى من محمد ﷺ وأقرت بغيره من الأنبياء بل تشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله وأنبياءه بعثوا بالحق والهدى^(١).



س: كان النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ [البقرة: ١٣٦]، في بعض الصلوات فما هي الصلاة التي كان النبي ﷺ يقرأها فيها؟

ج: كان النبي ﷺ يقرأها في ركعة من الركعتين اللتين قبل الفجر فقد ثبت في صحيح مسلم^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾، الآية التي في البقرة [البقرة: ١٣٦]، وفي الآخرة منهما: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٣) [آل

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢١٠٣) قال: (قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ) [البقرة: ١٣٦]، إلى قوله: (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [البقرة: ١٣٦]، أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسوله كلهم ولا يفرقوا بين أحد منهم.

(٢) حديث (٧٢٧).

(٣) وكان يقرأ أيضاً في ركعتي الفجر في الركعة الأولى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثانية ب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

عمران: ٥٢.]

وفي رواية عند مسلم أيضًا من حديث ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ [البقرة: ١٣٦]، والتي في آل عمران: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤].



س: وضح معنى الشقاق بشيء من التفصيل؟

ج: معنى الشقاق في الأصل الفراق، والمراد أن هؤلاء المعاندين أصبحوا في شق، والحق والحنيفية السمحة في شق آخر، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك: ﴿رَوَى الطَّبْرِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ﴾^(١) عن قتادة قال: ﴿فَأَيْمَانُهُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي: في فراق.

﴿رَوَى كَذَلِكَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ﴾^(٢) قال: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧]، قال الشقاق: الفراق والمحاربة إذا شاقَّ فقد حارب وإذا حارب فقد شاقَّ وهما واحد في كلام العرب، وقرأ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥]. وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وأصل (الشقاق) عندنا - والله أعلم - مأخوذ من قول القائل: (شَقَّ عليه هذا الأمر) إذا كربه وآذاه، ثم قيل: (شاقَّ فلانٌ فلانًا) بمعنى نال كل واحد منهما من صاحبه ما كربه وآذاه وأثقلته مساءته، ومنه قول الله تعالى ذكره: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥]، بمعنى فراق بينهما. وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: وقيل الشقاق: المجادلة والمخالفة والتعادي، وأصله من الشَّق وهو الجانب، فكأن كل واحدٍ من الفريقين في شق غير شق صاحبه، قال

^١ فقد أخرج مسلم (حديث) من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾.

(١) الطبري (٢١١٠).

(٢) الطبري (أثر ٢١١٢).

الشاعر:

إلى كم تقتل العلماء قسراً وتفجر بالشقاق وبالنفاق

وقال آخر:

وإلا فاعلموا أننا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

وقيل: إن الشقاق مأخوذ من فعل ما يشق ويصعب، فكأن كل واحد من الفريقين يحرص على ما يشق على صاحبه.



س: وضح معنى قوله تعالى ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧]؟

ج: قال الطبري رحمه الله: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾، فإن صدق اليهود والنصارى بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم وأقروا بذلك مثل ما صدقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم فقد وفقوا ورشدوا ولزموا طريق الحق واهتدوا وهم حينئذ منكم وأنتم منهم بدخولهم في ملتكم بإقرارهم بذلك.



س: هل أتم الله ﷻ لنبيه ﷺ الوعد الذي وعده إياه وأنجره له في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]؟

ج: نعم أتم الله لنبيه ﷺ هذا الوعد الذي وعده إياه فسلطه على بعضهم بالقتل والإجلاء من الديار وسبي بعضهم وضرب الجزية على آخرين منهم، والله تعالى أعلم.



س: ما معنى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن ملة إبراهيم غ - وهي الحنيفية السمحة - هي الصبغة التي يصبغ الله ﷻ بها أهل الإيمان ونعم الصبغة هي، وليست هي كصبغة اليهود والنصارى إذا أرادوا أن يهودوا أبناءهم أو ينصروهم عمدوا إلى ماء فجعلوهم فيه زعموا أن ذلك تقديس. وبنحو ذلك قال أهل التأويل:

فقد روي بإسناد حسن عن قتادة ^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، إن اليهود تصبغ أبناءها يهود، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى، وأن صبغة الله الإسلام فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أظهر، وهو دين الله الذي بعث به نوحًا والأنبياء بعده.

وقال الطبري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يعني تعالى ذكره ب (الصبغة) صبغة الإسلام، وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تنصر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية فقال الله تعالى ذكره - إذ قالوا لنبية محمد ﷺ وأصحابه المؤمنين به: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥]، قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله التي هي أحسن الصبغ فإنها هي الحنيفية المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجة هداة.



س: على أي أساس نُصِبَ قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]؟

ج: الذي يظهر أنه نُصِبَ على الإغراء، والمعنى الزموا صبغة الله. وقيل إنها بدل من قوله تعالى: ﴿بَلْ مَلَّةٌ إِتْرَاهِمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥]، أي: بدل من ملة. والله أعلم.



(١) أخرجه الطبري (أثر ٢١١٣).

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا
 أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ
 ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ
 ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً
 عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾
 تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا
 كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

الكلمة	معناها
(أَتُحَاجُّونَنَا)	أتخاصموننا ^(١) - أتجادلوننا.



(١) روى الطبري (٢١٣٠) بإسناد صحيح إلى ابن زيد: (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا) [البقرة: ١٣٩]. أتخاصموننا؟

س: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا ﴾ [البقرة: ١٣٩]، خطاب لمن؟

ج: هو أمر من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لنبيه محمد ﷺ أن يقول لليهود والنصارى الزاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه والقائلين: ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ [البقرة: ١٣٥]، أتحتاجوننا...



س: ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٩]؟

ج: المراد الإنكار والتوبيخ، والله أعلم.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ فِي اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٩]؟

ج: قيل: إن المراد (دين الله)، ولقائل أن يقول: إنه على ظاهره والمعنى أن المسلمين يقرون الله **عَلَيْهِ** بصفات الكمال والجلال التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ، وينفون عنه الولد بينما اليهود والنصارى على غير ذلك فهم ينسبون لله الولد فاليهود يقولون: عزيز ابن الله، والنصارى يقولون: المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.



س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٩]؟

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم: ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ [البقرة: ١٣٥]، ماذا تريدون أن نتحتاجوننا فيه!!!؟
فهل توحيد الله **عَلَيْهِ** والإخلاص إليه والانقياد له واتباع أوامره وترك زواجه يحتاج إلى مناظرة!!!؟

أتحتاجوننا في الله وترعمون أنكم أولى بالله منا لكون نبيكم قبل نبينا وكتابكم نزل قبل كتابنا، فإن كان هذا هو احتجاجكم فليست الأسبقية بمجدية هنا لأن ربنا وربكم

واحد ونحن لم نغير ولم نبدل ولم نشرك بالله شيئاً كما أشركتم يا يهود فجعلتم عزيزاً ابن الله وكما أشركتم يا نصارى فزعمتم أن المسيح ابن الله، فليست أسبقيتكم بنافعتكم شيئاً مع شرككم بالله ﷻ.

✽ أتخاصموننا يا يهود أن الله اصطفى منا - نحن العرب - نبياً ولم يصطفه منكم، فالله ربنا وربكم وهو سبحانه يصطفي من خلقه ما يشاء ويختار من يريد!

✽ وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [البقرة: ١٤٠]، فحواه: أم تحاجوننا يا معشر اليهود والنصارى بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى، فإن زعمتم ذلك فأنتم مفترون في دعواكم، والله يعلم أنكم تكتمون الشهادة لهؤلاء - إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط - بالإسلام وما الله بغافل عما تعملون، والله أعلم.



س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير الإخلاص؟

ج: لأهل العلم في معنى الإخلاص أقوال منها ما يلي:

- ١ - أن الإخلاص هو العمل ابتغاء وجه الله وترك الرياء والبعد عنه.
- ٢ - قال قوم: الإخلاص من العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين ولا حظاً من الملكين.
- ٣ - قال بعض العلماء: الإخلاص سر بين العبد وبين ربه لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هو فيميله.



س: اذكر آية كريمة تدحض دعوى اليهود والنصارى في ادعائهم أن إبراهيم كان

يهودياً أو نصرانياً؟

ج: الآية هي قوله تعالى: ﴿ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰئِنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ

بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٥-٦٧﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وما الشهادة التي كتموها؟

ج: قيل: إن المعنيين هم اليهود والنصارى، والشهادة التي كتموها هي كون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين^(١).

﴿وَالْقَوْلُ الثَّانِي أَنَّ الْمَعْنِيْنَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]، هم اليهود، والشهادة التي كتموها هي صفة محمد ﷺ المثبتة في كتبهم^(٢).

والقول الأول أظهر لأن سياق الكتاب العزيز في هذا الموطن يؤيده والله تعالى أعلم^(٣).



س: ما وجه تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]؟

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى: فإن زعمت يا محمد اليهود والنصارى - الذين قالوا لك ولأصحابك: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَانِيًّا﴾ [البقرة: ١٣٥]، أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى فمن أظلم منهم، يقول: وأي امرئ أظلم منهم؟ وقد كتموا شهادة عندهم من الله بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين.

(٢) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢١٣٦): ﴿أَمَرْتُمْ أَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَانِيًّا﴾ [البقرة: ١٤٠]، أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله واتخذوا اليهودية والنصرانية، وكنتموا محمدًا ﷺ وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل. وروى الطبري بإسناد صحيح (٢١٣٩) عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]، قال: هم يهود يُسألون عن النبي ﷺ وعن صفته في كتاب الله عندهم فيكتمون الصفة.

(٣) قال الطبري رحمه الله: وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك لأن قوله تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]، في إثر قصة من سمى الله من أنبيائه وأمام قصته لهم، فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره.

ج: وجه هذا التذييل أنه يحمل التهديد لليهود والنصارى الذين قد تسول لهم أنفسهم شهادة الزور ويدعون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى، والله أعلم.

س: اذكر آية كريمة في ذم كتمان الشهادة؟

ج: الآية الكريمة هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عِندَ اللَّهِ قَلْبٌ مُضْتَرٌّ﴾ [البقرة: ٢٨٣].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]؟

ج: المعنى - والله أعلم - لا أحد أشد ظلماً ممن كتم شهادة الله التي عنده وأخفاها، وقد كتم اليهود والنصارى شهادة الله التي عندهم مما يخص إبراهيم ومما يخص محمداً صلى الله عليهما وسلم، وكذلك كتموا ما يتعلق بالشرائع والفروع، فمن ذلك أن في كتبهم أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين، وما كانوا يهوداً ولا نصارى فقد جاءوا قبل اليهودية والنصرانية، وكانوا قبلها خاضعين لله مستسلمين له مقرين بالعبودية له والوحدانية.

وكتموا صفة محمد ﷺ فقد كانت صفة عندهم كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

و كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، وكتموا أيضاً أحكام الله في الزنا كما قد تقدم من وضعهم أصابعهم على آية الرجم

أمام رسول الله ﷺ^(١) ، والله أعلم.

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهِ ﴾ [البقرة: ١١٤]، وبين قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٤٠]؟

ج: لأهل العلم في طريقة الجمع وجوه نذكر منها وجهين:

أحدهما: إنهما في الظلم سواء (في الدرجة العليا من الظلم) أعني أن مانع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه، الساعي في خرابها على درجة من الظلم تساوي من كتم شهادة عنده من الله.

الثاني: إن ذلك على الاختصاص بمعنى أنه ليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وليس من كاتمي الشهادة أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله، والله أعلم.



س: لماذا كرر قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤١]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي:

- ١ - أنه كرر للتهديد والتخويف، والمعنى أنه إذا كان أولئك الأنبياء على طاعتهم لله وفضلهم يُجازون يوم القيامة بكسبهم فأنتم أحرى أن تجازون بكسبكم كذلك.
- ٢ - أنه كرر لقطع التعلق بالمخلوقين وتنبهاً لليهود ولمن يتكل على فضل آبائه وأجداده وشرفهم كي لا يتكلوا على فضل الآباء فكلُّ يؤخذ بعمله والمعول عليه هو

(١) أخرج البخاري (حديث ٧٥٤٣)، ومسلم (حديث ١٦٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتني النبي ﷺ برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما؟ قالوا: نسجهم وجوههما ونخزيهما قال: فأتوا بالتوراة فاتلواها إن كنتم صادقين، فجاءوا فقالوا لرجل ممن يرضون: يا أعر أقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه قال: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيه آية الرجم تلوح فقال: يا محمد إن عليهما الرجم ولكننا ننكأتمه بيننا فأمر بهما فرجما فرأيته يُجانيء عليها الحجارة.

ما اتصف به الإنسان لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال لا بالانتساب إلى الرجال.

٣ - كرر لشدة حاجة الناس إلى معرفته^(١).

٤ - كرر لأنه إذا اختلفت مواطن الججاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]؟

ج: قال الطبري رحمته الله: قل يا محمد لهؤلاء الذين يجادلونك في الله من اليهود والنصارى إن كنتم ما عندهم من الشهادة في أمر إبراهيم ومن سمينا معه وأنهم كانوا مسلمين وزعموا أنهم كانوا هودًا أو نصارى فكذبوا: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط أمة قد خلت أي: مضت لسبيلها فصارت إلى ربها وخلت بأعمالها وآمالها لها عند الله ما كسبت من خير في أيام حياتها وعليها ما اكتسبت من شر لا ينفعها غير صالح أعمالها ولا يضرها إلا سيئها، فاعلموا أيها اليهود والنصارى ذلك فإنكم إن كان هؤلاء، وهم الذين بهم تفتخرون وترغمون أن بهم ترجون النجاة من عذاب ربكم مع سيئاتكم وعظيم خطيئاتكم لا ينفعهم عند الله غير ما قدموا من

(١) قال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل ٢ / ٢٧٨) قال الراغب: إعادة هذه الآية من أجل أن العادة مستحكمة في الناس صالحهم وطالحهم أن يفتخروا بأبائهم ويقعدوا بهم في متحرياتهم لا سيما في أمور دينهم، ولهذا حكى عن الكفار قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، فأكد الله تعالى القول في إنزالهم عن هذه الطريقة، وذكر في إثر ما حكى من وصية إبراهيم ويعقوب بنبيه بذلك تنبيهًا أن الأمر سواء على ما قلت أو لم يكن فليس لكم ثواب فعلهم ولا عليكم عقابه، وفي الثاني لما ذكر ادعاءهم اليهودية والنصرانية لأبائهم أعاد أيضًا تأكيدًا عليهم تنبيهًا على نحو ما قال: ﴿وَكُلٌّ فِيهِمُ آلَافٌ مِّنْ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ولما جرت به عادتهم وتفردت به معرفتهم كل شاة تناط برجليها.

صالح الأعمال ولا يضرهم غير سيئها فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الأعمال ولا يضركم غير سيئها فاحذروا على أنفسكم وبادروا خروجها بالتوبة والإنابة إلى الله مما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفرية على الله وعلى أنبيائه ورسله، ودعوا الاتكال على فضائل الآباء والأجداد فإنما لكم ما كسبتم وعليكم ما اكتسبتم ولا تسألون عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط يعملون من الأعمال؛ لأن كل نفس قدمت على الله يوم القيامة فإنما تسأل عما كسبت وأسلفت دون ما أسلف غيرها. والله أعلم.

MOSTAFAALADWIY.COM

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي
كَانُوا عَلَيْهَا قُلٌ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٤﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ
مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ
لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ
إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

معناها	الكلمات
الجهال (والمراد بهم هنا: اليهود وأهل الشرك والنفاق). أي شيء صرفهم وحوالهم.	(السُّفَهَاءُ) ﴿
القرن من الناس والصنف من الناس (المراد هنا - والله أعلم - أتباع محمد ﷺ).	(مَا وَلَّهُمْ) ﴿
عدلاً - خياراً.	(أُمَّةً) ﴿
يرتد عن دينه (والعقب: مؤخر القدم).	(وَسَطًا) ﴿
مشقة ثقيلة.	(يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ) ﴿
صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس.	(لَكَبِيرَةً) ﴿
الرأفة: أشد الرحمة وأكثر الرحمة ^(١) .	(إِيْمَانَكُمْ) ﴿
	(لَرَّءُوفٌ) ﴿

(١) قال الطبري رحمه الله: و (الرأفة) أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة، وقال

س: ما معنى السفهاء؟ ومن هم السفهاء من الناس؟ ولماذا أطلق عليهم سفهاء؟

ج: السفهاء هم الجهال، والسفهاء من الناس هم اليهود، وقد قال بذلك البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)، وقيل: إنهم المنافقون، وقيل: هم مشركو العرب، وكل هؤلاء: (اليهود، وأهل النفاق، ومشركو العرب) سفهاء، فلا مانع من أن يكونوا كلهم قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها.

أما لماذا أطلق عليهم سفهاء فاليهود أطلق عليهم سفهاء لأنهم سَفَهُوا الحق وأنكروه، وأهل النفاق جهلوا أن الله على كل شيء قدير، وأنه سبحانه قادر على أن يحول المسلمين من قبلة إلى أخرى، وجعلوا حكمة الله في ذلك، أما أهل الشرك فهم سفهاء أصلاً لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان.



س: في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٢] دليل

من دلائل النبوة وضحه؟

ج: إيضاحه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخبر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء لم يك قد وقع وأخبر النبي أمته بذلك فوقع الأمر كما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبيه وكما أخبر نبيّه الناس، والله أعلم.



^(١) =القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والرأفة أشد من الرحمة، وقال أبو عمرو بن العلاء: الرأفة أكثر من الرحمة والمعنى متقارب.
(١) أخرجه الطبري (٢١٤٥) بإسناد رجاله ثقات عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ) قال: اليهود.

وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضاً وإلى ابن إسحاق، وفي بعض الروايات (أهل الكتاب) بدلاً من اليهود، وهي محمولة على الأولى بمعنى أن أهل الكتاب يُراد بهم هنا اليهود. والإسناد لا تشوبه إلا عنعنة أبي إسحاق ولا أراها تضر في مثل هذا الموطن، فالأثر عن البراء بأنهم اليهود صحيح.

ولكن هذا لا ينفي أن يكون المنافقون قالوا كذلك أيضاً: (مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ لِي كَانُوا عَالِيهَاً) [البقرة: ١٤٢] وأهل الشرك كذلك قالوا نحوه، ومن ثم قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (والآية عامة في كل هؤلاء) والله أعلم.

س: بماذا يُردُّ على السفهاء القائلين: ﴿مَا وَلَّيْنَاهُمْ مِنْ قِبَلِهِمُ النَّارَ كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]؟

[١٤٢]؟

ج: يُردُّ على _____
 بـ: ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] أي: أن الاتجاهات كلها لله ومَلِكُ المشرق والمغرب وما بينهما لله سبحانه، وليست العبرة بالاتجاه إلى المشرق والمغرب إنما العبرة بطاعة الله ﷻ وامثال أمره كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهكذا يُردُّ على كل ملحد حاجج المؤمنين في عبادتهم، فإن قال لنا قائل: لماذا تطوفوا بالكعبة وتسعون بين الصفا والمروة وترمون الجمار وتقفون بعرفات؟... فالإجابة على كل هذا أن هذا أمر الله ونحن لربنا مسلمون طائعون، والله أعلم.



س: ما فائدة الإخبار بقول السفهاء قبل وقوعه؟

ج: فائدته توطين النفس وتأهيلها لاستقبال ما سيقوله هؤلاء السفهاء، وتهوين صدمة القول وتخفيف روعته، والإشارة إلى سفاهة القائل وجهله قبل أن يتكلم بالكلام.

وقد تقدم أن في الآية الكريمة نوع إعجاز للإخبار بالغيب، والله أعلم.



س: بعض العلماء يرى أن في الآية الكريمة: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ النَّارَ كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] نسخًا للسنة بالقرآن وضح ذلك؟ واذكر دليلاً آخر يدل على نسخ السنة بالقرآن؟

ج: وجه الدلالة من الآية الكريمة على نسخ السنة بالقرآن أن النبي ﷺ كان يُصلي إلى بيت المقدس وليس هناك نص ظاهر في كتاب الله بالأمر بذلك، ثم جاء

الأمر بالتوجه إلى الكعبة فنسخ ما كان من توجهه إلى بيت المقدس، ودليل آخر في هذا الباب وهو ما أخرجه البخاري^(١) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه في قصة صلح الحديبية... وفيه أن سهيل بن عمرو قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بنود الصلح:.. وعلى أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا... الحديث، وفيه ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حتى بلغ ﴿بِعِصْمِ الْكُوفِرِ﴾ **[المتحنة: ١٠]**.

والشاهد من الحديث - على قول لبعض العلماء^(٢) -: إن الاتفاقية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين كان من بنودها أنه لا يأتيه مسلم منهم إلا وردّه إليهم، فنسخ الله سبحانه ذلك في شأن المؤمنات بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْنَّ حَلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ **[المتحنة: ١٠]**.



س: في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَكُمُ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾ **[البقرة: ١٤٢]**

دليل على النسخ ووضحه؟

ج: إيضاحه أن المسلمين كانوا يصلون إلى بيت المقدس فأمرهم الله بالتحول إلى الكعبة فكان ذلك التوجه نسخاً لتوجههم إلى الكعبة.

قال القرطبي رحمته الله: في هذه الآية دليل واضح على أن في أحكام الله تعالى وكتابه ناسخاً ومنسوخاً، وأجمعت عليه الأمة إلا من شذ، كما تقدم، وأجمع العلماء على أن القبلة أول ما نُسخ من القرآن، والله أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ **[البقرة: ١٤٢]**؟

ج: المعنى - والله أعلم -: قل لله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، وله الحكم

(١) حديث (٢٧٣١)، (٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان يُصَدِّقُ كل منهما حديث صاحبه.

(٢) وإن كان بعض العلماء يرى أن الاتفاقية كانت تنص على الرجال فقط كما هو وارد في الحديث، وبعضهم يقول: إن النساء كن داخلات في الاتفاقية بالمعنى، والله تعالى أعلم.

والتصرف والأمر فيهما، والمراد أن العبرة بامتثال أوامر الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

[البقرة: ١٧٧]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي الشأن كله في امتثال أوامر الله، فحيثما وجهنا توجهنها فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنها، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأتمه عناية عظيمة إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن، وجعل توجهم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض إذ هي ببناء إبراهيم الخليل غ، ولهذا قال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].



س: هل كان توجه رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس باجتهد منه أم بوحي من الله إليه؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

أحدهما: أنه كان باجتهد منه ﷺ.

الثاني: أنه بوحي.

وعلى أية حال فرب العزة **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد أقره على ذلك فقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فالله هو الذي جعل القبلة التي كان عليها رسول الله ﷺ، وهو الذي وجهه إليها.



س: لماذا وُجِّه المسلمون أولاً إلى بيت المقدس ثم حُولُوا إلى الكعبة؟

ج: في هذا فتنة من الله ﷻ وامتحان ليظهر المنافق المرتاب من المؤمن الموقن كما

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فقال أهل النفاق لما حُوِّلت القبلة: ما بال محمد يحولنا مرة إلى هاهنا ومرة إلى هاهنا؟ وقال بعض المسلمين: كيف ياخواننا الذين ماتوا وقتلوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس؟ وقال أهل الشرك: كما رجع محمد إلى قبلتنا فسيرجع إلى ديننا، أما أهل الإيمان الكامل واليقين الصادق فعلموا أن كل ذلك حق وأنه من عند الله سبحانه وسمعوا له وأطاعوا ورضوا به وقرت أعينهم، والله أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] معطوف على ماذا؟

ج: معطوف على الهداية، فالمعنى: وكما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به من عند الله ووفقناكم لاتباع ملة إبراهيم والاتجاه لقبته وفضلناكم بذلك على سائر الملل فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا.

❁ وقيل: راجع إلى إبراهيم عليه السلام، فالمعنى: وكما اصطفيناها في الدنيا فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا.

❁ وقال بعض العلماء: وكما هديناكم إلى الكعبة التي هي وسط الأرض فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا.

والقول الأول أولى، والله أعلم.



س: ما معنى ﴿وَسَطًا﴾، ولماذا وُصفت أمة محمد ﷺ بأنها أمة وسط؟

ج: الوسط: العدل، وقد تقدم ذلك كما في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «... والوسط العدل»^(١).

والوسط أيضًا يطلق على الخيار، ومنه قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]؛ وذلك لكونها أشرف الصلوات وينشغل الناس

(١) أخرجه البخاري مع قصة كما تقدم، وأخرجه مختصرًا الطبري في تفسيره (٢١٦٥)، وإسناده صحيح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) [البقرة: ١٤٣] قال: عدولاً.

عنها.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْرَاقِلُ لَكَوَلَوْلَا تَسْتَحُونَ ﴾ [القصم: ٢٨] وكما قال الشاعر (وهو زهير بن أبي سلمى):

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامَ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

❦ أما لماذا وصفت أمة محمد ﷺ بأنها وسط، فكما ذكر الطبري رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذي غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها.

ونقل القاسمي في «محاسن التأويل» عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ قوله: وهذه الفرقة الناجية أهل السنة، وهم وسط في النحل، كما أن ملة الإسلام وسط في الملل. فالمسلمون وسط في أنبياء الله، ورسله، وعباده الصالحين، لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى ف ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] ولا جفوا عنهم، كما جفت اليهود، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً، وقتلوا فريقاً. بل المؤمنون آمنوا برسول الله، وعزروه، ونصروه، ووقروه، وأحبوهم، وأطاعوهم، ولم يعبدوهم، ولم يتخذوهم أرباباً. كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِإِشْرِكٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [٧٩] وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح، فلم يقولوا: هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة. كما تقوله النصارى. ولا كفروا به، وقالوا على مريم بهتاناً عظيماً، حتى جعلوه، ولد غية، كما زعمت اليهود. بل قالوا: هذا عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، وروح منه.

وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله، فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء، ويمحو ما شاء ويثبت. كما قالته اليهود. كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ مَا قَالُوا وَلَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٢] وبقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] ولا جوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله، فيأمروا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا. كما يفعله النصارى. كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله ما عبدوهم؟ قال: «ما عبدوهم، ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم»^(١)، والمؤمنون قالوا: لله الخلق والأمر، فكما لا يخلق غيره، لا يأمر غيره، وقالوا: سمعنا وأطعنا، فأطاعوا كل ما أمر الله به. وقالوا: إن الله يحكم ما يريد. وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى، ولو كان عظيماً، وكذلك في صفات الله تعالى، فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة، فقالوا: هو فقير ونحن أغنياء، وقالوا: يد الله مغلولة، وقالوا: إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت. إلى غير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به. فقالوا: إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق، ويثبت ويعاقب، والمؤمنون آمنوا بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. ليس له

(١) في إسناده ضعف.

سَمِيٌّ وَلَا نَدُّ. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاق: ٤]، و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فإنه رب العالمين، وخالق كل شيء. وكل ما سواه عباد له، فقراء إليه.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [٩٣] لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّاهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥] ومن ذلك: أمر الحلال والحرام. فإن اليهود كما قال الله تعالى: ﴿فِي ظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط. ولا شحم الثرب (الثرب: شحم رقيق يغشي الكرش والأعضاء. وجمعه ثروب) والكليتين. ولا الجدي في لبن أمه. إلى غير ذلك، مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما. حتى قيل: إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً والواجب عليهم مائتان وثمانية وأربعون أمراً. وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يواكلوا الحائض، ولا يجامعوها في البيوت.

وأما النصرارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات، وباشروا جميع النجاسات، وإنما قال لهم المسيح: ﴿وَلَا حُدَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. ولهذا قال تعالى: ﴿قِيلُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. وأما المؤمنون فكما نعتهم الله به في قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٦] الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا نَجِيلٍ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي

أَنْزَلَ مَعَهُ أَوْلِيَّكَ هُمْ الْمُمْفِلُونَ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

وهذا باب يطول وصفه. وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق. فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته، وسط بين أهل التعطيل، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته، ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات، بين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات. فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه، وما وصفه رسوله ﷺ. من غير تحريف ولا تعطيل. ومن غير تكيف وتمثيل. وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله، الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيتته الشاملة وخلقته لكل شيء. وبين المفسدين لدين الله. الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب. فيصرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءَنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأشعاع: ١٤٨]. فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير. فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم. وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فلا يكون في ملكه ما لا يريد. ولا يعجز عن إنفاذ مراده. وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات، ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل. وأنه مختار. ولا يسمونه مجبورًا. إذ المجبور من أكره على اختياره. والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله. فهو مختار مريد. والله خالقه وخالق اختياره. وهذا ليس له نظير، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلصين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ. وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء > والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان. ويكذبون بالوعد والعقاب بالكلية، فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله. وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة. وأنهم لا يخلدون في النار بل

يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال خردلة من إيمان. وأن النبي ﷺ أذخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

وهم أيضًا في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، وسط بين الغالية الذين يغالون في عليّ ﷺ فيفضلونه على أبي بكر وعمر ﷺ، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما، وأن الصحابة ظلموا وفسقوا، وكفروا الأمة بعدهم كذلك، وربما جعلوه نبيًا أو إلهًا. وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان ﷺ، ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما. ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما. ويقدمون في خلافة علي ﷺ وإمامته. وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط، لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. انتهى.

س: اذكر بعض الآيات في فضل أمة محمد ﷺ؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

[البقرة: ١٤٣]

❁ وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [الاحزاب: ١١٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي

الدين من حرجٍ قِلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٢١٨].

❁ وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رِحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ

رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ

الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[الفتح: ٢٩]

❁ وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا

عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينههم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴿ الأعراف: ١٥٧ ﴾.

❀ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ^(١) [فاطر: ٣٢]، وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله في تفسير سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].



س: قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] متى تكون هذه الشهادة؟
ج: هذه الشهادة تكون في الآخرة وتكون كذلك في الدنيا.

❀ أما كونها في الآخرة فلقول الله ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتُّؤَلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿ النساء: ٤١، ٤٢ ﴾.

❀ أما كونها في الدنيا فلما أخرجه البخاري ^(٢) ومسلم من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: مروا بجنابة فأتوا عليها خيراً فقال النبي ﷺ: «وجب» ثم مروا بأخرى فأتوا عليها شراً فقال: «وجب» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «هذا أنيتم عليه خيراً فوجب له الجنة، وهذا أنيتم عليه شراً فوجب له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»، وفي رواية مسلم: «أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض».

(١) وهم أمة محمد ﷺ على رأي فريق كبير من أهل العلم.

(٢) البخاري (مع الفتح ٣ / ٢٢٨)، ومسلم (مع النووي ٧ / ١٨).



س: في ماذا تشهد أمة محمد ﷺ على سائر الأمم يوم القيامة؟

ج: تشهد أمة محمد ﷺ على سائر الأمم بأن أنبياءهم قد بلغوهم رسالات الله ﷻ، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدعى^(١) نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ» ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. والوسط العدل.



س: استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] على حجية الإجماع، وضح وجه هذا الاستدلال، وهل من دليل آخر أصرح في الاستدلال من هذا الدليل؟

ج: حاصل قولهم أن الله ﷻ وصف هذه الأمة بالعدالة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فلما وصفها بالعدالة كان من مقتضيات وصفها بالعدالة أنها إذا اتفقت على أمر كان هذا الأمر صواباً لأنه إذا كان باطلاً اختلت عدالتها. والله أعلم.

❁ وأصرح من ذلك في الاستدلال على حجية الإجماع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

❁ وقول النبي ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»^(٢)، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٧).

(٢) لهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ في كل منها ضعف ظاهر اللهم إلا حديث ابن عباس



س: من أمة محمد ﷺ من هو مسرف على نفسه، ومنهم من هو فاسق، وقد قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ﴾ [فاطر: ٣٢] فكيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

ج: الإجابة أنه حتى الفاسق من أمة محمد ﷺ الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يقر بنبوة الأنبياء ﷺ وأنهم قد بلغوا أمر الله ﷻ، ومن ثم استقام أن يكون شهيداً على الناس في ذلك، والله أعلم.



س: رأى كثير من أهل العلم أن العدالة شرط للشهادة اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

ج: من هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الطلاق: ٢].

﴿ وَمَنْ رَضِيَ مِنَ الشَّهَادَةِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿ أَتْسَانٍ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الجمعة: ١٠٦].

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾.

[البقرة: ١٤٣]

قال ابن العربي في «أحكام القرآن» عند تفسير هذه الآية: وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول ولا ينفذ على الغير قول الغير إلا أن يكون عدلاً.



س: بماذا يشهد الرسول ﷺ على أمته يوم القيامة؟

ج: يشهد الرسول على أمته بأنهم قد فعلوا ما أمروا بفعله إذا هم فعلوه، وبعض

المرفوع الذي أخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ١١٦)، والبيهقي في الصفات (٢ / ١٣٦) فإسناده ظاهره الصحة إلا أنني في ريب من تصحيحه وخاصة مع توقف الحاكم - رغم تساهله المعروف - في تصحيح هذا الحديث حيث قال: لا أدعي صحته ولا أحكم بتوحيته. وكذلك فقد أخرج الترمذي بإسناد مشابه لإسناده حديثاً ووصفه بحسن غريب.

أهل العلم يقول: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ هنا بمعنى: لكم، أي: يشهد لكم بالإيمان، والله أعلم.



تحويل القبلة والحكمة منه

س: ما القبلة التي كان عليها رسول الله ﷺ قبل أن يتحول إلى الكعبة؟

ج: هي بيت المقدس، وذلك كما ورد في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً^(١) ... الحديث.



س: ما الكبيرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

ج: هي مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام. وقال بعض العلماء: إنها صلاة المؤمنين إلى بيت المقدس قبل أن يتحولوا إلى الكعبة فقد كان يشق عليهم الاتجاه إلى بيت المقدس وترك الكعبة^(٢). لكن قد صحح الطبري القول الأول بقوله: وهذا التأويل^(٣) أولى التأويلات عندي بالصواب لأن القوم إنما كُبر عليهم تحويل النبي ﷺ وجهه عن القبلة الأولى إلى الأخرى لا عين القبلة ولا الصلاة، لأن القبلة الأولى والصلاة قد كانت وهي غير كبيرة عليهم.

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٦)، ومسلم (حديث ٥٢٥).

(٢) أخرج الطبري (٢٢١٥) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: صلاتكم حتى يهديكم الله ﷻ القبلة. وفي رواية أخرى بنفس السند: قال: صلاتك ها هنا يعني إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً وانحرفك ها هنا.

(٣) نص التأويل الذي عناه وذكره: وما جعلنا تحويلتنا إياك عن القبلة التي كنت عليها وتوليتناك عنها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت تحويلتنا إياك عنها وتوليتناك ﴿لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣].



س: ما وجه كون تحويل القبلة كبيرة؟

ج: وجه ذلك ما ذكره الطبري بإسناد صحيح^(١) إلى ابن زيد قال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: كبيرة في صدور الناس فيما يدخل الشيطانُ به ابن آدم قال: ما لهم صلوا إلى هاهنا ستة عشر شهراً ثم انحرفوا، فكبر ذلك في صدور من لا يعرف ولا يعقل والمنافقين، فقالوا: أي شيء هذا الدين؟ وأما الذين آمنوا فثبت الله جل ثناؤه ذلك في قلوبهم، وقرأ قول الله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: صلاتكم حتى يهديكم إلى القبلة، والله أعلم.



س: الله ﷻ يعلم السر وأخفى، ويعلم ما كان وما سيكون، وهو سبحانه يعلم من سيتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فكيف بوجه قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

ج: طرح الطبري رحمه الله نحو هذا السؤال في تفسيره ثم أجاب عليه فقال رحمه الله في سؤاله والجواب عليه ما نصه:

قال: فإن قال لنا قائل: أو ما كان الله عالماً بمن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، إلا بعد اتباع المتبع، وانقلاب المنقلب على عقبيه، حتى قال: ما فعلنا الذي فعلنا من تحويل القبلة إلا لنعلم المتبع رسول الله ﷺ من المنقلب على عقبيه؟ قيل: إن الله جل ثناؤه هو العالم بالأشياء كلها قبل كونها، وليس قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾، بخبر (عن) أنه لم يعلم ذلك إلا بعد وجوده.

فإن قال: فما معنى ذلك؟

قيل له: أما معناه عندنا، فإنه: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا ليعلم رسولي

(١) الطبري أثر (٢٢١٧).

وحزبي وأوليائي من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فقال جل ثناؤه: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾، ومعناه ليعلم رسولي وأوليائي. إذ كان رسول الله ﷺ وأولياؤه من حزبه، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباع الرئيس، إلى الرئيس وما فعل بهم إليه، نحو قولهم: (فتح عمر بن الخطاب سواد العراق وجبى خراجها)، وإنما فعل ذلك أصحابه، عن سبب كان منه في ذلك، وكالذي روي في نظيره عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله جل ثناؤه: مرضت فلم يعدني عدي، واستقرضته فلم يقرضني، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني»^(١).

حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد، عن محمد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: استقرضت عدي فلم يقرضني، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني! يقول: وا دهر! وأنا الدهر، أنا الدهر»^(٢).

حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه. فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه، وقد كان ذلك بغيره، إذا كان ذلك عن سببه.

وقد حكى عن العرب سماعاً: (أجوع في غير بطني، وأعري في غير ظهري)، بمعنى: جوع أهله وعياله وعُريَ ظهورهم.

(١) أخرجه مسلم (حديث ٩٦٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا بن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أن عدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمك عدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا بن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين، قال: استسقاك عدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

(٢) إسناده حسن.

فكذلك قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣]، بمعنى: يعلم أوليائي وحزبي.

وأورد الطبري رَحِمَهُ اللهُ أوجهًا آخر فقال:

وقال بعضهم: إنما قيل ذلك، من أجل أن العرب تضع (العلم) مكان (الرؤية) و (الرؤية) مكان (العلم)، كما قال جل ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، فزعم أن معنى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلم؟ وزعم أن معنى قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾، بمعنى: إلا لنرى من يتبع الرسول. وزعم أن قول القائل: (رأيت، وعلمت، وشهدت)، حروف تتعاقب، فيوضع بعضها موضع بعض، كما قال جرير بن عطية:

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لِقَيْطًا وَحَاجِبًا وَعَمْرُ بْنُ عَمْرٍو إِذْ دَعَا يَالِدَارِمَ

بمعنى: كأنك لم تعلم لقيطًا، لأن بين هلك لقيط وحاجب وزمان جرير، ما لا يخفى بعده من المدة. وذلك أن الذين ذكرهم هلكوا في الجاهلية، وجرير كان بعد برهة مضت من مجيء الإسلام.

قال أبو جعفر: وهذا تأويل بعيد. من أجل أن (الرؤية)، وإن استعملت في موضع (العلم)، من أجل أنه مستحيل أن يرى أحد شيئًا فلا توجب رؤيته إياه علمًا بأنه قد رآه، إذا كان صحيح الفطرة. فجاز من الوجه الذي أثبتته رؤية، أن يضاف إليه إثباته إياه علمًا، وصح أن يدل بذكر (الرؤية) على معنى (العلم) من أجل ذلك فليس ذلك، وإن كان (جائزًا) في الرؤية - لما وصفنا - بجائز في العلم، فيدل بذكر الخبر عن (العلم) على (الرؤية). لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها، ويستحيل أن يرى شيئًا إلا علمه، كما قد قدمنا البيان (عنه) مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال: (علمت كذا)، بمعنى رأيته.

وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ من الكلام، إلى ما كان موجودًا مثله في كلام العرب، دون ما لم يكن موجودًا في كلامها. فموجود في كلامها (رأيت) بمعنى: علمت، وغير موجود في كلامها (علمت) بمعنى: رأيت، فيجوز توجيه: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلى معنى: إلا لنرى.

وقال آخرون: إنما قيل: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾، من أجل أن المنافقين واليهود وأهل الكفر بالله، أنكروا أن يكون الله تعالى ذكره يعلم الشيء قبل كونه.

وقالوا - إذا قيل لهم: إن قومًا من أهل القبلة سيرتدون على أعقابهم، إذا حولت قبلة محمد ﷺ إلى الكعبة -: ذلك غير كائن! أو قالوا: ذلك باطل! فلما فعل الله ذلك، وحول القبلة، وكفر من أجل ذلك من كفر، قال الله جل ثناؤه: ما فعلت إلا لنعلم ما علمه غيركم - أيها المشركون المنكرون علمي بما هو كائن من الأشياء قبل كونه -: أني عالم بما هو كائن مما لم يكن بعد.

فكأن معنى قائل هذا القول في تأويل قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: إلا لنبين لكم أنا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. وهذا وإن كان وجهًا له مخرج، فبعيدٌ من المفهوم.

وقال آخرون: إنما قيل: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ وهو بذلك عالم قبل كونه وفي كل حال، على وجه الترفق بعباده واستمالتهم إلى طاعته، كما قال جل ثناؤه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ **إسبأ:** ٢٤، وقد علم أنه على هدى، وأنهم على ضلال مبين. ولكنه رفق بهم في الخطاب، فلم يقل: إنا على هدى وأنتم على ضلال. فكذلك قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾، معناه عندهم: إلا لتعلموا أنتم، إذ كنتم جهالاً به قبل أن يكون، فأضاف العلم إلى نفسه، رفقًا بخطابهم.

وقد بيّنا القول الذي هو أولى في ذلك بالحق.

وقال الزجاج في معاني القرآن:

وقوله ﷻ: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ **[البقرة: ١٤٣]** إن قال قائل: ما معنى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ **[البقرة: ١٤٣]**، والله ﷻ - قد علم ما يكون قبل كونه، فالجواب في ذلك أن الله يعلم من يتبع الرسول ممن لا يتبعه من قبل وقوعه، وذلك العلم لا تجب به مجازاة في ثواب

ولا عقاب ولكن المعنى ليعلم ذلك منهم شهادة فيقع عليهم بذلك العلم اسم مطيعين واسم عاصين، فيجب ثوابهم على قدر عملهم، ويكون معلوم ما في حال وقوع الفعل منهم علم شهادة - كما قال **عَلَيْكَ**: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التغابن: ١٨] فعلمه به قبل وقوعه علم غيب، وعلمه به في حال وقوعه شهادة وكل ما علمه الله شهادة فقد كان معلوماً عنده غيباً، لأنه يعلمه قبل كونه، وهذا يبين كل ما في القرآن مثله نحو قوله تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلُوًا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٢٦].

قال الشنقيطي **كَلَّمَتهُ فِي «أَضْرَاءِ الْبَيَانِ»:**

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية. ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** عن ذلك علواً كبيراً، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون. وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا: ﴿وَلَيَبْتَلِي اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بعد قوله: ﴿وَلَيَبْتَلِي﴾ [آل عمران: ١٥٤] دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئاً لم يكن عالماً به، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار، وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه. ومعنى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: علماً يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالماً به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس. أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ما سيكون كما لا يخفى.



س: ترد بعض أوامر الله **عَلَيْكَ** لاختيار المؤمنين وتمييز المؤمن من المنافق كهذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] اذكر آيات أخرى مشابهة لها يتميز بها المؤمن عن المنافق؟

ج: من هذه الآيات ما ذكره الله ﷻ عن شجرة الزقوم التي تطلع في أصل الجحيم، كما قال تعالى: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿الصفات: ٦٢-٦٤﴾، فهذه الشجرة فتنة للظالمين، إذ قالوا: كيف تنبت شجرة في أصل الجحيم ومن المعلوم أن النار تأكل الخشب؟!، فجهلوا أن الله على كل شيء قدير.

﴿وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ (الإسراء: ٦٠) وذلك في شأن الإسراء.

﴿وقوله تعالى في عدد أصحاب النار: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُصِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَهُدًى مِّنْ يَشَاءُ﴾ (المدثر: ٣١).

فقال أهل الكفر والنفاق: إذا كان عدد خزنة جهنم تسعة عشر فنحن قادرون على سحقهم وإخماد النار واحتلال الجنة بالقوة.

﴿وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ (محمد: ٣١).



س: ما سبب نزول قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة: ١٤٣)؟

ج: أخرج البخاري^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى - أو صلاها - صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٦).

اللَّهُ يَا لَيْتَ كَسِرْتُ لِرَبِّهِمْ رَجِيمٌ ﴿البقرة: ١٤٣﴾.



س: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] إشارة إلى أن الأعمال من الإيمان وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن جمهور المفسرين فسروا الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم، والصلاة عمل، فعلى ذلك فالإيمان يدخل فيه العمل أيضًا، وهذا هو قول جمهور أهل السنة والجماعة، والله أعلم.



س: ذكرت أن سبب نزول الآية الكريمة هو إشفاق المؤمنين على إخوانهم الذين ماتوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس قبل أن تحوّل القبلة إلى الكعبة فلماذا عبر بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] ولم يعبر بقوله: (إيمانهم)؟

ج: ذلك لأن المؤمنين كالجسد الواحد كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١١٢] ولم يقل بإخوانهم.

وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] ولم يقل ولا تلمزوا إخوانكم، وكما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَيْ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].
* وأورد الطبري رحمته الله جوابًا آخر فقال: (وقد طرح سؤالًا مشابهًا) ^(١):

قيل: إن القوم وإن كانوا أشفقوا من ذلك فإنهم أيضًا قد كانوا مشفقين من حبوط ثواب صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة وظنوا أن عملهم ذلك قد بطل وذهب ضياعًا، فأنزل الله جل ثناؤه حينئذ فوجه الخطاب بها إلى الأحياء ودخل فيهم الموتى منهم، لأن من شأن العرب إذا اجتمع في الخبر المخاطب والغائب أن يغلبوا المخاطب فيدخل الغائب في الخطاب فيقولوا الرجل خاطبوه على

(١) قال الطبري في هذا السؤال: فإن قال قائل: وكيف قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] فأضاف الإيمان إلى الأحياء المخاطبين، والقوم المخاطبون بذلك إنما كانوا أشفقوا على إخوانهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس، وفي ذلك من أمرهم أنزلت هذه الآية.

وجه الخبر عنه وعن آخر غائب غير حاضر (فعلنا بكما وصنعنا بكما) كهيئة خطاهما لهما وهما حاضران، ولا يستجيزون أن يقولوا: (فعلنا بهما) وهم يخاطبون أحدهما فيردوا المخاطب إلى عداد الغيب^(١).



س: في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] دليل على العمل بخبر الآحاد وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن المسلمين لما أخبروا وهم في صلاتهم بتحويل القبلة استداروا وهم في صلاتهم والذي أخبرهم كان واحداً فخبّره خبر آحاد بلا شك.
قال القرطبي رحمته الله: وفيه دليل على قبول خبر الواحد، وهو مجمع عليه من السلف معلوم بالتواتر من عادة النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهه ولاته ورسله آحاداً للآفاق ليعلموا الناس دينهم فيبلغوهم سنة رسولهم صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي.



س: هل ثبت أن أحداً من الصحابة ارتد بعد تحويل القبلة؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم، ولكنني لم أفد على سند صحيح يفيد ذلك، والله تعالى أعلم^(٢).



س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَافِرِينَ لَءِيفٌ رَّجِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

ج: قال الطبري رحمته الله: وإنما أراد جلّ ثناؤه بذلك أن الله صلى الله عليه وسلم أرحمُ بعباده من أن يضيع لهم طاعة أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها، وأرأف بهم من أن يؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم، أي: ولا تأسوا على موتاكم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت

(١) الغيب جمع غائب، مثل خادم وخدم.

(٢) وقد ورد ذلك بإسناد معضل عن ابن جريج عند الطبري (٢٢٠٥).

المقدس فإني لهم على طاعتهم إياي بصلاتهم التي صلوها كذلك مثيبٌ لأنني أرحم بهم من أن أضيع لهم عملاً عملوه لي، ولا تحزنوا عليهم فإني غير مؤاخذهم بتركهم الصلاة إلى الكعبة لأنني لم أكن فرضت ذلك عليهم، وأنا أراف بخلقهم من أن أعاقبهم على تركهم ما لم أمرهم بعمله، والله أعلم.



س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في سعة رحمة الله ﷻ.

ج: من هذه الأحاديث ما يلي:

✽ ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قَدِمَ عَلَى النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال النبي ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(١).

✽ ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرًا عن ولدها خشية أن تصيبه».

✽ ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي»^(٣).

✽ ومنها ما في الصحيح كذلك من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليصين أقوامًا سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته يُقال لهم الجهنميون»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٠٠)، ومسلم (حديث ٢٧٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (حديث ٢٧٥١).

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٥٠).

❁ ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ^(١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: «قال الله صلى الله عليه وسلم: أنا عند ظن عبدي بي. وأنا معه حيث يذكرني. والله! الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة. ومن تقرب إلي شبرًا، تقربت إليه ذراعًا. ومن تقرب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا. وإذا أقبل إلي يمشي، أقبلت إليه أهرولاً». وفي رواية عنده ^(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الله أشد فرحًا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها».

وأخرج مسلم ^(٣) من طريق الحارث بن سويد قال: دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض. فحدثنا بحديثين: حديثًا عن نفسه وحديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية ^(٤) مهلكة ^(٥) معه راحلته. عليها طعامه وشرابه. فنام فاستيقظ وقد ذهب فطلبها حتى أدركه العطش. ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه. فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت. فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه. فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

❁ وأخرج مسلم ^(٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته. تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعام ولا

(١) مسلم حديث (٢٦٧٥).

(٢) هي عند مسلم أيضًا (ص ٢١٠٢).

(٣) مسلم حديث (٢٧٤٤).

(٤) قال النووي رحمته الله: (دوية) اتفق العلماء على أنها بفتح الدال وتشديد الواو والياء جميعًا. وذكر مسلم، في الرواية التي بعد هذه، رواية أبي بكر بن أبي شيبة: أرض داوية، بزيادة ألف، وهي بتشديد الياء أيضًا. وكلاهما صحيح. قال أهل اللغة: الدوية الأرض القفر والفلاة الخالية. قال الخليل: هي المفازة. قالوا: ويقال دوية ودواية: فأما الدوية فمنسوبة إلى الدو، بتشديد الواو، وهي البرية التي لا نبات بها. وأما الدواية فهي على إبدال إحدى الواوين ألفًا. كما قيل في النسب إلى طيء طائي.

(٥) (مهلكة) موضع خوف الهلاك، بفتح اللام وكسرها، ويقال لها مفازة. قيل: إنه من قولهم فَوَزَ الرجل، إذا هلك، وقيل: هو على سبيل التفاؤل بفوزه ونجاته منها، كما يقال للديغ: سليم.

(٦) أخرجه مسلم (حديث (٢٧٤٦)).

شرابٌ. وعليها له طعام وشراب. فطلبها حتى شق عليه، ثم مرت بجذال شجرة^(١) فتعلق زمامها. فوجدها متعلقة به؟ قلنا: شديدًا^(٢). يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «أما، والله! الله أشد فرحًا بتوبة عبده، من الرجل براحلته».

❁ ومن هذه الأحاديث ما أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك^(٣) رَوَاهُ اللَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أشد فرحًا بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه. وعليها طعامه وشرابه. فأيس منها فأتى شجرة. فاضطجع في ظلها. قد أيس من راحلته. فيبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده. فأخذ بخطامها. ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح».

❁ وأخرج مسلم من حديث أبي أيوب أنه قال حين حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم».

وأخرج البخاري ومسلم^(٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَوَاهُ اللَّهُ عن النبي ﷺ قال:

«كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا ثم خرج يسأل فأتى راهبًا فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله فجعل يسأل فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء^(٥) بصدرة نحوها فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدني، وقال: فيسوا، فوجد إلى هذه أقرب بشبرٍ فغفر له^(٦)».

(١) جذل شجرة أي: أصل شجرة.

(٢) أي: نراه يفرح فرحًا شديدًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧٠)، ومسلم (حديث ٢٧٦٦).

(٥) ناء بمعنى: بَعُدَ.

(٦) وله لفظ أطول عند مسلم وهو أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن

وأخرج البخاري^(١) من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فقال لأهله: إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائفٍ^(٢) ففعلوا فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ما حملني عليه إلا مخافتك فغفر له».

ونحوه في «الصحاحين»^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه ذكر رجلاً فيمن سلف - أو فيمن كان قبلكم - قال كلمةً يعني أعطاه الله مالاً وولداً فلما حضرت الوفاة قال لبيته: أيُّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خير أبٍ قال فإنه لم يبتئز^(٤) - أو لم يبتئز - عند الله خيراً، وإن يقدر الله عليه يعدُّبه فانظروا إذا متُّ فأحرقوني حتى إذا صرتُ فحمًا فاسحقوني - أو قال: فاسحقوني - فإذا كان يومٌ ريح عاصفٍ فأذروني فيها فقال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم: «فأخذ مواليقهم على ذلك وربي ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل: كن فإذا هو رجل قائم قال الله: أي عبيدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك - أو فرق منك - قال: فما تلافاه^(٥) أن رحمه عندها».

وأخرج البخاري ومسلم^(٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاوسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة».

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٨٠)، والنسائي (٤ / ١١٣).

(٢) في بعض الروايات: «في يوم حار»، وفي بعضها: «في يوم رائج» (أي: شديد الريح) وفي بعضها «في يوم عاصف».

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٨)، ومسلم (حديث ٢٧٥٧).

(٤) أي: لم يدخر (كما هو مفسر في بعض الروايات).

(٥) أي: فما تداركه غيرها.

(٦) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٧)، ومسلم (حديث ٢٧٥٨).

سمعت النبي ﷺ قال: «إن عبداً أصاب ذنباً - وربما قال: أذنب ذنباً - فقال: ربّ أذنبتُ ذنباً - وربما قال: أصبت - فاغفر فقال ربّه: أَعْلِمَ عبدي أن له ربّاً يغفرُ الذنب ويأخذ به^(١)؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً - فقال: ربّ أذنبتُ - أو أصبتُ - آخر فاغفره فقال: أَعْلِمَ عبدي أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً - وربما قال: أصاب ذنباً - فقال: ربّ أصبت - أو أذنبت - آخر فاغفره لي فقال: أَعْلِمَ عبدي أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي - ثلاثاً - فليعمل ما شاء»^(٢).



MOSTAFAALADWIY.COM

(١) يؤخذ به أي: يعاقب به.

(٢) قلت: وليس هذا فيمن يجاهر ربّه بالمعاصي ويقول سيغفر لي، بل هذا في حق التائب الوجل الخائف من ربه ﷻ، والله أعلم.

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً
تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا
كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا
بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ
بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

معناها	الكلمات
تحول.	(تَقَلُّبٌ) ﴿
نحو السماء - اتجاه السماء.	(فِي السَّمَاءِ) ﴿
فلنصرفنك - فلنوجهنك.	(فَلَنُوَلِّيَنَّكَ) ﴿
تحبها - تهواها ^(١) .	(تَرْضَاهَا) ﴿
اتجه بوجهك - اصرف بصرك وحوّله.	(فَوَلِّ وَجْهَكَ) ﴿
ناحية - تلقاء.	(شَطْرَ) ﴿
أيما كنتم ^(٢) .	(وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ) ﴿

(١) أخرج الطبري (٢٢٣١) بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ [البقرة: ١٤٤] فكان نبي الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ويهوى ويشتهي القبلة نحو البيت فوجهه الله جل ثناؤه لقبلة كان يهواها ويحبها.

(٢) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (٢٢٤٦) أنه قال: (شطره) ناحيته، جانبه قال: وجوانبه

س: ماذا يُراد بـ ﴿ قَدْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قَدْ زَرَى نَقَلْبَ وَجْهِكَ ﴾ [البقرة: ١٤٤]؟
 ج: قال بعض أهل العلم: إن قد هنا تفيد التحقيق، وبعضهم يرى أنها بمعنى: ربما لكنها هنا للتكثير، وبعض النحاة يقول: إن (قد) تدخل على المضارع فتجعله بمعنى الماضي كقوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [النور: ٦٤]، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [الحجر: ٩٧]، وكقوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٨]، والله أعلم.



س: لماذا كان رسول الله ﷺ يرجو تحويل القبلة؟ ولماذا كان يوجّه بصره إلى السماء؟

ج: التمس بعض العلماء لرغبة رسول الله ﷺ في التحول إلى الكعبة أسباباً منها: مخالفة أهل الكتاب^(١).

=(شُطوره).

قلت: والشطر يطلق على النصف، كما في قوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «الظهور شطر الإيمان» لكنه ليس المراد هنا. قال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: ويكون من الأضداد يقال: شطر إلى كذا إذا قبل نحوه، وشطر عن كذا إذا أبعده منه وأعرض عنه، فأما الشاطر من الرجال فلأنه قد أخذ في نحو غير الاستواء، وهو الذي أعى أهله خُبثاً.
 (١) أخرج الطبري بإسناد صحيح (٢٢٣٥) إلى ابن زيد قال: قال الله تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿ فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثُمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] قال: فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتاً من بيوت الله - لبيت المقدس - لو أنا استقبلناه فاستقبله النبي ﷺ ستة عشر شهراً فبلغه أن يهود تقول، والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم، فكره ذلك النبي ﷺ ورفع وجهه إلى السماء فقال الله جل ثناؤه: ﴿ قَدْ زَرَى نَقَلْبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَتَوَلَّيْتَنكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلَ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٤].
قلت: وهذا صحيح إلى ابن زيد، وابن زيد هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ولم يدرك رسول الله ﷺ قطعاً، ونحن ما أتينا بهذا الخبر من ناحية أنه مسند إلى رسول الله ﷺ أو من ناحية أنه سبب نزول ولكن أتيت به من ناحية أنه تفسير لابن زيد للآية الكريمة، وهذا وجه قد يتداخل على بعض إخواننا فيرى أن الأثر مرسل أو معضلاً فيضرب عنه الذكر صفحاً قولاً واحداً، ولكن الأمر في هذا المقام - نراه والله أعلم - على غير ما ظن أخواننا إنما الأمر حاصله أن ابن زيد **رَحِمَهُ اللَّهُ** مفسرٌ فسر الآية بما أفاده به ظاهرها وبما تراءى له من معانيها، كما يُفسر الطبري آيةً مثلاً، وكما يفسر القرطبي أو ابن كثير أو غيرهما آيةً مثلاً وينسب شيئاً في تأويله لها إلى زمن رسول الله ﷺ، فهذا قد يقبل منه في بعض الأحيان إذا كان ظاهر الآية الكريمة يفيد أو عموم سنة رسول الله ﷺ

❁ ومنها كون الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام.

❁ أمّا لماذا كان يوجّه بصره إلى السماء فلأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرغب في نزول الوحي بالتحويل من بيت المقدس إلى الكعبة، وقال بعض العلماء: إن تقليبه وجهه عليه السلام بمعنى الدعاء، والله أعلم.



س: ما هو سبب نزول قوله تعالى: ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤]؟

ج: سبب نزولها ما أخرجه البخاري ^(١) في «صحيحه» من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى - أو صلاها - صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوّل قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].



س: هل يشرع رفع البصر إلى السماء في الصلاة؟

ج: لا يشرع رفع البصر إلى السماء في الصلاة، والنصوص الواردة في المنع تدل على التحريم ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال ^(٢): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليتنهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم». ❁ وأخرج مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

^١ يؤيده مع عدم القطع بصحة نسبة ما ذكره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٤٢٨).

«لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم»^(١).

س: إلى أين ينظر المصلي في صلاته؟

ج: بعض أهل العلم يرى أن المصلي ينظر إلى الأمام لقول الله ﷻ: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].
ولأن النبي ﷺ كان يصلي صلاةً ثم قال: «عرضت عليّ الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الجدار فلم أر كاليوم في الخير والشر...» الحديث^(٢) قالوا: فدل ذلك على أن النبي ﷺ كان ينظر إلى الأمام في الصلاة.
بينما ذهب بعض أهل العلم إلى النظر إلى موضع السجود؛ لورود بعض الآثار في ذلك، والله أعلم.

س: ما المراد بالوجه في قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ [البقرة: ١٤٤]؟

ج: بعض أهل العلم يقولون: المراد بوجهك هنا: عينك.
وبعض أهل العلم يقولون: إنما قال الله ﷻ: ﴿وَجْهَكَ﴾ ولم يقل عينك أو بصرك لزيادة اهتمامه، ولأن تقلب الوجه مستلزم لتقلب البصر، والله أعلم.

س: ما القبلة المرادة في قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّتَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]؟

ج: هذه القبلة هي المسجد الحرام لقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وتقدم في حديث البراء أيضاً ما يفيد ذلك، وفيه أن الرجل قال: ... أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت.

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٢٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٤٠)، ومسلم (حديث ٢٣٥٩ ص ١٨٣٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً.

س: هل المراد من قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]

استقبال عين الكعبة أم المراد المواجهة فقط؟

ج: ذهب أكثر أهل العلم في هذا الباب إلى الآتي:

أولاً: إذا كان المصلي يرى الكعبة ففرض عليه استقبال عين الكعبة.

ثانياً: إذا كان المصلي لا يرى الكعبة، فالذي عليه الأكثر أن الغرض

والمطلوب هو المواجهة، والله تعالى أعلم.

ثم هذه بعض أقوال أهل العلم في هذا الباب:

﴿قال الطبري رحمه الله: والصواب من القول في ذلك عندي ما قال الله جل ثناؤه:

﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] فالمولى وجهه شطر المسجد

الحرام هو المصيب للقبلة، وإنما على من توجه إليه النية بقلبه أنه إليه متوجه كما أن

على من ائتم بإمام فإنما عليه الائتمام به، وإن لم يكن محاذياً بدنه وإن كان في

طرف الصف والإمام في طرف آخر عن يمينه أو عن يساره بعد أن يكون من خلفه

مؤتماً به مصلياً إلى الوجه الذي يُصلي إليه الإمام فكذلك حكم القبلة وإن لم يكن

يحاذيها كل مصلي ومتوجه إليها بدنه غير أنه متوجه إليه فإن كان عن يمينها أو عن

يسارها مقابلها فهو مستقبلها بعد ما بينه وبينها أو قرب من عن يمينها أو عن يسارها

بعد أن يكون غير مستديرها ولا منحرف عنها بدنه ووجهه.

وقال القرطبي رحمه الله: لا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبله في كل أفق، وأجمعوا

على أن من شاهدها وعابنها فرض عليه استقبالها، وأنه إن ترك استقبالها وهو معاین

لها وعالم بجهتها فلا صلاة له وعليه إعادة كل ما صلى ذكره أبو عمر، وأجمعوا على

أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاها، فإن خفيت عليه فعليه أن

يستدل على ذلك بكل ما يمكنه من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك مما يمكن

أن يُستدل به على ناحيتها.

﴿وقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن): وقد اختلف العلماء هل فرض الغائب

عن الكعبة استقبال العين، أو استقبال الجهة؟ فمنهم من قال: فرضه استقبال العين، وهذا ضعيف لأنه تكليف لما لا يصل إليه، ومنهم من قال الجهة، وهو الصحيح لثلاثة أمور:

أحدها: أنه الممكن الذي يرتبط به التكليف.

الثاني: أنه المأمور به في القرآن إذ قال: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] فلا يلتفت إلى غير ذلك.

الثالث: أن العلماء احتجوا بالصف الطويل الذي يُعلم قطعاً أنه أضعاف عرض البيت: ويجب أن يعول على ما تقدم، فإن الصف الطويل إذا بُعد عن البيت أو طال وعرض أضعافاً مضاعفة لكان ممكناً أن يقابل جميع البيت.

✽ أما الحافظ ابن كثير رحمته الله تعالى فنقل عن بعض أهل العلم قولهم: إن الغرض إصابة عين الكعبة، قال: والقول الآخر وعليه الأكثر أن المراد المواجهة. ✽ وقال القاسمي رحمته الله «محاسن التأويل»: والتعبير عن الكعبة بالمسجد الحرام إشارة إلى أن الواجب مراعاة الجهة دون العين، والله أعلم.



س: هل يجوز في وقت من الأوقات الصلاة إلى غير القبلة؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر فإنه يصليها حيث توجه قلبه وقلبه نحو الكعبة، وكذا في حال المسابقة في القتال يصلي على كل حال، وكذا من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده وإن كان مخطئاً في نفس الأمر لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.



س: كيف علم اليهود والنصارى أن التوجه إلى الكعبة حق؟

ج: قد يكون ذلك في كتبهم وجحدوه عن علم.
لكنهم يقيناً يعلمون من كتبهم أن محمداً نبي الله حقاً، وأنه لا يقول إلا صدقاً ولا يفعل إلا ما أمر به فما قاله وفعله حق، فلما تحوّل النبي ﷺ إلى الكعبة وهم يعلمون إجمالاً أن أفعاله حق، كانوا يعلمون إذن أن تحوّلَهُ حق.
❁ ويعلمون أيضاً من دينهم جواز النسخ وإن كانوا يُكابرون في ذلك، والله أعلم.

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٤] يرجع إلى ماذا؟

ج: رأى كثير من أهل العلم أنه يرجع إلى التوجه والتحول إلى المسجد الحرام، فأهل الكتاب يعلمون أن التوجه نحو المسجد الحرام هو الحق الذي فرض الله ﷻ على إبراهيم وذريته وسائر عبادِهِ من بعده.
❁ وقيل: إنه يرجع إلى القرآن، فالقرآن بما فيه من أمر المسلمين بالتحول إلى المسجد الحرام يعلم أهل الكتاب أنه الحق من ربهم.
❁ وقيل: يرجع إلى محمد ﷺ، فأهل الكتاب يعلمون أن محمداً ﷺ نبي الله حقاً، والله أعلم.



س: الآيات لا تنفع إلا من هداه الله اذكر عدداً من الأدلة تؤيد هذا المعنى؟

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

❁ قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

❁ وقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥].

❁ وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ

كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٦، ٩٧﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].



س: ما المراد بالآية في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥]؟

ج: المراد - والله أعلم - المعجزة أو العلامة الدالة على صدق حديثك.



س: ما هي قبلة أهل الكتاب المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٥]؟

ج: قبلة اليهود هي الصخرة الموجودة بيت المقدس، وقبلة النصارى هي المشرق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ «بدائع الفوائد»^(١): قبلة أهل الكتاب ليست بوحى وتوقيف من الله بل بمشورة واجتهاد منهم، أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم في الإنجيل ولا في غيره باستقبال المشرق، وهم يُقرون بأن قبلة المسيح قبلة بني إسرائيل وهي الصخرة، وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة، فهم مع اليهود متفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبداً، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الأمر، وأما اليهود فليس في التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتة، وإنما كانوا ينصبون التابوت ويصلون إليه من حيث خرجوا، فإذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا عليه، فلما رفع صلوا إلى موضعه وهو الصخرة.



س: ماذا يُفيد قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٥]؟

ج: يفيد أموراً منها:

(١) ونقلته للسرعة من فتح البيان.

- ١- بيان شدة اتباع رسول الله ﷺ لأمر الله ﷻ.
- ٢- يقطع أطماع اليهود والنصارى في رجوع رسول الله ﷺ إلى قبلتهم.
- ٣- فيه إشارة إلى أن الأمر بالاتجاه إلى الكعبة لن ينسخ، والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]؟

ج: الذي يظهر لي - والله أعلم - أن المراد بالعلم هنا: العلم بأن ما أنت عليه في أمر القبلة حق، وأن أهل الكتاب كَذَبَةٌ مفترون في هذا الباب.

﴿ قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥] من بعد ما وصل إليك من العلم بإعلامي إياك أنهم مقيمون على باطل وعلى عناد منهم للحق ومعرفة منهم أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة التي فرضت على أبيك إبراهيم ﷺ وسائر ولده من بعده من الرسل التوجه نحوها ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] يعني: إنك إذا فعلت ذلك من عبادي الظلمة أنفسهم المخالفين أمري والتاركين طاعتي وأحدهم وفي عدادهم، والله أعلم.



س: ما فائدة إخبار الله ﷻ نبيه ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقوله: ﴿وَلَمِنَ الَّذِينَ أَزْنَمُوا﴾ [البقرة: ١٤٥] وضح أيضاً معنى هذه الآية؟

ج: فائدة ذلك، والله أعلم إراحة قلب النبي ﷺ وإبعاد الشغل والفكر في هؤلاء عنه أي: لا تشتغل بهم ولا تفكر فيهم.

أما معنى الآية الكريمة فقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وإنما يعني جل ثناؤه بذلك: أن اليهود والنصارى لا تجتمع على قبلة واحدة مع إقامة كل حزب منهم على ملتهم، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يا محمد لا تُشعر نفسك رضا هؤلاء اليهود والنصارى فإنه أمر لا سبيل إليه لأنهم مع اختلاف مللهم لا

سبيل لك إلى إرضاء كل حزب منهم من أجل أنك إن اتبعت قبلة اليهود أسخطت النصارى وإن اتبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود، فدع ما لا سبيل إليه وادعهم إلى ما لهم السبيل إليه من الاجتماع على ملتك الحنيفية المسلمة، وقبلتك قبلة إبراهيم والأنبياء من بعده. والله أعلم.



س: من أهل الكتاب من آمن واتبع قبلة رسول الله ﷺ، فكيف توجه قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ٥٤١].

ج: توجيهه أن يقال: إن المراد بالذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥] أنهم الذين كتب عليهم عند الله سبحانه وتعالى أنهم سيموتون على الكفر. وقد قدمنا نظيره في أوائل سورة البقرة. وبالله التوفيق.



س: أفادت الآية الكريمة: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٥] أن توجه الوعيد للعلماء أشد من غيرهم، وضح ذلك، واذكر أدلة أخرى في هذا الباب؟

ج: إيضاحه من قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِمَ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. أما الأدلة على ذلك فكثيرة، منها:

﴿قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

﴿وقوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾.

[الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]

✽ وحديث رسول الله ﷺ الذي فيه: «يؤتى بالرجل فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه...» الحديث، وفيه أنه يقول: «كنت أمرمك بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية»^(١).

وحديث أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة^(٢) ومنهم عالم تعلّم العلم ليقال: هو عالم.



(١) أخرج البخاري (حديث رقم ٣٢٦٧)، ومسلم (حديث ٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقي في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال كنت أمرمك بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأُتي به فعرفه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمته وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت. ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالمٌ. وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل وسع عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال: هو جواد. فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه. ثم أُلقي في النار».

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
 أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا
 الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا
 إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

الكلمة	معناها
(الْمُمْتَرِينَ) ﴿١٤٦﴾	الشَّاكِّينَ (١).
(وِجْهَةٌ) ﴿١٤٧﴾	قبلة - ناحية.
(مُوَلِّيَهَا) ﴿١٤٧﴾	مُولٌ وجهه إليها ومستقبلها.
(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) ﴿١٤٨﴾	بادروا إلى الطاعات وسارعوا إلى الأعمال الصالحة.



(١) أي: الشَّاكِّينَ في أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة الحق، وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (٢٢٧٣): ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠] قال: من الشَّاكِّينَ قال: لا تشكن في ذلك.

س: من هم الذين آتاهم الله الكتاب المعينون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]؟

ج: المراد - والله أعلم - أنهم أحبار اليهود وعلماء النصارى، والعلم عند الله.



س: الضمير في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ [البقرة: ١٤٦] يرجع إلى من؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إنه يرجع إلى النبي ﷺ، والمعنى: أن الذين آتاهم الله الكتاب يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون آبائهم وفي هذا يقول الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْرَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ...﴾

[الفتح: ٢٩]

وقال فريق آخر من العلماء: إنه يرجع إلى البيت (أو القبلة) والمعنى: أن الأحبار من اليهود والعلماء من النصارى يعلمون أن البيت الحرام هو قبلتهم وقبله إبراهيم وقبله الأنبياء قبله^(١).



س: ما المراد في قوله تعالى: ﴿يَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ [البقرة: ١٤٦]؟

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢٢٥٩) قال: قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] يقول: يعرفون أن البيت الحرام هو القبلة.

وأخرج الطبري أيضًا (٢٢٦٤) بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] قال: اليهود يعرفون أنها هي القبلة مكة.

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالحق هو صفة محمد ﷺ^(١).

وقال آخرون: إن المراد بالحق الحق في أمر القبلة^(٢).

وقال غيرهم: المراد أنهم يكتمون الحق بصفة عامة، فقد كتموا الحق في شأن محمد ﷺ وكتموا الحق في أمر القبلة، وكتموا الحق في حكم الزاني، إلى غير ذلك من أنواع الحق الذي كتموه.



س: هل كان النبي ﷺ شاكاً في أمر القبلة حتى قيل له: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؟

ج: لم يكن النبي ﷺ شاكاً في أمر القبلة، ولكن المخاطب هو رسول الله ﷺ والمراد أمته، والله تعالى أعلم.

هذا وقد قال الطبري **رحمته الله**: فإن قال لنا قائل: أو كان النبي ﷺ شاكاً في أن الحق من ربه أو في أن القبلة التي وجهه الله إليها حق من الله تعالى ذكره حتى نهى عن الشك في ذلك، فقيل له: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٥٧]؟

قيل: ذلك من الكلام الذي تخرجه العرب مخرج الأمر أو النهي للمخاطب به، والمراد به غيره، كما قال جل ثناؤه: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] ثم قال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢] فخرج الكلام مخرج الأمر للنبي ﷺ والنهي له، والمراد به أصحابه

(١) أخرج الطبري (٢٢٦٩) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] فكتموا محمداً ﷺ.

(٢) قال الطبري **رحمته الله**: قوله: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ [البقرة: ١٤٦] وذلك الحق هو القبلة التي وجه الله ﷻ إليها نبيه محمداً ﷺ، يقول فول وجهك شطر المسجد الحرام التي كانت الأنبياء من قبل محمد ﷺ يتوجهون إليها فكتمها اليهود والنصارى، فوجه بعضهم شرقاً، وبعضهم بيت المقدس ورفضوا ما أمرهم الله به وكتموا مع ذلك أمر محمد ﷺ وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل فأطلع الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ وأتمته على خيانتهم الله ﷻ وخبائثهم عباده وكتمانهم ذلك، وأخبر أنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك على علم منهم بأن الحق غيره، وأن الواجب عليهم من الله جل ثناؤه خلافه فقال: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] أن ليس لهم كتمانهم فيتعمدون معصية الله ﷻ.

المؤمنون به، وقد بينا نظير ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته.

س: التنوين في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ...﴾ [البقرة: ١٤٨] يشير إلى محذوف فما هو

هذا المحذوف؟

ج: هذا المحذوف هو (أهل ملة أو أهل دين) فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيَا﴾ [البقرة: ١٤٨] أي: لكل أهل دين ولكل أهل ملة قبله يتجهون إليها، فلليهودي قبله يتجه إليها وللنصراني قبله يتجه إليها^(١) وقبلتكم أنتم أيها المؤمنون هي القبلة الحق، والله أعلم.

✽ وقال بعض العلماء: إن المعنى: ولكل وجهة من الوجهات التي وجهك إليها ربك الله ﷻ موليا عبادة.

✽ وقال بعضهم: ولكل قبله من القبلتين اللتين توجهت إليهما وجهة، والأول عليه الأكثر، والله تعالى أعلم.



س: من المعنى بـ (هو) في قوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلِيَا﴾ [البقرة: ١٤٨]؟

ج: لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يرجع إلى صاحب الملة أو الدين، والمعنى: ولكل صاحب دين أو ملة قبله هو متجه إليها.

والثاني: أنه يرجع إلى الله تعالى، والمعنى: ولكل وجهة الله ﷻ موليه إياها.

والثالث: أنه يرجع إلى البيت (أي: الكعبة) والمراد أن كل قوم أمرُوا أن يتجهوا إلى الكعبة وهذا ضعيف؛ لأن النبي صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا على ما تقدم. والله أعلم.



(١) وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (٢٢٧٧) أنه قال: لليهود قبله وللنصارى قبله، ولكم قبله - يريد المسلمين.

س: عقب قوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلِيَّهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]؟ محذوف (على رأي بعض أهل العلم) ما هو هذا المحذوف؟

ج: هذا المحذوف هو (وجهة) فالمعنى ولكل وجهة هو موليتها وجهة، والله تعالى أعلم.



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيَّهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]؟

ج: من الآيات في معناها قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].



س: على المسلم إذا اتضح له الحق أن يادر إليه ويحرص عليه ويسرع في الامتثال له والتمسك به، دلل على ذلك من الآية الكريمة؟

ج: بيان ذلك أن الله ﷻ لما بين للمؤمنين الصواب من أمر القبلة وأكد لهم على أنها القبلة الحق حثهم على المسارعة إلى الاتباع بقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] أي: بادروا وسارِعوا إلى فعل الطاعات، كما قال الطبري رحمه الله: وإنما يعني بقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] أي: قد بينت لكم أيها المؤمنون الحق وهديتكم للقبلة التي ضلت عنها اليهود والنصارى وسائر أهل الملل غيركم فبادروا بالأعمال الصالحة شكرًا لربكم وتزودوا في دنياكم لآخرتكم فإني قد بينت لكم سبل النجاة فلا عذر لكم في التفريط وحافظوا على قبلتكم فلا تضيعوها كما ضيعتها الأمم قبلكم فتصلوا كما ضلت.



س: اذكر حديثاً في معنى قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة:

١٤٨]؟

ج: أخرجه البخاري^(١) ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلاً فيمن سلف - أو فيمن كان قبلكم - قال كلمة - يعني أعطاه: الله مالاً وولداً - فلما حضرت الوفاة قال لبنيه: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب قال: فإنه لم يبتئ - أو لم يبتئز - عند الله خيراً وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني، أو قال: فاسحقوني - فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها.

فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «أأخذ موأيقهم على ذلك وربِّي، ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل: كن فإذا هو رجل قائم، قال الله: أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك أو فرَّق منك» قال: «فما تلافاه أن رحمه عندها».

✽ ونحوه في «الصحيحين» أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه به أحدًا قال: ففعلوا ذلك به فقال للأرض: أذّي ما أخذت فإذا هو قائم فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب - أو قال: مخافتك - فغفر له بذلك»^(٢).



(١) أخرجه البخاري حديث (٧٥٠٨)، ومسلم (حديث ٢٧٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٨١)، ومسلم (حديث ٢٧٥٦ ص ٢١١٠).

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا
 تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
 شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
 وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ
 حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ
 وَأَخْشَوْنِي وَلَا تُمِّنَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

معناها	الكلمات
من أي مكان خرجت - إلى أي مكان توجهت، والمعنى أيضًا: في أي مكان كنت. أيضًا: في أي مكان كنت. أيضًا: في أي مكان كنت.	(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ﴿١٤٩﴾) (وَحَيْثُ مَا ﴿١٥٠﴾)

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَأِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [البقرة: ١٤٩]؟

ج: المراد - والله أعلم -: أن التوجه شطر المسجد الحرام هو الحق الذي لا مريية فيه ولا شك في أنه من عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩]؟

ج: قال الطبري **رحمته**: وأما قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩] فإنه يقول: فإن الله تعالى ذكره ليس بساهٍ عن أعمالكم، ولا بغافلٍ عنها ولكنه محصيا لكم حتى يجازيكم بها يوم القيامة.

وقال الرازي **رحمته**: أما قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩] يعني ما عمله هؤلاء المعاندون الذين يكتمون الحق وهم يعرفونه ويدخلون الشبهة على العامة بقولهم: ﴿مَا وَلَيْتُهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٢] وبأنه قد اشتاق إلى مولده ودين آبائه فإن الله عالم بهذا فانزل ما أبطله وكشف عن وهنه وضعفه.



س: من المراد بالناس في قوله تعالى: ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠]؟

ج: المراد بالناس في هذا الموطن - على رأي جمهور أهل العلم - أهل الكتاب، وقد أخرج الطبري بإسناد حسن^(١) عن قتادة قوله: ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠] يعني: بذلك أهل الكتاب قالوا حين صرف نبي الله **ﷺ** إلى الكعبة البيت الحرام: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه.

قلت: ومن الممكن أن يدخل فيها المشركون كذلك على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

(١) الطبري (٢٢٩٢).



س: أمر الله ﷺ بالتوجه إلى المسجد الحرام حتى لا يكون للناس حجة على رسول الله ﷺ وأصحابه، فما هي الحجة التي أريد دفعها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠]؟

ج: هذه الحجة هي مجادلة أهل الكتاب ومجادلة المشركين في شأن القبلة، أما أهل الكتاب فوجه جدالهم يتمثل في قولهم: إن كنت يا محمد تزعم أننا على باطل فلماذا تتجه إلى قبلتنا في صلاتك^(١)، أليس اتجاهاك إلى قبلتنا في صلاتك يؤكد أننا على الحق وأن قبلتنا هي الصواب؟! فوجه الله نبيه ﷺ إلى الاتجاه إلى البيت الحرام لقطع هذه الحجة.

وتتمثل مجادلة أهل الكتاب أيضاً في أنهم يجدون في كتبهم أن هذا النبي ﷺ سيكون من أمره أن يصلي إلى الكعبة، فلما لم يتجه رسول الله في صلاته إلى الكعبة يبقى في نفوسهم شك في صفته وصفة أفعاله فقطعاً لهذا الاحتجاج أمر الله نبيه ﷺ بالاتجاه إلى البيت الحرام، أما مجادلة أهل الشرك فتتمثل في قولهم: إن كنت يا محمد تزعم أنك أولى الناس بإبراهيم لكونك من ولده ﷺ، فلماذا تنحرف عن قبلته وتتجه إلى بيت المقدس، فقطع الله ﷻ حجة المشركين هذه بأن أمر نبيه ﷺ بالاتجاه إلى البيت الحرام، لكن بقي لطوائف من الذين ظلموا نوع احتجاج سيرد في محله

(١) قال الطبري رحمه الله: فإن قال قائل: فأية حجة كانت لأهل الكتاب بصلاة رسول الله ﷺ وأصحابه نحو بيت المقدس، على رسول الله ﷺ وأصحابه؟

قيل: قد ذكرنا فيما مضى ما روي في ذلك قيل: إنهم كانوا يقولون: ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، وقولهم: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا، فهي الحجة التي كانوا يحتجون بها على رسول الله ﷺ وأصحابه على وجه الخصومة منهم لهم، والتمويه منهم بها على الجهال وأهل الغباء من المشركين. وقد بينا فيما مضى أن معنى حجاج القوم إياه الذي ذكره الله تعالى في كتابه إنما هي الخصومات والجدال، فقطع الله جل ثناؤه ذلك من حججهم وحسمه بتحويل قبلة نبيه ﷺ والمؤمنين به من قبلة اليهود إلى قبلة خليله إبراهيم ﷺ، وذلك هو معنى قول الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠] يعني بـ (الناس): الذين كانوا يحتجون عليهم بما وصفت.

قريباً إن شاء الله.



س: من المراد بالذين ظلموا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]؟

ج: ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مشركو قريش أو مشركو العرب بصفة عامة.
 ﴿فَقَدْ صَحَّ عَنْ مِجَاهِدٍ^(١) مِنْ وَجْهِهِ أَنَّهُ قَالَ: هُمْ مَشْرُكُو قَرِيْشٍ: (وفي رواية: مشركو العرب).

﴿وَرَوَى الطَّبْرِيُّ ذَلِكَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ^(٢) عَنْ قَتَادَةَ أَيْضًا قَوْلَهُ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠] وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مَشْرُكُو قَرِيْشٍ.

والذي يظهر أن المراد بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠] أعم من كونهم مشركي قريش، فاليهود أيضاً كان لهم بعض الجدل بعد تحويل القبلة فقالوا: ﴿مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] كما تقدم، والله أعلم.



س: قطع الله حجة أهل الكتاب لما أمر الله نبيه ﷺ بالتوجه إلى الكعبة، أما حجة المشركين فهل بقي منها شيء لم يقطع؟ وما هو هذا الشيء في حالة كونه ما زال موجوداً؟

ج: لأهل العلم في هذه المسألة قولان: فمنهم من قال: إن الحجج كلها قطعت لكن بقي الذين ظلموا ليس لهم حجة ولكنهم يجادلون بالباطل.
 ومنهم من قال: إن الذين ظلموا: (وهم مشركو قريش) بقيت لهم حجة (إن

(١) الطبري (٢٢٩٧)، (٢٢٩٩).

(٢) الطبري (٢٢٩٨).

استجيز أن يطلق على الباطل وعلى الشبهات حجة^(١) وهي متعلقهم بتوجه رسول الله ﷺ إلى الكعبة فقالوا: ها هو قد رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا^(٢)، فمن ثم قال تعالى للمؤمنين: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] فيما يلقون من شبه على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.



س: إذا أمر الله ﷻ الناس بأمر ووجههم وجهة فإن هذا الأمر في حد ذاته حجة فكيف يكون للمشركين - بعد أمر الله ﷻ للمؤمنين بالتوجه إلى البيت الحرام - حجة على أهل الإيمان؟

ج: هذا السؤال طرح نحوه ابن جرير الطبري رحمه الله فقال: فإن قال قائل: وأية حجة كانت لمشركي قريش على رسول الله ﷻ وأصحابه في توجيههم في صلاتهم إلى الكعبة، وهل يجوز أن يكون للمشركين على المؤمنين فيما أمرهم الله به أو نهاهم عنه حجة؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت وذهبت إليه، وإنما (الحجة) في هذا الموضوع الخصومة والجدال، ومعنى الكلام: لثلا يكون لأحد من الناس عليكم خصومة ودعوى باطل غير مشركي قريش فإن لهم عليكم دعوى باطلاً وخصومة بغير حق بقولهم لكم: (رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا) فذلك من قولهم وأمانهم الباطلة هي (الحجة) التي كانت لقريش على رسول الله ﷻ وأصحابه، ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى ذكره: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠] من قريش من سائر الناس غيرهم إذ نفى أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة. ثم

(١) كما قال تعالى: ﴿مَجْهُومٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦].

(٢) أخرج الطبري (٢٣٠٣) بإسناد حسن إلى قتادة قال: قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]، والذين ظلموا مشركو قريش يقول: إنهم سيحتجون عليكم بذلك، فكانت حججتهم على نبي الله ﷻ - انصرافه إلى البيت الحرام - أنهم قالوا: سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك كله.

ذكر **رَبَّنَا** جملة آثار ثم قال: فقد أبان تأويل من ذكرنا تأويله من أهل التأويل قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]، عن صحة ما قلنا في تأويله، وأنه استثناءٌ على معنى الاستثناء المعروف، الذي ثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفيًا عما قبله، كما [هو] قول القائل: (ما سار من الناس أحدٌ إلا أخوك)، إثبات للأخ من السير ما هو منفيٌّ عن كل أحد من الناس.

فكذلك قوله: ﴿لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠]، نفي عن أن يكون لأحد خصومةٌ وجدلٌ قبل رسول الله ﷺ ودعوى باطل، عليه وعلى أصحابه، بسبب توجيههم في صلاتهم قبل الكعبة - إلا الذين ظلموا أنفسهم من قريش، فإن لهم قبلهم خصومةٌ ودعوى باطلاً بأن يقولوا: إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا لأننا كنا أهدى منكم سبيلاً وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت المقدس على ضلال وباطل.

وإذا كان ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل، فبين خطأ قول من زعم أن معنى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]: ولا الذين ظلموا منهم، وأن (إلا) بمعنى (الواو).

لأن ذلك لو كان معناه، لكان النفي الأول عن جميع الناس - أن يكون لهم حجة على رسول الله ﷺ وأصحابه في تحولهم نحو الكعبة بوجههم - مبيناً عن المعنى المراد، ولم يكن في ذكر قوله بعد ذلك: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] إلا التلبس الذي يتعالى عن أن يضاف إليه أو يوصف به.

هذا مع خروج معنى الكلام - إذا وجهت (إلا) إلى معنى (الواو)، ومعنى العطف - من كلام العرب. وذلك أنه غير موجودة (إلا) في شيء من كلامها بمعنى (الواو)، إلا مع استثناء سابق قد تقدمها. كقول القائل: (سار القوم إلا عمرًا إلا أخاك)، بمعنى: إلا عمرًا وأخاك، فتكون (إلا) حينئذ مؤدية عما تؤدي عنه (الواو)، لتعلق (إلا) الثانية بـ (إلا) الأولى، ويجمع فيها أيضًا بين (إلا) و (الواو) فيقال: «سار القوم إلا عمرًا وإلا أخاك»، فتحذف إحداهما، فتنوب الأخرى عنها، فيقال: «سار القوم إلا

عمراً وأخاك - أو إلا عمراً إلا أخاك»، لما وصفنا قبل.

وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز لمدَّعٍ من الناس أن يدَّعي أن (إلا) في هذا الموضوع بمعنى (الواو) التي تأتي بمعنى العطف.

وواضحٌ فساد قول من زعم أن معنى ذلك: إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم لا حجة لهم، فلا تخشوهم. كقول القائل في الكلام: «الناس كلهم لك حامدون إلا الظالم **[لك] المعتدي عليك**»، فإن ذلك لا يعتد بعدوانه ولا بتركة الحمد، لموضع العداوة. وكذلك الظالم لا حجة له، وقد سمي ظالماً لإجماع أهل التأويل على تخطئة ما ادعى من التأويل في ذلك. وكفى شاهداً على خطأ مقالته إجماعهم على تخطئتها.

وظاهرُ بطلان قول من زعم أن: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ **[البقرة: ١٥٠]** ههنا، ناسٌ من العرب كانوا يهوداً ونصارى، فكانوا يحتجون على النبي ﷺ، فأما سائر العرب، فلم تكن لهم حجة، وكانت حجة من يحتج منكسرة. لأنك تقول لمن تريد أن تكسر عليه حجته: (إن لك عليّ حجة ولكنها منكسرة، وإنك لتحتج بلا حجة، وحجتك ضعيفة). ووجه معنى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ **[البقرة: ١٥٠]** إلى معنى: إلا الذين ظلموا منهم، من أهل الكتاب، فإن لهم عليكم حجة واهية أو حجة ضعيفة، ووهي قول من قال: (إلا) في هذا الموضوع بمعنى (لكن)، وضعف قول من زعم أنه ابتداء بمعنى: إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم.

لأن تأويل أهل التأويل جاء في ذلك بأن ذلك من الله ﷻ خبرٌ عن الذين ظلموا منهم: أنهم يحتجون على النبي ﷺ وأصحابه بما قد ذكرنا، ولم يقصد في ذلك إلى الخبر عن صفة حجّتهم بالضعف ولا بالقوة - وإن كانت ضعيفةً لأنها باطلة - وإنما قصد فيه الإثبات للذين ظلموا، ما قد نفى عن الذين قبل حرف الاستثناء من الصفة.



س: ما الشيء المتوقع أن يخشى من: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ **[البقرة: ١٥٠]** في قوله تعالى:

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ **[البقرة: ١٥٠]**؟

ج: هو جدل الذين ظلموا ومحاجبتهم بالباطل في قولهم: إن محمداً رجع إلى

قبلتنا وسيرجع إلى ديننا.

وقال الطبري رحمه الله: وأما قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] في حجتهم وجدالهم وقولهم ما يقولون في أن محمداً ﷺ قد رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا - أو أن يقدروا لكم على ضرر في دينكم أو صدكم عما هداكم الله تعالى ذكره له من الحق، ولكن اخشوني فخافوا عقابي في خلافكم أمري إن خالفتموه. وذلك من الله جل ثناؤه تقدماً إلى عباده المؤمنين بالحض على لزوم قبلتهم والصلاة إليها وبالنهاي عن التوجه إلى غيره، يقول جل ثناؤه واخشوني أيها المؤمنون في ترك طاعتي فيما أمرتكم به من الصلاة شطر المسجد الحرام.



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]؟

ج: قال الطبري رحمه الله: ومن حيث خرجت من البلاد والأرض، وإلى أي بقعة شخِصت فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث كنت يا محمد والمؤمنون فولوا وجوهكم في صلاتكم شطره، واتخذوه قبلة لكم كيلا يكون لأحد من الناس - سوى مشركي قريش - حجة، ولأتم بذلك - من هدايتي لكم إلى قبلة خليلي إبراهيم عليه السلام الذي جعلته إماماً للناس - نعمتي فأكمل لكم به فضلي عليكم وأتمم به شرائع ملتكم الحنيفية المسلمة التي وصيت بها نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم، وذلك هو نعمته التي أخبر جل ثناؤه أنه متمها على رسوله ﷺ والمؤمنين به من أصحابه.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠] يعني: وكي ترشدوا للصواب من القبلة، و﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿وَلَا تَمَّ نِعْمِي عَلَيْكُمْ﴾، و﴿وَلَا تَمَّ نِعْمِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠] والله تعالى أعلم.



س: ما تمام النعمة المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّيْ عَلَيْهِمُ﴾ [البقرة: ١٥٠]؟
 ج: تمام النعمة هنا بالأمر بالتوجه إلى قبلة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهي الكعبة، والله تعالى أعلم.



س: ما فائدة تكرار قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠] ثلاث مرات:
 الأولى: في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهُ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].
 والثانية: في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ...﴾ [البقرة: ١٤٩].
 والثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾ [البقرة: ١٥٠].
 ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال نورد منها ما يلي:

﴿القول الأول﴾: أن هذا للتأكيد لأن الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام وترك التوجه للمسجد الأقصى هو أول ناسخ في الإسلام فمن ثم أكد عليه بالتكرير ثلاث مرات، وليحسم هذا التأكيد طمع أهل الكتاب في رجوع المسلمين إلى قبلتهم.
 ﴿القول الثاني﴾: أن الأمر الأول لمن هم في مكة، والثاني لمن هم في بقية الأمصار، والثالث لمن خرج في الأسفار^(١).

﴿والقول الثالث^(٢)﴾: أن ذلك دُكر لتعلقه بما قبله أو بعده من السياق، فقال

(١) ويستثنى منه على ما تقدم المسافر الذي يصلي النافلة على الراحلة، فله أن يصلي على الراحلة حيثما توجهت به.

(٢) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير .

أولاً: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] إلى قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فذكر في هذا المقام إجابته إلى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها، وقال في الأمر الثاني: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩]، فذكر أنه الحق من الله، وارتقاءه المقام الأول حيث كان موافقاً لرضا رسول الله ﷺ فيبين أنه الحق أيضاً من الله يحبه ويرضيه، وذكر في الأمر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول إلى قبلتهم وقد كانوا يعلمون بما في كتبهم أنه سيصرف إلى قبلة إبراهيم غ إلى الكعبة، وكذلك مشركو العرب انقطعت حجتهم لما صُرف الرسول ﷺ عن قبلة اليهود إلى قبلة إبراهيم غ التي هي أشرف، وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول ﷺ إليها، وقيل غير ذلك من الأجوبة عن حكمة التكرار، هذا وقد قال الرازي رحمه الله: (٤ / ١٢٤):

اعلم أن أول ما في هذه الآية من البحث أن الله تعالى قال قبل هذه الآيات: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وذكر ههنا ثانياً قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩] ثم ذكر ثالثاً قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠] فهل في هذا التكرار فائدة أم لا؟ وللعلماء فيه أقوال:

أحدها: أن الأحوال ثلاثة:

أولها: أن يكون الإنسان في المسجد الحرام.

وثانيها: أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد.

وثالثها: أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض، فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى، والثانية على الثانية، والثالثة على الثالثة، لأنه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للبعد، فلأجل إزالة هذا الوهم كرر الله تعالى هذه الآيات.

والجواب الثاني: أنه سبحانه إنما أعاد ذلك ثلاث مرات لأنه علق بها كل مرة فائدة زائدة أما في المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد ﷺ وأمر هذه القبلة حق، لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل، وأما في المرة الثانية فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق، وشهادة الله بكونه حقاً مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً، وأما في المرة الثالثة فبين أنه إنما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

والجواب الثالث: أنه تعالى قال في الآية الأولى: ﴿فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] فكان ربما يخطر ببال جاهل أنه تعالى إنما فعل ذلك طلباً لرضا محمد ﷺ لأنه قال: ﴿فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [البقرة: ١٤٩] أي: نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك، بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق الذي لا مَحِيدَ عنه، فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل كقبلة اليهود المنسوخة التي إنما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل، ثم إنه تعالى قال ثالثاً: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠]، والمراد دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات،

ولا تولوا فيصير ذلك التولي سبباً للطعن في دينكم، والحاصل: أن الآية السالفة أمر بالدوام في جميع الأمكنة، والثانية أمر بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة، والثالثة أمر بالدوام في جميع الأزمنة، وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخاً ألبتة.

والجواب الرابع: أن الأمر الأول مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبله أبيهم إبراهيم عليه السلام، والثاني مقرون بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهَا﴾ **[البقرة: ١٤٨]** أي: لكل صاحب دعوة وملة قبله يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله أنها حق، وذلك هو قوله: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ﴾ **[البقرة: ١٤٩]**.

والثالث: مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمر القبلة. فكانت هذه عللاً ثلاثاً قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة، نظيره أن يقال: الزم هذه القبلة فإنها القبلة التي كنت تهواها، ثم يقال: الزم هذه القبلة فإنها قبلة الحق لا قبلة الهوى، وهو قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ﴾ ثم يقال: الزم هذه القبلة فإن في لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك.

وهذا التكرار في هذا الموضوع كالتكرار في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ آيَةٍ رِيكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ **[الرحمن: ٣٠]**، وكذلك ما كرر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ **[الشعراء: ١٢١]**.

والجواب الخامس: أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا؛ فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البيّنات.



MOSTAFAALADWY.COM

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ
 آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
 وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي
 أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

معناها	الكلمة
يطهرکم من ذنابل الأخلاق، ومن: الشرك، وسائر الأذناس، وأفعال الجاهلية، وقد تقدم معناها كذلك.	﴿يُزَكِّيكُمْ﴾



MOSTAFAALADINI.COM

س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥١]؟**
ج: المعنى - والله أعلم :- ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلت فيكم رسولاً منكم،
ويحتمل المعنى أيضاً: كما أتممت عليكم نعمتي فكذلك أرسلت فيكم رسولاً منكم.

❁ **أو بتعبير آخر:** أي: كما أنعمت عليكم بإجابة دعوة خليلي إبراهيم لكم إذ دعا فقال: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقال: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فأرسلت فيكم رسولاً منكم، فكما أرسلت فيكم رسولاً منكم فكذلك أتممت عليكم هدايتي بأن وجهتكم إلى قِبله إبراهيم ﷺ.

❁ وهناك قول آخر، حاصله: أن المعنى: كما أني أرسلت فيكم رسولاً منكم مشهوراً بالصدق، فاذكروني بالتوحيد والتصديق به أذكركم.

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك:

قال الطبري رحمه الله: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ﴾ [البقرة: ١٥١]، ولأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع ملتكم الحنيفية، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم ﷺ، فأجعل لكم دعوته التي دعاني بها ومسألته التي سألتها فقال: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، كما جعلت لكم دعوته التي دعاني بها، ومسألته التي سألتها فقال: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فابتعثت منكم رسولي الذي سألتني إبراهيم خليلي وابنه إسماعيل، أن أبعثه من ذريتهما.

ف ﴿ كَمَا ﴾ - إذ كان ذلك معنى الكلام - صلة لقول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُتَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٠]. ولا يكون قوله: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥١]، متعلقاً بقوله: ﴿ فَأَذْكُرُوا أَنَا ذِكْرَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقد قال قوم: إن معنى ذلك: فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولا منكم أذكركم. وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير، فأغرقوا النزاع، وبعثوا من الإصابة، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف. وسوى وجهه المفهوم.

وذلك أن الجاري من الكلام على ألسن العرب، المفهوم في خطابهم بينهم - إذا قال بعضهم لبعض: (كما أحسنت إليك يا فلان فأحسن) - أن لا يشترطوا للآخر، لأن (الكاف) في (كما) شرط، معناه: افعل كما فعلت. ففي مجيء جواب ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [البقرة: ٢٥١] بعده، وهو قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٥١]، أوضح دليل على أن قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ من صلة الفعل الذي قبله، وأن قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٥١] خبر مبتدأ منقطع عن الأول، وأنه من سبب قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١] بمعزل.

وقد زعم بعض النحويين أن قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [البقرة: ٢٥١] - إذا جعل قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١] جوابا له، مع قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ - نظير الجزاء الذي يجاب بجوابين، كقول القائل: «إذا أتاك فلان فأته ترضه»، فيصير قوله: «فأته» و «ترضه» جوابين لقوله: «إذا أتاك»، وكقوله: «إن تأتني أحسن إليك أكرمك».

وهذا القول وإن كان مذهبا من المذاهب، فليس بالأسهل الأوضح في كلام العرب. والذي هو أولى بكتاب الله ﷻ أن يوجه إليه من اللغات، الأوضح الأعراف من كلام العرب، دون الأنكر الأجهل من منطقتها. هذا، مع بعد وجهه من المفهوم في التأويل.

❦ وقال الزمخشري رحمه الله^(١): ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ [البقرة: ١٥١] إما أن يتعلق بما قبله أي: ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول، أو بما بعده أي: كما ذكرتمكم بإرسال الرسول ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالطاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٥١] بالثواب.

(١) والزمخشري معروف بالاعتزال فليتق منه ما كان في هذا الباب.

❁ وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتتامة ليس ذلك ببدع من إحساننا ولا بأوله، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم وتماماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم تعرفون نسبه وصدقه وأمانته وكمالته ونصحه.



س: من المخاطبون بقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ... ﴾ [البقرة: ١٥١]؟ ومن هو هذا الرسول؟

ج: المخاطبون بذلك هم العرب، وهذا الرسول هو محمد ﷺ.

❁ قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥١] فإنه يعني بذلك العرب، قال لهم جل ثناؤه: الزموا أيها العرب طاعتي وتوجهوا إلى القبلة التي أمرتكم بالتوجه إليها لتقطع حجة اليهود عنكم فلا تكون لهم عليكم حجة، ولأتم نعمتي عليكم وتهندوا كما ابتدأتكم بنعمتي فأرسلت فيكم رسولا منكم، وذلك الرسول الذي أرسله إليه منهم محمد ﷺ.



س: في قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١] وجه إعجاز وضحته؟

ج: إيضاحه أن هذا النبي ﷺ رغم كونه أمياً فإنه علم العرب ما لم يكونوا يعلمون.



س: وضح شيئاً مما يتعلق بقوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١]؟

ج: قال الطبري ❁ في معناها:

وأما قوله: ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١]، فإنه يعني: ويعلمكم

من أخبار الأنبياء وقصص الأمم الخالية والخبر عما هو حادث وكائن من الأمور التي لم تكن العرب تعلمها، فعلموها من رسول الله ﷺ. فأخبرهم جل ثناؤه أن ذلك كله إنما يدركونه برسوله ﷺ.

❦ وقال الشيخ عبد القادر بن شيبه الحمد في تفسيره: وقوله ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، هذه صفة زائدة على الصفات السابقة وفيها إشارة إلى معجزة كبرى من معجزات رسول الله ﷺ حيث علم أمته ﷺ أصدق أخبار الأمم الماضية وعرفهم ما كان من الحوادث السابقة وما يكون من الحوادث اللاحقة، ووضع لهم أحسن الأنظمة التي أرشده الله إليها، الصالحة لكل زمان ومكان وجيل وقبيل، والتي لم تعرفها الإنسانية في تاريخها الطويل، مما يعترف بفضلها الأصدقاء والأعداء حتى بدأت أوربا في وقت نهضتها الحديثة تأخذ ببعض التعاليم الإسلامية التي ما كانت تعرفها، وقد رأت أن شريعة الإسلام أوفى من سائر الأنظمة بها حتى شملت الشفعة وغيرها، ونحن نعلم علم اليقين أن رسول الله ﷺ علمنا كل شيء نحتاجه في معاشنا أو معادنا حيث علمنا ﷺ ماذا نقول إذا استيقظنا من نومنا وماذا نقول عند منامنا، وماذا نفعل أو نقول عند دخول منازلنا أو تناول طعامنا أو شرابنا وسائر حاجتنا، وماذا نقول عند ركوب مراكبنا أو في سفرنا أو حضرنا، حتى قال بعض المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: لقد علمكم نبيكم كل شيء، فقد روى مسلم في «صحيحه» من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم. وفي لفظ لمسلم عن سلمان رضي الله عنه قال: قال لنا المشركون: إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة فقال: أجل، إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه، أو يستقبل القبلة، ونهى عن الروث والعظام وقال: «لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار». اهـ. وقد صار أصحاب رسول الله ﷺ أئمة الدنيا في العلم، وورثوا ذلك للدنيا حتى كان عظماء أوربا يفتخر أحدهم بالذهاب إلى الأندلس ليشهد بعض

حلقات العلم على علمائها، وبعد أن كان العرب أشد الناس جهلاً وأبعدهم ضلالة صاروا أعمق الناس علمًا وأبرهم قلوبًا وأقلهم تكلفًا وأصدقهم لهجة.

س: ما المراد بذكر العباد لربهم وذكر ربهم لهم في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

[البقرة: ١٥٢]؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بذكر العباد لربهم في هذا الموطن طاعتهم لله ﷻ، والمراد بذكر الله لهم رحمته إياهم ومغفرته لهم، والذي يظهر لي - والعلم عند الله تعالى - أن المراد بالذكر هنا أعم من ذلك، فيدخل فيه الذكر باللسان أيضًا، فقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم...»^(١).

هذا وقد أورد الرازي رحمه الله أوجهًا للعلماء في هذا الموطن، فقال رحمه الله: ثم للناس في هذه الآية عبارات:

الأولى: اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي.

الثانية: اذكروني بالإجابة والإحسان، وهو بمنزلة قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[غافر: ٦٠]، وهو قول أبي مسلم قال: أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين وراجين خائفين، ويخلصوا الذكر له عن الشركاء، فإذا هم ذكروه بالإخلاص في عبادته وربوبيته ذكرهم بالإحسان والرحمة والنعمة في العاجلة والآجلة.

الثالثة: اذكروني بالثناء والطاعة أذكركم بالثناء والنعمة.

الرابعة: اذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة.

الخامسة: اذكروني في الخلوات أذكركم في الفلوات.

السادسة: اذكروني في الرخاء أذكركم في البلاء.

السابعة: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعوثتي.

(١) الحديث أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣ / ٣٨٤)، ومسلم (مع النووي ١٧ / ٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: ...» فذكر الحديث.

الثامنة: اذكروني بمجاهدتي أذكركم بهدايتي.

التاسعة: اذكروني بالصدق والإخلاص أذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص.

العاشر: اذكروني بالربوبية في الفاتحة أذكركم بالرحمة والعبودية في الخاتمة.

س: ما المراد بالشكر في قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]؟

وكذلك ما المراد بالكفر هنا؟ ثم ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]؟

ج: أما المراد بالشكر فهو صرف النعمة في طاعة الله ﷻ وحمد الله ﷻ عليها، والكفر هنا - الذي يظهر أن - المراد به جحد النعمة وصرافها في معصية الله ﷻ؛ وذلك لاقترانته بالشكر في قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ [البقرة: ٢٥١].

❁ أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] فيقول الطبري رحمته:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

يعني تعالى ذكره بذلك: اشكروا لي أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم من الإسلام، والهداية للدين الذي شرعته لأنبيائي وأصفيائي، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ٢٥١]، يقول: ولا تجحدوا إحساني إليكم، فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها، وأزيدكم فأتمم نعمتي عليكم، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادي، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته، ومن كفرني حرمته وسلبته ما أعطيته.

والعرب تقول: (نصحت لك، وشكرت لك)، ولا تكاد تقول: (نصحتك)، وربما

قالت: (شكرتك ونصحتك)، من ذلك قول الشاعر:

هُمُ جَمَعُوا بُؤْسِي وَنُعْمِي عَلَيْكُمْ فُهَلَا شَكَرْتَ الْقَوْمَ إِذْ لَمْ تُقَاتِلِ

وقال النابغة في (نصحتك):

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح لديهم وسائلي

وقد دللنا على أن معنى (الشكر): الشاء على الرجل بأفعاله المحموده، وأن معنى «الكفر»: تغطية الشيء، فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا.



س: مزيد النعم يستلزم مزيداً من الشكر دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

✽ لما اصطفى الله ﷻ مريم ؑ اصطفاً بين وطهرها تطهيراً أمرها بالقنوت والسجود والركوع مع الراكعين كما قال سبحانه: ﴿يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَكَ وَطَهَّرَكَ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [٤٢] يَمْرِمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ✽
[آل عمران: ٤٢، ٤٣]

✽ ولما أنعم الله على نبينا محمد ﷺ بالرسالة قال له: ﴿يَأَيُّهَا الْمُرْسَلُ (١) قُرْ آيَاتِنَا إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصَفَهُ، وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤: ١]، وكان غ يقوم من الليل حتى ترم قدماه ويقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

✽ ولما منَّ الله سبحانه على موسى بتكليمه واصطفائه على الناس بالرسالة والتكليم قال له: ﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

✽ ولما منَّ الله على يحيى عليه السلام بالنبوة قال له: ﴿يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾

[مريم: ٢١]

✽ ولما أنعم الله ﷻ على نساء نبيه ﷺ بالزواج من رسول الله ﷺ قال لهن: ﴿يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وقبلها قال تعالى: ﴿يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [٣٠] ✽ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَفْعَلْ لِيٍّ وَرَسُولِهِ، وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٠]

❁ ولما أنعم الله ﷻ على نبيه وبشره بالكوثر كلفه بالصلاة والنحر، فقال تعالى:
﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر: ١، ٢].

❁ وأنعم الله على نبيه بالغنى بعد الفقر والهدى بعد الضلال وإيوائه وهو يتيم، ثم كلفه بأن لا يقهر اليتيم ولا ينهر السائل وأن يحدث بنعمة ربّه عليه، كما هو وارد في سورة الضحى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾.

[الضحى: ٦ : ١١]

❁ ومن الله ﷻ على ساكني قريش بالأمن فكلفهم بعبادته فقال: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾ [قريش: ١ - ٤].



س: هل يشرع الذكر بلفظ الجلالة مفردًا (الله)؟

ج: لا يشرع الذكر بلفظ الجلالة مفردًا، إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ والله تعالى أعلم.



س: اذكر بعض أنواع الذكر وثمرتها؟

ج: قال ابن جزى الكلبي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تفسيره»:

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسييح والتكبير، والحمد، والحوقة، والحسبة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار، وغير ذلك. ولكل ذكر خاصيته وثمرته.

وأما التهليل: فثمرته التوحيد: أعني التوحيد الخاص، فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال، وأما الحمد

والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاثة مقامات، وهي الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة. فإن المحسن محبوب لا محالة، وأما الحوقلة والحسبلة: فثمرتهما التوكل على الله والتفويض إلى الله، والثقة بالله، وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك: فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي ﷺ: فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته، وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

وقال ابن القيم (١) رحمه الله: كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكراً لله ﷻ بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاها، وكان أمره ونهيه ونشريعته للأمة ذكراً منه الله، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعدته ووعدته ذكراً منه له، وثناؤه عليه بالآله، وتمجيده وتسيحه ذكراً منه له، وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكراً منه له، وسكوته وصمته ذكراً منه له بقلبه فكان ذكر الله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه دائماً وقاعداً وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وطمعه وإقامته.



س: بم يتوصل الشخص إلى نعمة الله عليه؟

ج: يتوصل إلى ذلك بأمور منها:

❁ دعاء الله ﷻ بذلك: كما قال النبي ﷺ لمعاذ: «لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

❁ ويتوصل بالإكثار من الصلوات والسجود، فقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى ترم قدماه ويقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

(١) زاد المعاد (٢ / ٣٦٥) فصل في هديه ﷺ في الذكر.

❁ وقال في سجدة ﷺ: «سجدها داود توبة ونسجدها شكراً».

❁ ويتوصل أيضاً بالرضا بقضاء الله ﷻ، قال الله ﷻ لموسى: ﴿فَخُذْ مَاءً آتَيْتَكَ

وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿الأعراف: ١٤٤﴾.

❁ حمد الله وشكره والعمل بطاعته بعد حلول النعم، كما قال الله سبحانه لقوم

سبأ: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿سبأ: ١٥﴾.



MOSTAFAALADWIY.COM

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ
 اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ
 ﴿١٥٧﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
 وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
 الصَّابِرِينَ ﴿١٥٨﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا
 لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٩﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
 مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٦٠﴾

معناها	الكلمة
اطلبوا العون.	(اسْتَعِينُوا) ❖
ولنختبرنكم.	(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) ❖
قيل: المراد: مغفرة من ربهم، وقيل: المراد: الشفاء والمدح، وقيل: إعلاء المنزلة.	(صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ) ❖



س: على ماذا يستعان بالصبر والصلاة في هذا الموطن: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]؟

ج: يستعان بالصبر والصلاة في هذا الموطن على ما تقدم هذه الآية وما تأخر عنها، فتكون الاستعانة على طاعة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وامثال أوامره واتباع ناسخ أحكامه والصبر على منسوخها.

وتكون الاستعانة بالصبر والصلاة كذلك على ما يصيبكم من قتل وجراح عند جهادكم أعداء الله، والصبر على أقدار الله عز وجل في ذلك، والاستعانة على ما تصابون به من خوف وجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

﴿قال الطبري﴾: وهذه الآية حُضُّ من الله تعالى ذكره على طاعته، واحتمال مكروها على الأبدان والأموال، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] على القيام بطاعتي، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذي أحدثه لكم من فرائضي، وأنقلكم إليه من أحكامي، والتسليم لأمري فيما أمركم به في حين إلزامكم حكمه، والتحول عنه بعد تحويلي إياكم عنه - وإن لحقكم في ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل، أو مشقة على أبدانكم في قيامكم به، أو نقص في أموالكم - وعلى جهاد أعدائكم وحرهم في سبيلي، بالصبر منكم لي على مكروه ذلك ومشقته عليكم، واحتمال عنائه وثقله، ثم بالفرع منكم فيما ينوبكم من مفضعات الأمور إلى الصلاة لي. فإنكم بالصبر على المكاره تدركون مرضاتي، وبالصلاة لي تستنجحون طلباتكم قبلي، وتدركون حاجاتكم عندي، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصي، أنصرهم وأرعاهم وأكلؤهم، حتى يظفروا بما طلبوا وأمّلوا قبلي.



س: ما وجه الاستعانة بالصلاة في قوله تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]؟

ج: قيل: إن المراد الاستعانة بثوابها، وقيل: المراد الاستعانة بذكر الله ﷻ فيها،

وقيل: الاستعانة بما يتلى فيها من قرآن، والله أعلم.



س: كثيراً ما يقرن الله سبحانه وتعالى بين الصبر والصلاة في موطن واحد، اذكر بعض المواطن التي ورد فيها ذكر الصبر مقروناً بالصلاة؟

ج: من هذه المواضع قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرِينَ﴾ [١١٤] وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [هود: ١١٤، ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [٣٩] وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ ﴿ [ق: ٣٩، ٤٠].

وقال الإمام ابن تيمية في كتابه «السياسة الشرعية»: وأعظم عون لولي الأمر خاصة، ولغيره عامة ثلاثة أمور:

أحدها: الإخلاص لله، والتوكل عليه بالدعاء وغيره. وأصل ذلك المحافظة على الصلاة بالقلب والبدن.

والثاني: الإحسان إلى الخلق بالنفع والمال الذي هو الزكاة.

والثالث: الصبر على الأذى من الخلق وغيره من النوائب. ولهذا يجمع الله بين الصلاة والصبر كثيراً، كقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرِينَ﴾ [١١٤] وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [هود: ١١٤، ١١٥]، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [إطه: ١٣٠]، وأما قرانه بين الصلاة والزكاة في القرآن فكثير جداً. فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية. إذا عرف الإنسان ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة، يدخل في الصلاة من ذكر الله تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه، وفي الزكاة الإحسان إلى الخلق بالمال والنفع: من نصر المظلوم

وإعانة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج. وفي الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الشر والبطر. انتهى، نقله القاسمي.



س: ما نوع المعية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]؟

ج: المعية هنا معية نصر وتأيد.

قال الطبري رحمته: وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] فإن تأويله: فإن الله ناصرهم وظهيرهم وراضٍ بفعله، كقول القائل: (افعل يا فلان كذا وأنا معك)، يعني: إني ناصرك على فعلك ذلك ومعينك عليه.

وقال القاسمي رحمته: (محاسن التأويل ص ٣١٧..).

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] قال الإمام ابن تيمية (في شرح حديث النزول): لفظ المعية في كتاب الله جاء عاماً كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وفي قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] وجاء خاصاً كما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فلو كان المراد بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص. فإنه قد علم أن قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] خصهم بذلك دون الظالمين والفجار. وأيضاً، فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا في شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى. كما في قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]، وقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقوله: ﴿وَجَاهِدُوا مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥] ومثل هذا كثير. فامتنع أن يكون قوله:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] يدل على أن تكون ذاته مختلطة بذوات الخلق. وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر، وبين أن لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة، فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه. ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه. فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان. ويخص بعضهم بالإعانة والنصرة والتأييد. انتهى مختصراً.



س: لذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ [البقرة: ١٥٤]!

ج: سيأتي ذلك إن شاء الله بتفصيل في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].
وقد قال الطبري رحمه الله عند تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ [البقرة: ١٥٤].

يعني تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة على طاعتي في جهاد عدوكم، وترك معاصي، وأداء سائر فرائضي عليكم، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: هو ميت، فإن الميت من خلقي من سلبتة حياته وأعدمتة حواسه، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيمًا، فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي، أحياء عندي، في حياة ونعيم، وعيش هنيئ، ورزق سنئي، فرحين بما آتيتهم من فضلي، وحبوتهم به من كرامتي.

وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال^(١):

قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، كنا نحدث: أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض يأكلن من ثمار الجنة، وأن مساكنهم سدرة المنتهى وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاث خصال من

(١) الطبري (٢٣١٩)، والأثر كما هو واضح ليس مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.

الخير: من قتل في سبيل الله منهم صار حيًّا مرزوقًا، ومن غلب آتاه الله أجرًا عظيمًا، ومن مات رزقه الله رزقًا حسنًا.

س: عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ﴾ [البقرة: ١٥٤] يرد سؤال، وهو أن من قتل لا يجيب من خاطبه من الأحياء فكيف يوجه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ﴾ [البقرة: ١٥٤]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: ولا تقولوا عمّن قتل في سبيل الله إنهم أموات.



س: علم من سنة رسول الله ﷺ (من جملة أحاديث) أن الأموات في قبورهم يشمون رائحة الجنة وتفتح لهم أبوابها ويأتيهم من طيبها ونعيمها ويستعجلون قيام الساعة، فما هو الذي اختص الله الشهداء من خصوصية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]؟

ج: طرح الطبري رحمه الله في «تفسيره» نحو هذا السؤال وأجاب عليه فقال:

فإن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤]، من خصوصية الخبر عن المقتول في سبيل الله الذي لم يعم به غيره؟ وقد علمت تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى الجنة يشمون منها روحها، ويستعجلون الله قيام الساعة، ليصيروا إلى مساكنهم منها، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها، وعن الكافرين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى النار ينظرون إليها، ويصيبهم من نتنها ومكروهاها، ويسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يجمعهم فيها، ويسألون الله فيها تأخير قيام الساعة، حذرًا من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها، مع أشباه ذلك من الأخبار، وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله ﷺ، فما الذي خص به القتل في سبيل الله، مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة، وسائر الكفار والمؤمنين غيره أحياء في البرزخ، أما الكفار فمعدنون فيه

بالعيشة الضنك، وأما المؤمنون فمنعمون بالروح والريحان ونسيم الجنان؟
 قيل: إن الذي خص الله به الشهداء في ذلك وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يُطعمها الله أحداً غيرهم في برزخه قبل بعثه. فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿[آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]، وبمثل الذي قلنا جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبد بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، عن الحارث بن فضيل، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء» - وقال عبدة: في روضة خضراء - «يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً».

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا جابر بن نوح عن الإفريقي، عن ابن بشار السلمي - أو: أبي بشار، شك أبو جعفر - قال: أرواح الشهداء في قباب بيض من قباب الجنة، في كل قبة زوجتان، رزقهم في كل يوم طلعت فيه الشمس ثورٌ وحوث. فأما الثور ففيه طعم كل ثمرة في الجنة، وأما الحوث ففيه طعم كل شراب في الجنة.
 قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فإن الخبر عما ذكرت أن الله تعالى ذكره أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من النعمة التي خصهم بها في البرزخ، غير موجود في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وإنما فيه الخبر عن حالهم، أمواتٌ هم أم أحياءٌ.

قيل: إن المقصود بذكر الخبر عن حياتهم، إنما هو الخبر عما هم فيه من النعمة، ولكنه تعالى ذكره لما كان أنبأ عباده عما خص به الشهداء في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وعلموا

حالهم بخبره ذلك - ثم كان المراد من الله تعالى ذكره في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤]، نُهي خلقه عن أن يقولوا للشهداء: إنهم موتى - ترك إعادة ذكر ما قد بين لهم من خبرهم.

وأما قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فإنه يعني به: ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياء، وإنما تعلمون ذلك بخبري إياكم به.



س- الله ﷻ يبتلي عبادَه بأنواع من الابتلاءات في هذه الحياة الدنيا ولا بد من هذه الابتلاءات، أذكر عملة أدلة تؤكد هذا المعنى؟ وبين بعض صور هذه الابتلاءات؟

ج: من الأدلة على أن البلاء يلحق العباد في الدنيا ما يلي:

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

﴿وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١).

[البقرة: ١٥٥، ١٥٦]

﴿وقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوَنَّكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿وقال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا لِيَصْرِنَهَا مِصْبِينَ﴾ [القلم:

١٧].

﴿وقوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

(١) قال الطبري رحمته الله: وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباع رسوله ﷺ أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتنحهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياه قبلهم ووعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[التوبة: ١٦]

❁ وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

❁ وقوله تعالى في شأن خزنة جهنم: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [المدثر: ٣١].

❁ وقال سليمان عليه السلام: ﴿لَمَّا رَأَى عَرْشَ مَلِكَةٍ سَبَأَ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

أما صور هذه الابتلاءات فمنها:

❁ ابتلاءات بالخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

❁ ابتلاءات بالأمراض والأسقام.

❁ ابتلاءات بقاء الجبارة والظالمين.

❁ ابتلاءات بالناسخ والمنسوخ من الأحكام.

❁ ابتلاءات بالغنى والفقير^(١).



س: اذكر بعض فوائد المحن والابتلاءات.

ج: أورد القاسمي رحمته الله (في محاسن التأويل) نقلاً عن العز بن عبد السلام بحثاً سريعاً في ذلك فقال:

وللإمام عز الدين محمد بن عبد السلام، رحمته الله، كلام على فوائد المحن والرزايا يحسن إيراده هنا. قال عليه الرحمة: للمصائب والبلايا والمحن والرزايا فوائد تختلف باختلاف رتب الناس.

(١) وانظر في هذا كتابنا الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشرط الساعة.

أحدها: معرفة عز الربوبية وقهرها.

والثاني: معرفة ذلة العبودية وكسرها. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده وأنهم راجعون إلى حكمه وتدييره وقضائه وتقديره لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه.

والثالثة: الإخلاص لله تعالى إذ لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه. ولا معتمد في كشفها إلا عليه: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ دَعْوًا لَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

الرابعة: الإجابة إلى الله تعالى والإقبال عليه: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨].

الخامسة: التضرع والدعاء: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ [يونس: ١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَيْنَا﴾ [الإسراء: ٦٧]. ﴿بَلْ إِلَهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤١]. ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣].

السادسة: الحلم ممن صدرت عنه المصيبة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]. «إن فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى: الحلم والأناة»^(١). وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب في صغرها وكبرها، فالحلم عند أعظم المصائب أفضل من كل حلم.

السابعة: العفو عن جانيها: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] والعفو عن أعظمها أفضل من كل عفو.

الثامنة: الصبر عليها. وهو موجب لمحبة الله تعالى وكثرة ثوابه ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] «وما

(١) أخرج مسلم (حديث ١٧) ص ٤٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال للأشج - أشج عبد القيس -: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة».

أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»^(١).

التاسعة: الفرح بها لأجل فوائدها. قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:** «والذي نفسي بيده! إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء».

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: حبذا المكروهان الموت والفقر. وإنما فرحوا بها إذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة إلى ثمرتها وفائدتها، كما يفرح من عظمت أدواؤه بشرب الأدوية الحاسمة لها، مع تجرعه لمرارتها.

العاشرة: الشكر عليها لما تضمنته من فوائدها. كما يشكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه، المانع من شهواته، لما يتوقع في ذلك من البرء والشفاء.

الحادية عشرة: تمحيصها للذنوب والخطايا ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ **[الشورى: ٣٠]** ولا يصيب المؤمن وصب ولا نصب حتى الهم يهمله والشوكة يشاكها إلا كفر به من سيئاته.

الثانية عشرة: رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلوهم. فالناس معافي ومبتلى، فارحموا أهل البلاء واشكروا الله تعالى على العافية. وإنما يرحم العشاق من عشق.

الثالثة عشرة: معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها. فإن النعم لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدانها.

الرابعة عشرة: ما أعدده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها.

الخامسة عشرة: ما في طيها من الفوائد الخفية ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ **[النساء: ١٩]**. ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ **[البقرة: ٢١٦]** ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ **[النور: ١١]**.

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٤٦٩)، ومسلم (حديث ١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يُعففه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر».

ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم كان في طي تلك البلية أن أخدمها هاجر. فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فكان من ذرية إسماعيل خاتم النبيين. فأعظم بذلك من خير كان في طي تلك البلية، وقد قيل:

كَم نِعْمَةٍ مَطْوِيَةٌ لَكَ بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمَصَائِبِ

وقال آخر:

رُبَّ مَبْغُوضٍ كَرِيهٍ فِيهِ لَطَائِفُ

السادسة عشرة: أن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر، فإن نمرود، لو كان فقيراً سقيماً، فاقد السمع والبصر، لما حاج إبراهيم في ربه، لكن حملة بطر الملك على ذلك.

وقد علل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** محاجته بإتيانه الملك، ولو ابتلي فرعون بمثل ذلك لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤] ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لَطِفٌ﴾ [العلق: ٦، ٧]. ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَثَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ [هود: ١١٦] ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦، ١٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبا: ٣٤].

والفقراء والضعفاء هم الأولياء وأتباع الأنبياء. ولهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاء الأنبياء. ثم الأمثل فالأمثل. نُسِبُوا إِلَى الْجِنُونِ وَالسَّحَرِ وَالْكَهَانَةِ وَاسْتَهْزِئَ بِهِمْ وَسَخِرَ مِنْهُمْ ﴿فَصَبْرٌ وَعَلَى مَا كَذَبُوا وَأُودُوا﴾ [الأنعام: ٣٤]. وقيل لنا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلاَّ إِنَّ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرٍ وَالضَّرِيبِ﴾ [البقرة: ١٥٥] ﴿لَتَبْلُوكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

١٨٦ | كالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وتغربوا عن أوطانهم. وكثر عناهم. واشتد بلاهم وتكاثر أعداؤهم. فغلبوا في بعض المواطن، وقتل منهم بأحد وبئر معونة من قتل. وشج وجه رسول الله ﷺ. وكسرت رباعيته. وهشمت البيضة على رأسه. وقتل أعزاهه ومثل بهم. فشمت أعداؤه واغتم أولياؤه. وابتلوا يوم الخندق. وزلزلوا زلزالاً شديداً.

وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر. وكانوا في خوف دائم وعري لازم. وفقر مدقع. حتى شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع. ولم يشبع سيد الأولين والآخرين من خبر بر في يوم مرتين. وأوذى بأنواع الأذية حتى قذفوا أحب أهله إليه. ثم ابتلي في آخر الأمر بمسيلمة وطليحة والعنسي. ولقي هو وأصحابه في جيش العسرة ما لقوه، ومات ودرعه عند يهودي على أصع من شعير. ولم تنزل الأنبياء والصالحون يتعهدون بالبلاء الوقت بالوقت (يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان صلباً في دينه شدد في بلائه. ولقد كان أحدهم يوضع المنشار على مفرقه فلا يصدده ذلك عن دينه). وقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**:

«مثل المؤمن مثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء». وقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح، تصرعها مرة وتعدلها مرة حتى تهيج» فحال الشدة والبلوى مقبلة بالعبد إلى الله ﷻ. وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ **إيولس: ١١٢** | فلاجل ذلك تقللوا في المآكل والمشارب والمناكح والمجالس والمراكب وغير ذلك. ليكونوا على حالةٍ توجب لهم الرجوع إلى الله تعالى ﷻ والإقبال عليه.

السابعة عشرة: الرضا الموجب لرضوان الله تعالى. فإن المصائب تنزل بالبر والفاجر فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة، ومن رضيها فله الرضا. والرضا أفضل من الجنة وما فيها لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[التوبة: ٧٢] أي: من جنات عدن ومساكنها الطيبة.

فهذه نبذة مما حضرنا من فوائد البلوى، ونحن نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة، فلسنا من رجال البلوى.

وفقنا الله تعالى لما يحب ويرضى وعافانا من المحن والرزايا بمنه وكرمه. آمين.



س: اذكر بعض فوائد الصبر؟

ج: ذكر قلداً من ذلك ابن جزى في كتابه التسهيل فقال:

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعاً، وذلك لعظمة موقعه في الدين، قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة:

أولها: المحبة: قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [ال عمران: ١٤٦].

والثاني: النصر: قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والثالث: غرفات الجنة، قال: ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥].

والرابع: الأجر الجزيل قال: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

والأربعة الأخرى: المذكورة في هذه الآية، ففيها البشارة، قال: ﴿وَيَسِّرِ

الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] والصلاة والرحمة والهداية ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

قلت: ويضاف إلى ما سبق:

﴿تسليم الملائكة: عليهم كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ

﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

﴿الجزاء بأحسن العمل: كما قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩٦﴾ [النحل: ١٩٦].



س: اذكر بعض الأحاديث في فضل من مات له ولد فصبر واحتسب؟

ج: من هذه الأحاديث ما يلي:

- ١ - ما أخرجه البخاري^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: ما لعبيد المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيته من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة».
- ٢ - ما أخرجه الإمام أحمد^(٢) بإسناد حسن عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة قال: فيقولون: يا رب حتى يدخل أبائنا وأمهاتنا قال: فيأتون قال: فيقول الله ﷻ: مالي أراهم محبطين^(٣) ادخلوا الجنة قال: فيقولون: يا رب أبائنا وأمهاتنا قال: فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآبائكم».
- ٣ - وأخرجه ابن ماجه^(٤) بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله سبحانه: ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض ثواباً دون الجنة».
- ٤ - وأخرج مسلم^(٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتت امرأة النبي ﷺ بصبي لها فقالت: يا نبي الله ادع الله له فلقد دفنت ثلاثة قال: «دفنت ثلاثة؟!» قالت: نعم، قال: «لقد احتظرت بحظار شديد من النار».

(١) حديث (٦٤٢٤).

(٢) أحمد في المسند (٤ / ١٠٥).

(٣) أي: ممتنعين.

(٤) حديث (١٥٩٧).

(٥) مسلم (حديث ٢٦٣٦).

- ٥- وأخرج البخاري^(١)، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم».
- ٦- وأخرج البخاري^(٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم».
- ٧- وأخرج البخاري ومسلم^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، قال: «اجتمعن يوم كذا وكذا» فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله ثم قال: «ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاً من النار»، فقالت امرأة: واثنين واثنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «واثنين واثنين واثنين».
- ٨- وأخرج مسلم^(٤) بإسناده إلى أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم: «صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال: بيده، كما أخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتهاى - أو قال: فلا يتتهي - حتى يدخله الله وأباه الجنة».



- س: في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] سؤالان أولهما: ما معنى التبشير؟ الثاني: صابرون على ماذا؟
- ج: أصل التبشير إخبار الرجل الرجل الخبر يسرُّه أو يسوؤه لأول مرة والمراد

(١) البخاري (حديث ١٢٥١)، ومسلم (حديث ٢٦٣٢).

(٢) البخاري حديث (١٢٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٣)، واللفظ لمسلم.

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٣٥).

بالتبشير هنا (الإخبار بما يسر).

أما الصابرون فهم الصابرون على ما بلوتم به من أنواع البلاء، والله أعلم.



س: ما مقول الصابرين عند حلول المصيبة بهم؟

ج: مقولهم هو ما ذكره الله ﷻ في كتابه: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿البقرة: ١٥٦، ١٥٧﴾. وما سنه لهم نبيهم محمد ﷺ فيما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها»، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خيراً من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب ابن أبي بلتعة يخطبني له فقلت له: إن لي بنتاً وأنا غيور، فقال: «أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة»^(١).

س: وضح معنى قول الصابرين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]؟

ج: المعنى - والله أعلم - : إنا ممالك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعبيد له يتصرف فينا كيف يشاء ويقبض منا إليه من شاء ويؤخر من يشاء وابتلي من يشاء وينعم على من يشاء، ثم إنا بعد موتنا صائرون إليه جميعاً يقضي فينا بما يشاء.

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٦ / ٢٢٠)، وفي رواية لمسلم من حديث أم سلمة أيضاً قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات، قال: فقولي: «اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبة حسنة» قالت: فقلت، فأعقبني الله من هو خير لي منه محمد ﷺ.

هذا وقد أخرج الطبري (أثر ٢٣٣١) بإسناد صحيح عن سعيد بن جبیر رضي الله عنه قال: ما أعطي أحد ما أعطيت هذه الأمة ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴿البقرة: ١٥٦، ١٥٧﴾ ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب رضي الله عنه ألم تسمع إلى قوله: ﴿يَتَأَسَفُونَ عَلَى بُسْفٍ﴾ [يوسف: ٨٤].

وقول الصابرين هذا صادر منهم على سبيل الاعتراف والإذعان والتسليم لقضاء الله سبحانه والرضا بأحكامه، وبنحو هذا قال عدد من أهل العلم.

❁ قال الطبري رحمته: يعني تعالى ذكره: وبشر، يا محمد، الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمني، فيقرون بعبوديتي، ويوحدوني بالربوبية، ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي، فيستسلمون لقضائي، ويرجون ثوابي، ويخافون عقابي، ويقولون - عند امتحاني إياهم ببعض محني، وابتلائي إياهم بما وعدتهم أن أبتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي أنا مهتمحنهم بها: إنا ممالك ربنا ومعبودنا أحياء، ونحن عبيده وإنا إليه بعد مماتنا صائرون - تسليمًا لقضائي ورضًا بأحكامي.

❁ وقال ابن الجوزي رحمته (زاد المسير ص ١٦٢): ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦] يريدون نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَهُ زَجُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] يريدون نحن مقرون بالبعث والجزاء على أعمالنا والثواب على صبرنا.



س: ما المراد بالنقص من الأنفس، وما المراد بنقص الثمرات؟

ج: المراد - والله أعلم - بنقص الأنفس: موت الأصحاب والأقارب والأحباب، والمراد بنقص الثمرات: أن الحداثق والمزارع والبساتين لا تثبت كعادتها، أو المراد: تأخر نزول المطر، أو المراد: إصابة الثمرات بآفة، ونحو ذلك، والله تعالى أعلم.



س: ورد عن أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]: نعم العدلان ونعم العالوة ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَهُ زَجُونَ﴾ (١٥٦) ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧] فما معنى هذا الأثر؟ ومن أخرجه؟ وما مدى صحته؟

ج: العدلان هما: (الصلوات من ربهم والرحمة) وهما بمنزلة الحملين (الثقلين) يوضع كل واحد منهما في ناحية من الجمل، والعلاوة وهي ما يوضع على السنام، والمعنى: أن الصلوات من الرب تعادل قولهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦] والرحمة تعادل قولهم: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] فأعطوا ما يعادل قولهم ثم زيدوا بعلاوة وهي ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

والمعنى أنهم أعطوا ثواب أعمالهم وزيدوا أيضاً. أما الأثر فأخرجه البخاري معلقاً في كتاب الجنائز (مع الفتح ٣ / ٢٠٥) باب الصبر عند الصدمة الأولى، وقال عمر رضي الله عنه: نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ...﴾ الآية [البقرة: ١٥٦].



MOSTAFAALADUN.COM

إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ
 أَلْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ
 بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

معناها	الكلمات
الشعائر جمع شعيرة، والشعيرة: هي العلامة، ومنه إشعار الهدي، أي: تعليمه بعلامة يعرف بها أنه هدي، وشعائر الله هي: المعالم التي جعلها الله لعباده يذكرونه عندها.	(شَعَائِرِ اللَّهِ)
الحج لغة: القصد، وشرعاً: القيام بأعمال مخصوصة من: طواف، وسعي، وذهاب إلى منى، وعرفات، ومزدلفة، ورمي جمار، وحلق... إلى غير ذلك.	(حَجَّ)
اعتمر معناها: زار، والمراد شرعاً: القيام بالطواف والسعي والحلق أو التقصير.	(اعْتَمَرَ)
إثم.	(جُنَاحَ)
يسعى بينهما ذاهباً وآيياً.	(يَطَّوَّفَ بِهِمَا)
فعل خيراً.	(تَطَوَّعَ خَيْرًا)

س: ما معنى الصفا؟ وما معنى المروة؟ وما المراد بهما في الآية الكريمة ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

ج: أما الصفا: فهي الصخرة الملساء، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤].

أما المروة ففيها أقوال: منها أنها الحجارة الصغيرة، ومنها أنها حجارة بيض براقه تكون منها النار وتقدح منها النار، وتتخذ أداة كالسكين يُذبح بها، وهي صلبة. والمراد بالصفا والمروة: هنا الجبلان المعروفان بمكة اللذان يسعى بينهما الحاج أو المعتمر^(١)، والله تعالى أعلم.



س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية؟

ج: سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحهما» من طريق عروة قال: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة فقالت: بئس ما قلت يا ابن

(١) قلت: وقد أخرج الطبري بأسانيد صحيحة إلى داود بن أبي هند عن الشعبي أن وثناً كان في الجاهلية على الصفا يسمى (إسافاً) ووثناً على المروة يُسمى (نائلة)، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان قال المسلمون: إن الصفا والمروة إنما كان يُطاف بهما من أجل الوثنين، وليس الطواف بهما من الشعائر قال: فأنزل الله: ﴿إِنَّهَا مِنَ الشَّعَائِرِ﴾ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا [البقرة: ١٥٨]، وهذا إسناد مرسل كما هو واضح، فالشعبي لم يدرك رسول الله ﷺ.

وذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن إسافاً ونائلة كانا بشرين زنيا داخل الكعبة فمسخا حجرتين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عبداً ثم حولا إلى الصفا والمروة فنصبها هنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وحيث ينبيخ الأشعر من ركابهم لمفضي السيول من إساف ونائل

نقله ابن كثير رحمته الله.

قلت (مصطفى): ومثل هذا النقل يحتاج إلى دليل صحيح، والله أعلم.

أختي، إن هذه الآية لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه ألا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها بالمشلل فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفاء والمروة، فلما أسلموا سألو رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفاء والمروة فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية. قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم يذكر أن الناس - إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة - كانوا يطوفون كلهم بالصفاء والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن قالوا: يا رسول الله كنا نطوف بالصفاء والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا والمروة، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفاء والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية. قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفاء والمروة والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعدما ذكر الطواف بالبيت.

✽ وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] ولا مانع أن تكون نزلت لسبيين. والله أعلم.



س: ما الحرج الذي كان يظن المسلمون أنهم سيقعون فيه إذا سعوا بين الصفا والمروة، ورفع الله ﷻ عنهم بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

ج: يتمثل هذا الحرج في أن الناس كانوا يطوفون في الجاهلية بين الصفا والمروة لصنمين كانا عليهما، فلما جاء الله ﷻ بالإسلام، وتركوا الأوثان والأصنام تخرجوا من الطواف بهما، هكذا ذكر بعض أهل العلم^(١)، وقد تقدم قول الشعبي رَحِمَهُ اللهُ في ذلك. وصح عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقد سئل أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية؟ فقال: نعم كنا نكره الطواف بينهما، لأنهما من شعائر الجاهلية حتى نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

❁ وصح عن ابن زيد^(٢) في قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] قال: كان أهل الجاهلية قد وضعوا على كل واحد منهما صنماً يعظمونها فلما أسلم المسلمون كرهوا الطواف بالصفا والمروة لمكان الصنمين فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] وقرأ ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وسن رسول الله ﷺ الطواف بهما.

أما عائشة رضي الله تعالى عنها فكانت تقول: إن الآية الكريمة إنما أنزلت، لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل وكان من أهل لها يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتخرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله ﷻ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] قالت عائشة: ثم قد سن رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس

(١) وصاغه بعضهم بصياغة أخرى فقال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] أي: لا حرج ولا إثم عليه أن يسعى بينهما، فإذا كان المشركون يسعون بينهما ويتمسحون بالأصنام فاسعوا أنتم لله رب العالمين ولا تتركوا الطواف بينهما خشية التشبه بالمشركين.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣٤٥) بإسناد صحيح إلى ابن زيد، وهو وإن كان صحيحاً إلى ابن زيد إلا أنه إلى رسول الله ﷺ مرسل، بل معضل لكون ابن زيد بينه وبين رسول الله ﷺ بون بعيد لكنني أرى أن هذا تفسير من ابن زيد رَحِمَهُ اللهُ لسياق الآية الكريمة.

لأحد أن يدع الطواف بهما.

❁ وروى الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد حسن^(١) إلى قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية، فكان حيي من تهامة في الجاهلية لا يسعون بينهما فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله، وكان من سنة إبراهيم وإسماعيل الطواف بينهما.

قلت: فحاصل الحرج - على ما ذكره أهل العلم - يتلخص في الآتي:

❁ منهم من كان يتحرج لكون صنمين كانا عليهما (أي: على الصفا والمروة).
❁ ومنهم من كان يتحرج لكونه أهلاً لمناة الطاغية التي عند المشلل، وكان من أهلاً لها تحرج من السعي بين الصفا والمروة.

❁ ومنهم من كان يتحرج لكونه كان لا يسعى بينهما في الجاهلية أصلاً.

قال الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال: إن الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله كما جعل الطواف بالبيت من شعائره.

فأما قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فجائز أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوَّف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي وبعضهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما في الجاهلية على ما روي عن عائشة، وأي الأمرين كان من ذلك فليس في قول الله تعالى ذكره: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية دلالة على أنه عنى به وضع الحرج عن طاف بهما من أجل أن الطواف بهما كان غير جائز بحظر الله ذلك ثم جعل الطواف بهما رخصة لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت ثم رخص فيه بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].



(١) الطبري (أثر ٢٣٤٨).

س: هل منع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ثُمَّ رَخَّصَ فِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

ج: لم نقف على نصٍّ يفيد هذا المنع، وقد نقل الطبري رحمته الله إجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت من الأوقات، والله تعالى أعلم.



س: بماذا يبدأ الساعي بين الصفا والمروة؟ هل بالصفَا أم بالمروة؟

ج: يبدأ الساعي بالصفَا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه اتجه إلى الصفا وهو يقول: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] ثم قال: «أبدأ بما بدأ الله به»^(١)، والله تعالى أعلم.



س: ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند صعود الصفا والمروة؟

ج: أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث جابر رضي الله عنه في وصف حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ... ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] «أبدأ بما بدأ الله به» فبدأ بالصفَا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوَحَّدَ الله وكَبَّرَهُ وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا^(٢).



س: هل يُشْرَعُ الدُّعَاءُ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؟

ج: نعم يُشْرَعُ ذلك، وقد تقدم في حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على الصفا

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً (حديث ١٢١٨).

والمروءة.



س: لماذا يُسرع الناس المشي في المنطقة من المسعى التي بين العلامتين الخضراوين؟

ج: يُسرع الناس المشي في هذه المنطقة لقول النبي ﷺ: «لا يُقَطَعُ الأَبْطَحُ إلا شَدًّا»^(١)، وأيضًا لما تقدم في حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ إِلَى المَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انصَبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعَدَتْ مَشَى... الحديث، والله تعالى أعلم.



س: ما أصل السعي بين الصفا والمروة؟ وما الذي ينبغي أن يستحضره الساعي بينهما؟

ج: أصله ابتداء أمر الله ﷻ به ثم إن النبي ﷺ قد سنَّه، وقد قال بعض أهل العلم: إن أصل ذلك مأخوذ من سعي هاجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بين الصفا والمروة.

قال الحافظ ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وتردادها بين الصفا والمروة متذلة خائفة وجللة مضطرة فقيرة إلى الله ﷻ حتى كشف الله كربتها وأنس غربتها وفرج شدتها وأبع لها زمزم التي ماؤها (طعام طعم وشفاء سقم) فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وأن يلتجئ إلى الله ﷻ لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم وأن يثبت عليه إلى

(١) أخرجه أحمد (٦ / ٤٠٥)، والنسائي (٥ / ٢٤٢)، والبيهقي في الكبرى (٥ / ٩٨) من طريق بديل بن ميسرة عن المغيرة بن حكيم عن صفية بنت شيبه عن امرأة مرفوعًا، وهذا إسناد صحيح، فالمرأة صحابية (إذ قد أفادت أنها رأت رسول الله ﷺ).

وقد روي الحديث (عند أحمد ٦ / ٤٠٤) وابن ماجه (٢٩٨٧) وغيرهم من طريق بديل بن ميسرة عن صفية بنت شيبه عن أم ولدٍ لشيبه أنها رأت رسول الله ﷺ... فذكرت الحديث، وفيه أن النبي ﷺ قال: «لا يقطع الأبطح إلا شَدًّا»، وهذا خلاف لا يضر سواء أثبت المغيرة أو حذف، والله أعلم.

مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليه السلام.

س: هل يشرع السعي بين الصفا والمروة تطوعاً بدون حج أو عمرة؟

ج: لا يشرع ذلك إذ لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] فيفهم منه أن من لم يحج ولم يعتمر فليس له أن يطوِّفَ بهما، والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بالتطوع في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

ج: المراد - والله تعالى أعلم :- ومن حج تطوعاً بعد قضاء حجته الواجبة عليه أو اعتمر تطوعاً (بعد العمرة الواجبة عليه عند من يرى بوجوب العمرة) فإن الله شاكر له على تطوعه ومثيبه على ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

ج: المعنى - والله أعلم :- أن الله شاكر له صنيعه الذي صنع ومثيبه عليه ومجازيه به عليم بحاله وبقلبه هل أراد بحجه وعمرته الرياء والسمعة أم حج واعتمر ابتغاء وجه الله صلى الله عليه وسلم ورجاء ثوابه وحثاً لخطاياهم وذنوبهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] أي: يثيب على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحداً ثوابه و ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].



س: هل يفهم من الآية الكريمة أنه يجوز لشخص ما أراد الحج أو العمرة ألا يسعى بين الصفا والمروة؟

ج: نعم هذا مفهوم من الآية الكريمة، لكن هذا المفهوم مردود، لأن النبي ﷺ طاف بينهما، وقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لتأخذوا مناسككم»^(١). ولم يرد أنه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** رخص لأحدٍ في ترك السعي بينهما، والله تعالى أعلم.

هذا وقد فهم عروة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** نحو هذا المفهوم المذكور في السؤال وردته أم المؤمنين عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، ففي «الصحيحين» من طريق عروة عن عائشة قال: قلت: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ **[البقرة: ١٥٨]**، قلت: فوالله ما على أحد جناح ألا يتطوف بهما فقالت عائشة: بشما قلت يا ابن أخي إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهل لها يتخرج أن يطوف بالصفاء والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا كنا نتخرج أن نطوف بالصفاء والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ **[البقرة: ١٥٨]**، قالت عائشة ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما^(٢).

✽ وأخرج البخاري من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قدم النبي ﷺ مكة فطاف بالبيت ثم صلى ركعتين ثم سعى بين الصفا والمروة، ثم تلا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ **[الأحزاب: ٢١]**.
✽ وقد ثبت في عدة طرق أن النبي ﷺ سعى بين الصفا والمروة، بل تواتر ذلك الفعل، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٦٤٣) وفي غير موضع من الصحيح ومسلم (حديث ١٢٧٧).



س: ما حكم السعي بين الصفا والمروة للحاج أو المعتمر؟

ج: لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: قول من قال: إن السعي بين الصفا والمروة ركن ولا يتم الحج ولا تتم العمرة إلا به.

الثاني: من العلماء من قال إنه واجب على الحاج والمعتمر، وإذا لم يتمكن منه الحاج أو المعتمر أراق مكانه دمًا.

الثالث: قول من قال إنه مستحب وليس بواجب ولا ركن.

أما دليل القول الثالث: فمن الآية الكريمة ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] فقال أصحاب هذا القول: إن الله ﷻ ختم الآية الكريمة بقوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٥٨] فدل ذلك على أنه تطوع وقال في صدر الآية: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فأفاد مفهومها أن من لم يطوف بهما فلا جناح عليه أيضًا.

أما دليل القول الثاني: فهو أن النبي ﷺ قد سعى بين الصفا والمروة هو وأصحابه، وقد قال ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «خذوا عني مناسككم» ولم يرد أن النبي ﷺ رخص لأحدٍ في تركه .

أما قولهم فيمن تركه أن عليه دمًا فلا أعلم دليلًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ يدل عليه أما دليل القول الثالث: فهو نحو من دليل القول الثاني مع قوله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا»^(١) .

(١) هذا الحديث مما نستخير الله ﷻ في تصحيحه فالطرق المعتادة للتصحيح (باعتبار الشواهد والمتابعات) تقتضي أن يُحسن بمجموع طرقه فقد أخرجہ الدارقطني (السنن ٢ / ٢٥٥) والبيهقي من طريقه في السنن الكبرى (٩٧ / ٥) من طريق معروف بن مشكان أخبرني منصور بن عبد الرحمن عن أمه صفية قالت: أخبرتني نسوة من بني عبد الدار اللائي أدركن رسول الله ﷺ قلن: دخلنا دار ابن أبي حسين فاطلعنا من باب مقطع فرأينا رسول الله ﷺ

وما هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك:

أثر عائشة رضي الله عنها:

✽ قال الطبري رحمته الله: (أثر ٢٣٥٣)

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لعمرى ما حج من لم يسع بين الصفا والمروة، لأن الله قال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، صحيح عن عائشة رضي الله عنها.

أثر مالك بن أنس رحمته الله:

قال الطبري رحمته الله: (أثر ٢٣٥٣ مكرر)

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال مالك بن أنس: (من نسي السعي بين الصفا والمروة حتى يستبعد من مكة فليرجع فليسع، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العمرة والهدي).

قول الإمام الشافعي رحمته الله:

قال الطبري رحمته الله: وكان الشافعي يقول: على من ترك السعي بين الصفا والمروة حتى رجع إلى بلده العود إلى مكة حتى يطوف بينهما لا يجزيه غير ذلك. حدثنا بذلك الربيع عنه.

أثر الثوري وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى:

بَوَّب الطبري رحمته الله في تفسيره باب ذكر من قال: يجزي منه دم وليس عليه عودٌ

﴿يستند في المسعى حتى إذا بلغ زقاق بني فلان موضعاً قد سماه من المسعى، استقبل الناس وقال: «يا أيها الناس اسعوا فإن المسعى قد كتب عليكم»﴾.

✽ ومعروف بن مشكان لم أقف على معتبر نصّ على توثيقه صراحة ولا على من طعن فيه بما يسقط حديثه. لكنه قد توبع، فالحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤ / ٢٣٢)، وأحمد في مسنده (٦ / ٤٢١) وغيرهم بأسانيد عن صفية بنت شيبة، وإن كان في هذه الأسانيد ضعف إلا أنها ترقى الحديث للصحة. لكن لما كان هذا الحديث من أحاديث الأحكام التي تهّم عموم أمة محمد ﷺ كنا نطمع له في أسانيد جياد، وهذا الذي لم نقف عليه، والله تعالى أعلم.

لقضائه، قال الثوري^(١) بما حدثني به علي بن سهل عن زيد ابن أبي الزرقاء عنه، وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: إن عاد تارك الطَّوَّاف بينهما لقضائه فحسن، وإن لم يعد فعليه دم.

أثر عطاء رحمه الله تعالى^(٢):

قال الطبري رحمه الله (أثر ٢٣٥٦):

حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا ابن جريج قال: قال عطاء: لو أن حاجًّا أفاض بعدما رمى جمرة العقبة فطاف بالبيت ولم يسع فأصابها - يعني: امرأته - لم يكن عليه شيء لا حج ولا عمرة من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود: (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ألا يطوِّف بهما) فعاودته بعد ذلك فقلت: إنه قد ترك سنة النبي ﷺ، قال: ألا تسمعه يقول: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا﴾ [البقرة: ١٥٨] فأبى أن يجعل عليه شيئًا.

قراءة ابن عباس رضي الله عنهما للآية الكريمة:

قال الطبري رحمه الله: (أثر ٢٣٥٧):

حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية (فلا جناح عليه ألا يطوِّف بهما).

اختيار الطبري رحمه الله:

أورد الطبري جملة آثار ثم قال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الطَّوَّاف بهما فرض واجب، وأن على من تركه العود لقضائه، ناسيًا، كان أو عامدًا، لأنه لا يُجزيه غير ذلك، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه حج بالناس، فكان مما علمهم

(١) أخرجه الطبري أثر (٢٣٥٥).

(٢) بَوَّبَ له الطبري باب ذكر من قال الطَّوَّاف بينهما تطوع ولا شيء على من تركه ومن كان يقرأ (فلا جناح عليه ألا يطوِّف بهما).

من مناسك حجهم الطوافُ بهما.

ذكر الرواية عنه بذلك:

حدثني يوسف بن سلمان قال، حدثنا حاتم بن إسماعيل قال، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: لما دنا رسول الله ﷺ من الصفا في حجه قال: «إن الصفا والمروة من شعائر الله، ابدعوا بما بدأ الله بذكره». فبدأ بالصفا فرقي عليه.

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا محمود بن ميمون أبو الحسن، عن أبي بكر ابن عياش، عن ابن عطاء عن أبيه، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «إن الصفا والمروة من شعائر الله» فأتى الصفا فبدأ بها، فقام عليها، ثم أتى المروة فقام عليها، وطاف وسعى.

فإذا كان صحيحًا بإجماع الجميع من الأمة - أن الطواف بهما على تعليم رسول الله ﷺ أمته في مناسكهم، وعمله في حجه وعمرة - وكان بيانه ﷺ لأُمَّته جُمَل ما نصَّ الله في كتابه، وفرضه في تنزيله، وأمر به مما لم يدرك علمه إلا ببيانه، لازمًا العمل به أمته، كما قد بينا في كتابنا «كتاب البيان عن أصول الأحكام» - إذا اختلفت الأمة في وجوبه، ثم كان مُختلفًا في الطواف بينهما: هل هو واجبٌ أو غير واجب - كان بينًا وجوب فرضه على من حج أو اعتمر، لما وصفنا.

وكذلك وجوب العود لقضاء الطواف بين الصفا والمروة - لما كان مختلفًا فيما على من تركه، مع إجماع جميعهم على أن ذلك مما فعله رسول الله ﷺ وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم، إذ علمهم مناسك حجهم - كما طاف بالبيت وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم، إذ علمهم مناسك حجهم وعمرتهم - وأجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لا تجزي منه فدية ولا بدلًا، ولا يجزي تاركه إلا العود لقضائه - كان نظيرًا له الطواف بالصفا والمروة، ولا تجزي منه فدية ولا جزاءً، ولا يجزي تاركه إلا العود لقضائه، إذ كانا كلاهما طوافين: أحدهما بالبيت، والآخر بالصفا والمروة.

ومن فرق بين حكمهما عكس عليه القول فيه، ثم سئل البرهان على التفرقة

بينهما.

فإن اعتل بقراءة من قرأ: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا).

قيل: ذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين، غيرُ جائز لأحد أن يزيد في مصاحفهم ما ليس فيها. وسواء قرأ ذلك كذلك قارئ أو قرأ قارئ: ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَاهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩]، (فلا جناح عليهم ألا يطوفوا به) فإن جازت إحدى الزيادتين اللتين ليستا في المصحف، كانت الأخرى نظيرتها، وإلا كان مجيز إحداهما - إذا منع الأخرى - متحكماً. والتحكم لا يعجز عنه أحدٌ.

وقد روي إنكار هذه القراءة، وأن يكون التنزيل بها، عن عائشة.

حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني مالك بن أنس، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قلت لعائشة زوج النبي ﷺ، وأنا يومئذ حديث السن: رأيت قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فما نرى على أحد شيئاً ألا يطوف بهما! فقالت عائشة: كلا! لو كانت كما تقول، كانت: (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما)، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة - وكانت مناة حذو قديد - وكانوا يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة. فلما جاء الإسلام، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: ١٥٨].

قال أبو جعفر: وقد يحتمل قراءة من قرأ: «فلا جناح عليه ألا يطوف بهما»، أن تكون «لا» التي مع «أن»، صلةً في الكلام، إذ كان قد تقدمها جحدٌ في الكلام قبلها، وهو قوله: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فيكون نظير قول الله تعالى ذكره: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٢]، بمعنى ما منعك أن تسجد، وكما قال الشاعر:

ما كان يرضى رسول الله فعلهما والطيبان أبو بكر ولا عمر

ولو كان رسم المصحف كذلك، لم يكن فيه لمحتج حجة، مع احتمال الكلام ما وصفنا. لما بينا أن ذلك مما علم رسول الله ﷺ أمته في مناسكهم، على ما ذكرنا، ولدلالة القياس على صحته، فكيف وهو خلاف رسوم مصاحف المسلمين، ومما لو قرأه اليوم قارئ كان مستحقاً العقوبة، لزيادته في كتاب الله ﷻ ما ليس منه؟

قول الحافظ ابن كثير رحمته: أورد الحافظ ابن كثير رحمته حديث: «اسعوا فإن الله

كتب عليكم السعي» ثم قال:

وقد استدلل بهذا الحديث على مذهب من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج؛ كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه، ورواية عن أحمد، وهو المشهور عن مالك.

وقيل: إنه واجب وليس بركن فإن تركه عمداً أو سهواً جبره بدم وهو رواية عن أحمد وبه يقول طائفة، وقيل: بل مستحب، وإليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين، وروي عن أنس وابن عمر وابن عباس وحكي عن مالك في العتبية.

قال القرطبي: واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٥٨] والقول

الأول أرجح لأنه ﷺ طاف بينهما، وقال: «لتأخذوا عني مناسككم» فكل ما فعله في حجته تلك واجب لا بد من فعله بالحج إلا ما خرج بدليل، والله أعلم، وقد تقدم قوله ﷺ: «اسعوا فإن الله قد كتب عليكم السعي» فقد بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله أي: مما شرع الله قال لإبراهيم في مناسك الحج.

قول القرطبي رحمه الله تعالى:

قال القرطبي رحمته: واختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا والمروة؛ فقال

الشافعي وابن حنبل: هو ركن؛ وهو المشهور من مذهب مالك؛ لقوله ﷺ: «اسعوا

فإن الله كتب عليكم السعي». خرجه الدارقطني. وكتب بمعنى أوجب؛ لقوله تعالى:

﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقوله ﷺ: «خمس صلوات كتبهن الله

على العباد». وخرج ابن ماجه عن أم ولدٍ لشيبة قالت: رأيت رسول الله ﷺ يسعي بين

الصفا والمروة وهو يقول: «لا يقطع الأبطح إلا شداً» فمن تركه أو شوطاً منه ناسياً أو

عامداً رجع من بلده أو من حيث ذكر إلى مكة، فيطوف ويسعى؛ لأن السعي لا يكون إلا متصلاً بالطواف، وسواء عند مالك كان ذلك في حج أو عمرة وإن لم يكن في العمرة فرضاً، فإن كان قد أصاب النساء فعليه عمرة وهدْيٌ عند مالك مع تمام مناسكه. وقال الشافعي عليه هديٌّ، ولا معنى للعمرة إذا رجع وطاف وسعى. وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والشعبي: ليس بواجب؛ فإن تركه أحدٌ من الحاج حتى يرجع إلى بلاده جبره بالدم؛ لأنه سنة من سنن الحج. وهو قول مالك في العتبية. وروى عن ابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وابن سيرين أنه تطوع؛ لقوله تعالى ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٥٥]. وقرأ حمزة والكسائي (يطوع) مضارع مجزوم، وكذلك ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤] الباقون «تطوع» ماضٍ؛ وهو ما يأتيه المؤمن من قبل نفسه فمن أتى بشيء من النوافل فإن الله يشكره. وشكر الله للعبد إثابته على الطاعة. والصحيح ما ذهب إليه الشافعي رحمته لما ذكرنا، وقوله عليه السلام: «خذوا عني مناسككم» فصار بياناً لمجمل الحج؛ فالواجب أن يكون فرضاً؛ كيانه لعدد الركعات، وما كان مثل ذلك إذا لم يتفق على أنه سنة أو تطوع. وقال طليبي: رأى ابن عباس قوماً يطوفون بين الصفا والمروة فقال: هذا ما أورثتكم أمكم أم إسماعيل.

قلت: وهذا ثابت ^(١) في «صحيح البخاري»، على ما يأتي بيانه في سورة «إبراهيم».

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السعي بين الصفا والمروة، فنقل الأثرم أن من ترك السعي لم يجزه حجه، ونقل أبو طالب لا شيء في تركه عمداً أو سهواً، ولا ينبغي أن يتركه، ونقل الميموني أنه تطوع.

وقال البغوي رحمه الله:

واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في

(١) قائل ذلك هو القرطبي رحمه الله.

الحج والعمرة، فذهب جماعة إلى وجوبه، وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة، وبه قال الحسن، وإليه ذهب مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أنه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين ومجاهد وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وقال الثوري وأصحاب الرأي: على من تركه دم.

وقال صديق حسن خان (في تفسيره فتح البيان):

بعد أن أورد حديث: «اسعوا فإن الله عَلَيْكُمْ كتب عليكم السعي»: ويؤيد ذلك حديث «خذوا عني مناسككم» واختار الشوكاني في جميع مؤلفاته الوجوب، وهو الراجح.



MOSTAFAALADWI.COM

اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُوْنَ مَا اَنْزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ
 وَالْهُدٰى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتٰبِ
 اُولٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللّٰعِنُوْنَ ﴿١٥٩﴾ اِلَّا
 الَّذِيْنَ تَابُوْا وَاَصْلَحُوْا وَبَيَّنُّوْا فَاُولٰٓئِكَ اَتُوْبُ
 عَلَيْهِمْ وَاَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ﴿١٦٠﴾

الكلمة	معناها
(يَكْتُمُونَ)	يخفون.
(الْبَيِّنَاتِ)	الدلالات على نبوة محمد ﷺ.
(يَلْعَنُهُمُ)	يطردهم، واللعن: الطرد.



MOSTAFARAH.COM

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٩]؟ وما هي البيّنات التي كتموها؟

ج: هؤلاء المعنيون بالآية الكريمة هم علماء اليهود وعلماء النصارى، والبيّنات التي كتموها هي ما بينه الله ﷻ من أمر محمد ﷺ ونبوته ومبعثه وصفته.



س: ما المراد بالهدى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَى﴾ [البقرة: ١٥٩]؟

ج: المراد بالهدى هنا ما أنزله الله في الكتابين (التوراة والإنجيل) من آيات وعلامات ودلالات وبيّنات هداية للناس، والله أعلم.



س: ما المراد بالناس في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ [البقرة: ١٥٩]؟ وكذلك ما المراد بالكتاب؟

ج: المراد بالناس هنا بعض الناس وهم أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لأن صفة محمد ﷻ كانت عندهم دون غيرهم.

✽ أما الكتاب فهو اسم جنس، والمراد به الكتاب، والمعني به هنا التوراة والإنجيل، والله تعالى أعلم.



س: ذكرت أن المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] هم علماء اليهود والنصارى فهل تنسحب على غيرهم أيضًا؟

ج: نعم وتنسحب على كل كاتمٍ علمًا فرض الله ﷻ بيانه للناس^(١)، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة».

(١) قال الطبري رحمه الله: وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس فإنها معني بها كل كاتمٍ علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار».

❁ وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١١٩].



س: آية من كتاب الله ﷺ تمسك بها أبو هريرة رضي الله عنه وذكر أنه لولاها ما حدثت الناس بالذي حدثهم عن رسول الله ﷺ فما هي تلك الآية؟

ج: هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُمْ فَأُولَٰئِكَ أَنُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠] فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً ثم يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشعب بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون^(١).

س: ما معنى اللعن؟ ومن اللاعنون؟

ج: أما اللعن فهو الطرد، ولعنه: أقصاه وأبعده، والمراد باللعن هنا: الطرد من رحمة الله ﷻ.

❁ أما اللاعنون^(٢) فهم الملائكة والناس أجمعون، وذلك لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]

(١) أخرجه البخاري حديث (١١٨)، ومسلم (حديث ٢٤٩٢)، وأحمد (٢ / ٢٧٤).

(٢) واللاعنون هم الذين يطلبون من الله ﷻ أن يلعن...

❁ وقد أخرج الطبري (٢٣٨٥) بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]

قال: يقول: اللاعنون من ملائكة الله ومن المؤمنين.

قلت: ويلتحق بهم الكفار أيضاً إذ يلعن بعضهم بعضاً كما قال تعالى في الآية الكريمة (المذكورة أعلاه)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١١٨]

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لِّبَعْضٍ بَعْضًا ۗ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

ومن العلماء من قال إن المراد باللاعنين هنا دواب الأرض وهوامها (كالعقارب والخنافس وغير ذلك) فقد أخرج الطبري^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأسانيدِهِ إلى مجاهد قال: (ويلعنهم اللاعنون) قال: دواب الأرض، العقارب والخنافس، يقولون: مُنْعَنَا القطر بخطايا بني آدم.

قال الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال:

(١) وأسانيد ذلك إلى مجاهد منها الصحيح ومنها دون ذلك، ومن الصحيح (٠٨٣٢) بالمتن الذي ذكرناه أعلى.

قال الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فإن قال لنا قائل: وما وجه الذين وجهوا تأويل قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ٩٥١]، إلى أن اللاعنين هم الخنافس والعقارب ونحو ذلك من هوام الأرض، وقد علمت أنها إذا جمعت ما كان من نوع البهائم وغير بني آدم، فإنما تجتمع به غير «البياء والنون»، وغير «الواو والنون»، وإنما تجتمع به «التاء» وما خالف ما ذكرنا، فتقول: «اللاعنات» ونحو ذلك؟ قيل: الأمر وإن كان كذلك، فإن من شأن العرب إذا وصفت شيئاً من البهائم أو غيرها - مما حكم جمعه أن يكون به «التاء» وبغير صورة جمع ذكران بني آدم - بما هو من صفة الأدميين، أن يجمعوه جمع ذكورهم، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١]، فأخرج خطابهم على مثال خطاب بني آدم، إذ كلمتهم وكلموها، وكما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وكما قال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

قلت: وقد استدل بعض أهل العلم بما ورد من طريق ليث بن أبي سليم عن المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمرو عن البراء بن عازب قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال: «إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعها كل دابة غير الثقلين» فتلعنه كل دابة سمعت صوته، فذلك قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] يعني: دواب الأرض، استدلوا بذلك على أن المراد به (اللاعنون) دواب الأرض وليث بن أبي سليم متكلم فيه، وأيضاً فأصل الحديث في المسند بدون هذه الزيادة، والله تعالى أعلم.

(اللاعنون) الملائكة والمؤمنون. لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين، فقال تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]، فكذاك اللعنة التي أخبر الله تعالى ذكره أنها حالة بالفريق الآخر: الذين يكتُمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس، هي لعنة الله، ولعنة الذين أخبر أن لعنتهم حالة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار، وهم «اللاعنون»، لأن الفريقين جميعاً أهل كفر.

وأما قول من قال: إن (اللاعنين) هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من ديبب الأرض وهوامها، فإنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها تقوم به الحجة. ولا خبر بذلك عن نبي الله ﷺ، فيجوز أن يقال إن ذلك كذلك.

وإذا كان ذلك كذلك، فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال: إن الدليل من ظاهر كتاب الله موجوداً بخلاف (قول) أهل التأويل، وهو ما وصفنا. فإن كان جائزاً أن تكون البهائم وسائر خلق الله، تلعن الذين يكتُمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد ﷺ ونعته ونبوته، بعد علمهم به، وتلعن معهم جميع الظلمة - فغير جائز قطع الشهادة في أن الله عنى بـ «اللاعنين» البهائم والهوام وديبب الأرض، إلا بخبر للعدر قاطع. ولا خبر بذلك، وظاهر كتاب الله الذي ذكرناه دال على خلافه.



س: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ [البقرة: ١٦٠] تابوا من ماذا، وأصلحوا

في ماذا، وبينوا ماذا؟

ج: تابوا من إثم الكتمان (كتمان الحق الذي أمروا ببيانه) وأصلحوا أحوالهم ونياتهم فآمنوا بهذا النبي وأصلحوا أحوالهم فيما بينهم وبين ربهم ﷻ وبينوا الحق الذي كتموه.

❁ وقد أخرج الطبري ^(١) بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ [البقرة: ١٦٠] يقول: أصلحوا فيما بينهم وبين الله، وبينوا الذي جاءهم من الله فلم يكتموه ولم يجحدوا به أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم.

❁ وأخرج أيضاً بإسناد صحيح ^(٢) إلى ابن زيد في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ [البقرة: ١٦٠] قال: بينوا ما في كتاب الله للمؤمنين وما سألوهم عنه من أمر النبي ﷺ وهذا كله في يهود.



س: ما معنى ﴿التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] يقول: وأنا الذي أرجع بقلوب عبدي المنصرفة عني إليّ، والرادّها بعد إدارها عن طاعتي إلى طلب محبتي، والرحيل بالمقبلين بعد إقبالهم إليّ أتغمدهم مني بعفو، وأصفح عن عظيم ما كانوا اجترموا فيما بيني وبينهم بفضل رحمتي لهم.

❁ وقال بعض أهل العلم في قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] أي: كثير التوبة على عبادي واسع الرحمة بهم أصفح عما فرط منهم من السيئات.



هل يجوز كتمان العلم أحياناً

س: هل يجب على كل شخص تبليغ ما علمه من علم لكل أحد؟

ج: لا يجب ذلك، وإنما يجب عليه أن يبلغهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم قدر استطاعته، ويتقي ما يكون سبباً لفتنتهم وصددهم عن طرق الخير.

❁ وقد قال الله ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩] أي: حيث تنفع الذكرى.

(١) أخرجه الطبري (٢٣٩٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣٩١).

❁ وقال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «لولا أن قومك حديثو عهدٍ بكفرٍ لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم»^(١).

❁ وقال عليه الصلاة والسلام: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٢).
 ❁ وهذا أبو هريرة رضي الله عنه الذي قال: لولا آية من كتاب الله ﷻ ما حدثتكم، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(٣) [البقرة: ١٥٩].
 أبو هريرة نفسه يقول: (حفظت من رسول الله ﷺ وعائين أما أحدهما فبثثه، وأما الآخر فلو بثثه لقطع مني هذا البلعوم)^(٤).

❁ وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يخطب بمنى خطبة ينبه فيها على بعض الأمور الهامة فأشار عليه عبدالرحمن بن عوف بتأجيل ذلك حتى يرجع إلى المدينة لأن المجلس يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فقد أخرج

(١) أخرجه البخاري حديث (١٥٨٥)، ومسلم (١٣٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لولا حادثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم غ، فإن قريشاً استقصرت بناءه وجعلت له خلفاً» وفي رواية: «لولا أن قومك حديث عهدٍ بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وأزفته بالأرض وجعلت له باين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم».
 (٢) أخرجه البخاري (حديث ١٠٤٤)، ومسلم (حديث ٩٠١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة ولولا آياتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً ثم يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ... إلى قوله - الرَّحِيمِ﴾ [البقرة: ١٥٩].

(٤) إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفاق بالأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون.
 (٤) قال القرطبي رحمته الله: قال علماؤنا: وهذا الذي لم يثبه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل، إنما هو مما يتعلق بأمر الفتنة.

والنص على أعيان المرتدين والمنافقين، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات والهدى، والله أعلم.

قلت: والحديث أخرجه البخاري (حديث ١٢٠).

البخاري^(١) في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أقرئ رجلاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجعت إليّ عبدالرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قدمات عمر لقد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر ثم قال: إني إن شاء الله لفائم العشية في الناس فمحذره هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم، قال عبدالرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قريك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأهل حتى تقدم المدينة فإمها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشرف الناس فتقول ما قلت فيعي أهل العلم مقاتلك ويضعوها على مواضعها، فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

❁ وقال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

❁ وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

وقال القرطبي رحمته الله بعد إيراده أثر علي: (حدثوا الناس بما يعرفون...): وهذا محمول على بعض العلوم كعلم الكلام أو ما لا يستوي في فهمه جميع العوام، فحكم العالم أن يحدث بما يفهم عنه وينزل كل إنسان منزلته، والله تعالى أعلم.

ثم قال رحمته الله: وتحقيق الآية أن العالم إذا قصد كتمان العلم عصى، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف أنه مع غيره، وأما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذا الآية وللحديث، أما أنه لا يجوز تعليم الكافر القرآن والعلم حتى يسلم، وكذلك لا يجوز تعليم المبتدع الجدل والحجاج ليجادل به أهل الحق، ولا يُعلم الخصم على

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٣٠) كتاب الحدود باب رجم الجبلي من الزنا إذا أحصنت.

خصمه حجة يقطع بها ماله، ولا السلطان تأويلاً يتطرق به إلى مكاره الرعية ولا ينشر الرخص في السفهاء فيجعلوا ذلك طريقاً إلى ارتكاب المحظورات وترك الواجبات ونحو ذلك.

قلت: وقد أخذ بعض العلماء على أنس بن مالك رضي الله عنه إبلاغه الحجاج بأشد ما عذب به رسول الله صلى الله عليه وآله أقواماً (وهو حديث العرنين) وذلك لأن الحجاج بن يوسف الثقفي استسهل كل ما يصنع أمام هذه الصورة من التعذيب، وأهمل أسباب وحيثيات التعذيب التي عذب بها رسول الله صلى الله عليه وآله العرنين، والله أعلم.

س: اذكر بعض الآيات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩]؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ مَثَاقِيلًا أُوتِيَتْكَ مَا يَأْكُوتُ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

﴿ وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مَثَاقِيلًا فَتَسَّ مَا يَشْتُرُونَ ﴾.

[آل عمران: ١٨٧]



س: الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب هل تقبل توبته؟

ج: نعم تقبل توبته لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

ولقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَعْزِمُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله حدث

أن رجلاً «قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»^(١).



س: التوبة لا يكفي فيها في بعض الأحيان قول القائل: أستغفر الله وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن التوبة إذا كانت تتعلق بالذنب الذي هو فيما بين العبد وربه يكفي فيها قول القائل: أستغفر الله أوروب اغفر لي أو نحو ذلك مما يتعلق بطلب المغفرة من الله ﷻ.

أما إذا كانت تتعلق بالذنب الذي هو فيما بين العباد أنفسهم فيلزم فيها أداء الحقوق إلى أهلها، فمثلاً إذا سرق رجلٌ مالاً من شخص يعرفه فلا يكفي أن يقول: أستغفر الله، بل عليه أن يرد المال إلى صاحبه.

كذلك إذا أفتى عالمٌ من العلماء الناس فتياً فغشهم فيها عن عمد فلا يكفي أن يقول: أستغفر الله، بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا، يدل على هذا وذاك قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] وقول النبي ﷺ عن المؤمنين إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار «فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(٣).

وكذلك من قذف امرأة بالزنا وهي بريئة لا يكفي في توبته قوله: (أستغفر الله) فالله ﷻ يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ

(١) أخرجه مسلم حديث (١٦٢١).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا».

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً.

شَهَدَةٌ أَبَدًا وَأَوْلِيَّتِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

[النور: ٤، ٥]

وهكذا ألا ترى أن الشهيد يغفر له كل ذنبٍ إلا الدين؟!؟! والله تعالى أعلم.



MOSTAFAALADWIY.COM

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ
عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٦﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿١٣٧﴾

معناها	الكلمة
يمهلون ^(١) - يؤخرون.	﴿يُنظَرُونَ﴾



(١) قال بعض أهل العلم: معناها: لا يمهلون حتى يعتذروا، وذلك كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَظِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤَدَّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿[المرسلات: ٣٥، ٣٦]﴾، وقال بعض أهل العلم: لا يمهلون ولا يؤجلون بل يلاقيهم العذاب عقب مفارقتهم الدنيا مباشرة. والله أعلم.

س: ما المراد بلعنة الله ﷻ للذين كفروا، وما المراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين لهم؟

ج: المراد بلعنة الله للكافرين: إبعاد الله ﷻ لهؤلاء الكافرين من رحمته وطردهم عنها، والمراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين للكفار: طلب الملائكة والناس أجمعين من الله ﷻ أن يلعن هؤلاء الكفار، والله تعالى أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] يدخل فيها الكفار، فهل يلعن الكافر الكافر؟

ج: ابتداءً ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالناس أجمعين في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] المؤمنون فقط، وممن قال بهذا القول قتادة رضي الله عنه فقد روى الطبري عنه بإسناد حسن^(١) أنه قال: قوله: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] يعني بـ ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ المؤمنين. قلت: وهذا المسلك الذي سلكه قتادة رضي الله عنه في تفسير الآية الكريمة مسلك ضعيف يخالفه ظاهر نص الآية الكريمة^(٢).

✽ وقريب من هذا المسلك مسلك آخر ضعيف وهو مسلك من قال: إن قوله تعالى: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] محمول على التغليب أي: أغلب الناس يلعن الكفار ووجه ضعف هذا المسلك أن أغلب الناس كفار كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] وكما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطَعَّ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا بِحُضُونِ﴾

(١) أثر رقم (٢٣٩٢).

(٢) وقد قال الطبري رحمته الله في تفسيره: وأما ما قاله قتادة من أنه عنى به بعض الناس فقول ظاهر التنزيل بخلافه، ولا برهان على حقيقته من خبر ولا نظر، فإن كان ظن أن المعنى به المؤمنين، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا أولياءهم، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر أنهم يلعنونهم في الآخرة، ومعلوم منهم أنهم يلعنون الظلمة، وداخل في الظلمة كل كافر بظلمه نفسه وجحوده نعمة ربه ومخالفته أمره.

- ١- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُورًا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿فاطر: ٣٦، ٣٧﴾ .
- ٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿الزَّخْرَف: ٧٤، ٧٥﴾ .
- ٣- قوله تعالى: ﴿ كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿النساء: ٥٦﴾ .
- ٤- قوله تعالى: ﴿ كُلِّي مِنْ كَثَبٍ سَكِئَةً وَأَحْطَتْ بِهِ، خَطِيئَتُهُ، فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ١٨١﴾ .
- ٥- قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴿المائدة: ٣٧﴾ إلى غير ذلك من الآيات.



هل يجوز لعن الكافر

- س: هل يجوز لعن كل من الآتي ذكرهم أم لا يجوز.
- الكفار جملة (أي: بصفة عامة).
- الكافر المعين (أي الكافر باسمه).
- العصاة جملة.
- العاصي المعين.
- ج: أما الكفار جملة فيجوز لعنهم لما يأتي:
- ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿البقرة: ٨٩﴾ .
- ﴿ وَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿هود: ١٨﴾ .
- ﴿ وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هٰذِهِ لَعْنَةً ﴿هود: ٩٩﴾ إلى غير

ذلك من الآيات.

وقال غير واحد من أهل العلم إنه لا خلاف في جواز لعن الكفرة جملة (أي وجه الإجمال)^(١).

✽ أما الكافر المعين ففي لعنه خلاف، فمن العلماء من منعه محتجاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] فقال هذا الفريق إننا لا ندري بم يُختم لهذا الكافر، واللعنة إنما تكون للكافر الذي مات على الكفر والعياذ بالله.

واحتج لهم أيضاً بأن النبي ﷺ لما لعن أقواماً بأعيانهم نزل قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

✽ وذهب فريق من العلماء إلى جواز لعن الكافر المعين، واحتج بعضهم بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على النبي ﷺ رجلان فكلماه فأغضباه فلعنهما.

✽ قال القاضي ابن العربي رحمته الله (أحكام القرآن ص ٥٠ / ١):

والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله كجواز قتاله وقتله.

قال: وقد روي أنه رضي الله عنه قال: «اللهم إن عمرو بن العاص هجاني قد علم أني لست بشاعر فالعنه، اللهم واهجه عدد ما هجاني»^(٢)، فلعنه وقد كان إلى الإسلام والدين والإيمان مآله، وانتصف بقوله (عدد ما هجاني) ولم يزد ليعلم العدل والإنصاف والانتصاف، وأضاف الهجو إلى الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي باب الجزاء دون الابتداء بالوصف له بذلك، كما يضاف إليه الاستهزاء والمكر والكيد، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(١) واستدل له بعض أهل العلم - إضافة إلى ما ذكر من آيات - بما رواه مالك عن داود بن الحصين أنه سمع الأعرج يقول (ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان).

(٢) أشار الحافظ ابن كثير رحمته الله إلى ضعف هذا الحديث بقوله: وقالت طائفة أخرى بل يجوز لعن الكافر المعين، واختاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج فيه بحديث فيه ضعف.

قلت: واستدل بعض أهل العلم على جواز لعن الكافر بأن النبي ﷺ لما أتى بشارب خمر ليحده قال بعض الصحابة في شأن هذا الشارب (لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك) فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله»^(١)، قالوا فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يُلعن والله تعالى أعلم.

✽ أما العصاة جملة فيجوز لعنهم لقوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:**

«لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده»^(٢).

وقوله ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»^(٣) إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الباب.

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي **رحمته الله** (أحكام القرآن): وأما لعن العاصي مطلقاً فيجوز إجماعاً...

✽ أما العاصي المعين، فقد قال ابن العربي **رحمته الله**: فأما العاصي المعين فلا يجوز لعنه اتفاقاً لما روي أن النبي ﷺ جاء إليه بشارب خمر مراراً فقال بعض من حضره: ما له لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيك»^(٤)، فجعل له حرمة الأخوة، وهذا يوجب الشفقة، وهذا حديث

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبدالله وكان يُلقب حماراً وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلدته في الشراب^(*) فأُتِيَ به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه، وما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه فوالله ما علمت^(**) أنه يحب الله ورسوله».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٣)، ومسلم (حديث ١٦٨٧) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** مرفوعاً.

(٣) أخرج البخاري من حديث أبي جحيفة **رضي الله عنه** (حديث ٥٩٦٢) أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله.

وأخرج مسلم (حديث ١٥٩٨) من حديث جابر بن عبدالله **رضي الله عنه** قال لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء.

(٤) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨١) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: أتى النبي ﷺ بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله تعالى فقال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيك».

صحيح.

قلت: واستدل بعض أهل العلم على المنع كذلك بحديث «لعن المؤمن كقتله»^(١).

وقد يستدل البعض على جواز لعن العاصي المعين بحديث: «أَيُّمَا رَجُلٍ دَعَا امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ لَعْنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَصْبِحَ»^(٢).

ولكن هذا عندي في غير المعين أيضًا، وعلى كل حال فينبغي للمسلم أن يحترز من الإكثار من اللعن وخاصة ما يتعلق بلعن المسلمين، وذلك لقول النبي ﷺ: «لا يَنْبَغِي لِصَدِيقٍ أَنْ يَكُونَ لِعَانًا»^(٣).

ولحديث: «إِنَّ اللَّعَانِينَ لَا يَكُونُونَ شَفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

ولحديث: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ» والله أعلم.



﴿﴾ يعني: شراب الخمر.

﴿﴾ ما علمت معناها لقد علمت، أو ما علمت عليه إلا أنه يحب الله ورسوله، وثم أقوال أخر تدور حول هذا المعنى، والله تعالى أعلم.

(١) أخرج البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (حديث ١١٠ ص ١٠٤) من حديث ثابت بن الضحاک - وكان من أصحاب الشجرة - ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على ملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله، ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقتله».

(٢) أخرج البخاري (حديث ٥١٩٤)، ومسلم (حديث ١٤٣٦) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح».

﴿﴾ وفي رواية في الصحيحين كذلك: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح».

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٧) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء ﷺ مرفوعًا.

وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

س: اذكر عشرًا من الآيات الدالة على تفرد الله ﷻ بالألوهية؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

- ١ - قول الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].
- ٢ - قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- ٣ - قول الله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢].
- ٤ - قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].
- ٥ - قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥].
- ٦ - قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٠].
- ٧ - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].
- ٨ - قوله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].
- ٩ - قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].
- ١٠ - قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].



س: ما مدى صحة حديث: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله: ﴿الْمَلِكُ﴾ [البقرة: ١٦٣]؟

عمران: (١، ٢)؟

ج: في إسناده ضعف ففيه شهر بن حوشب متكلم فيه.

س: اذكر بعض أقوال المفسرين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]؟

ج: هذه أقوال طائفة من أهل العلم في هذا الباب.

❁ قال الطبري رحمه الله:

قد بنينا فيما مضى معنى «الألوهية»، وأنها اعتباد الخلق.

فمعنى قوله: ﴿وَاللَّهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]:

والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له، ويستوجب منكم العبادة، معبود واحد

ورب واحد، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه سواه، فإن من تشركونه معه في

عبادتكم إياه، هو خلق من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثل له ولا نظير.

واختلف في معنى وحدانيته تعالى ذكره.

فقال بعضهم: معنى وحدانية الله، معنى نفي الأشباه والأمثال عنه، كما يقال:

«فلان واحد الناس - وهو واحد قومه»، يعني بذلك أنه ليس له في الناس مثل، ولا له

في قومه شبيهه ولا نظير. فكذلك معنى قول «الله واحد»، يعني به: الله لا مثل له ولا

نظير.

فزعموا أن الذي دلّهم على صحة تأويلهم ذلك، أن قول القائل: «واحد» يفهم

لمعان أربعة.

أحدها: أن تكون «واحدًا» من جنس، كالإنسان «الواحد» من الإنس.

والآخر: أن يكون غير متفرق، كالجاء الذي لا ينقسم.

والثالث: أن يكون معنيًا به الاتفاق، كقول القائل: «هذان الشيئان واحد»، يراد

بذلك: أنهما متشابهان، حتى صارا لا شتباهما في المعاني كالشيء الواحد.

والرابع: أن يكون مرادًا به نفي النظير عنه والشبيه.

قالوا: فلما كانت المعاني الثلاثة من معاني «الواحد» منتفية عنه، صح المعنى

الذي وصفناه.

وقال آخرون: معنى «وحدانيته» تعالى ذكره، معنى انفراده من الأشياء، وانفراد الأشياء منه. قالوا: وإنما كان منفرداً وحده، لأنه غير داخل في شيء ولا داخل فيه شيء. قالوا: ولا صحة لقول القائل: «واحد»، من جميع الأشياء إلا ذلك. وأنكر قائلو هذه المقالة المعاني الأربعة التي قالها الآخرون.

وأما قوله: «لا إله إلا هو»، فإنه خبرٌ منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيره، ولا يستوجب على العباد العبادة سواه، وأن كل ما سواه فهم خلقه، والواجب على جميعهم طاعته والانقياد لأمره، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، وهجر الأوثان والأصنام؛ لأن جميع ذلك خلقه، وعلى جميعهم الدينونة له بالواحدانية والآلوهة، ولا تنبغي الآلوهة إلا له، إذ كان ما بهم من نعمة في الدنيا فممنه، دون ما يعبدونه من الأوثان ويشركون معه من الأشراك، وما يصيرون إليه من نعمة في الآخرة فممنه، وأن ما أشركوا معه من الأشراك لا يضر ولا ينفع في عاجل ولا في آجل، ولا في دنيا ولا في آخرة.

وهذا تنبيه من الله - تعالى ذكره - أهل الشرك به على ضلالهم، ودعاءً منه لهم إلى الأوبة من كفرهم، والإنابة من شركهم ثم عرفهم تعالى ذكره بالآية التي تتلوها، موضع استدلال ذوي الألباب منهم على حقيقة ما نبههم عليه من توحيدِهِ وحججه الواضحة القاطعة عذرهم، فقال تعالى ذكره: أيها المشركون، إن جهلتكم أو شككتكم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر: من أن إلهكم إله واحد، دون ما تدعون ألوهيته من الأنداد والأوثان، فتدبروا حُججِي وفكروا فيها، فإن من حُججِي خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها، وما بثت فيها من كل دابة، والسحاب الذي سخرته بين السماء والأرض. فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به، إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض، يقدر على أن يخلق نظير شيء من خلقي الذي سميت لكم، فلکم بعبادتكم

ما تعبدون من دوني حينئذ عذراً، وإلا فلا عذر لكم في اتخاذ إله سواي، ولا إله لكم ولما تعبدون غيري.

فليتدبر أولو الألباب إيجاز الله احتجاجه على جميع أهل الكفر به والملحدون في توحيده، في هذه الآية وفي التي بعدها، بأوجز كلام، وأبلغ حجة، وألطف معنى يشرف بهم على معرفة فضل حكمة الله وبيانه.

﴿ وقال الحافظ ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية أنه لا شريك له ولا عدل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو وأنه الرحمن الرحيم.﴾

﴿ وقال القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] نفى وإثبات أولها كفر وآخرها إيمان، ومعناه لا معبود إلا الله.﴾

﴿ وقال صديق حسن خان (فتح البيان ١ / ٣٢٦): ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] أي: لا شريك له في الألوهية ولا نظير له في الربوبية، والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته، وواحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] تقرير للوحدانية بنفي غيره من الألوهية وإثباتها له ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقد تقدم تفسيرها، وفيه الإرشاد إلى التوحيد وقطع العلائق، والإشارة إلى أول ما يجب بيانه ويحرم كتمانها وهو أمر التوحيد.﴾

﴿ وقال الماوردي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] أراد بذلك أمرين:

أحدهما: أن إله جميع الخلق واحد لا كما ذهبت إليه عبدة الأوثان من العرب وغيرهم أن لكل قوم إلهاً غير إله من سواهم.

والثاني: أن الإله، وإن كان إلهاً لجميع الخلق فهو واحد لا ثاني له ولا مثل له، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] ثم وصف فقال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

[البقرة: ١٦٣] ترغيباً في عبادته وحثاً على طاعته.



س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل: (لا إله إلا الله)؟

ج: من هذه الأحاديث ما يلي:

✽ قول النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»^(١).
 ✽ قول النبي عليه الصلاة والسلام: «فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»^(٢).
 ✽ قول النبي ﷺ: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»^(٣).

✽ حديث البطاقة، وقد أخرجه الترمذي بإسناد صحيح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء»^(٤).

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٣٩١) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٥)، ومسلم (حديث ٣٣) من حديث عتب بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعاً.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥٨٢٧)، ومسلم (مع النووي ٢ / ٩٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) أخرجه الترمذي (حديث ٢٦٣٩) وقال: حديث حسن غريب، وأحمد (٢ / ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٢)،

قول النبي ﷺ: «وله بكل تهليله صدقة»^(١).

❁ وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - وَمَعَاذَ رَدِيفِهِ عَلَى الرَّحْلِ - قَالَ: «يَا مَعَاذَ بَنِي جَبَلٍ» قَالَ: لِيَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ، قَالَ: «يَا مَعَاذَ» قَالَ: لِيَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ (ثَلَاثًا) قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ..»^(٢) الْحَدِيثُ.

❁ وفي «الصحيحين» من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذِنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَاءِي وَعِظْمَتِي لِأَخْرَجَنِي مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣).



MOSTAFAALADWI.COM

^(١) وابن ماجه (حديث ٢٣٠٠) من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعاً.
^(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً.
^(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٢٨)، ومسلم (حديث ٣٢).
^(٤) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠)، ومسلم ص (١٨٤).

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ
النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

معناها	الكلمات
إنشائها وابتداعها وخلقها على الوضع الذي هي عليه.	(خَلَقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ﴿
تعاقب الليل والنهار.	(وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ﴿
السفن.	(وَالْفُلْكِ) ﴿
فرَّق فيها - نشر فيها.	(وَبَثَّ فِيهَا) ﴿
تنويع الرياح: فمرة تأتي عقيماً، ومرة تأتي لواقح، ومرة تأتي مبشرات.	(وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ) ﴿
المُذَلَّل.	(الْمُسَخَّرِ) ﴿
علامات ودلالات.	(لآيَاتٍ) ﴿

س: هل من وجهٍ للربط بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٤] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]؟

ج: يرى بعض العلماء أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] برهان ودليل لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، والله أعلم.



س: لماذا جمعت السموات وأفردت الأرض في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]؟

ج: قال صديق حسن خان «فتح البيان»: وإنما جمع السموات؛ لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الأخرى ووحدة الأرض؛ لأنها كلها من جنس واحد وهو التراب، والله تعالى أعلم.



س: ما الآية والدليل في خلق السموات على وحدانية الله ﷻ ورحمته؟

ج: يوضح هذه الآية وهذا الدليل قول الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك: ٣-٥].

فالآية في خلق السموات في ابتداعها وإيجادها على هذا النحو التي هي عليه من ارتفاع واتساع وزينة وبهاء، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

﴿قال القرطبي رحمه الله: فأية السموات ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها، ودل ذلك على القدرة وخرق العادة، ولو جاء نبي فتحدى بوقوف جبل في الهواء دون علاقة كان معجزاً ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة والكواكب الزاهرة شارقة وغاربة نيرة وممحوه آية ثانية.﴾

❁ **وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:** في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثواب ودوران فلکها.

❁ **وقال الماوردي في التفسير:** فأية السماء ارتفاعها بغير عمدٍ من تحتها ولا علائق من فوقها، ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة.

❁ **وقال ابن سعدي في تفسيره:** ففي ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ [البقرة: ١٦٤] في ارتفاعها واتساعها وإحكامها وإتقانها، وما جعل الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وتنظيمها لمصالح العباد.



س: ما الآية في خلق الأرض على وحدانية الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ورحمته؟

ج: هي فيما ذكره الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهيجٍ﴾ (٧) بَصْرَةً وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٧، ٨] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقد قال أهل العلم في ذلك أقوالاً أيضاً نورد منها ما يلي:

❁ **قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:** وآية الأرض بحارها وأنهارها ومعادننا وشجرها وسهلها ووعرها.

❁ **وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:** وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع.

❁ **وقال صديق حسن خان رَحِمَهُ اللهُ (فتح البيان):** والآية في الأرض مدنها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات.

❁ **وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ:** وفي خلق (الأرض) مهاداً للخلق يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها والاعتبار ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها، وحكمته التي بها أتقنها وأحسنها ونظمها وعلمه

ورحمته التي بها أودع ما أودع من منافع الخلق ومصالحهم وضروراتهم وحاجاتهم، وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله واستحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير والقيام بشئون عباده.

❁ **وقال الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه):** والآية في الأرض عظيمة فيما يرى من سهلها وجبلها وبحارها، وما فيها من معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد اللاتي لا يمكن أحد أن ينشئ مثلها.



س: ما الآية في اختلاف الليل والنهار على وحدانية الله سبحانه وتعالى ورحمته؟

ج: ذلك واضح في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلًا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَيْلًا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿القصص: ٧١ - ٧٣﴾.

❁ **وقوله تعالى:** ﴿وَأَيُّ لَهْمٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (يس: ٣٧).

❁ **وقوله تعالى:** ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠).

❁ وهذا مزيد من أقوال أهل العلم في هذا الباب.

❁ **قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:** واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠). وتارة يطول هذا ويقصر هذا، وتارة تأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ (فاطر: ١٣) أي: يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا.

❁ **وقال صديق حسن خان (في فتح البيان):** ﴿وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ (البقرة: ١٦٤)

تعاقبهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر، وإضاءة أحدهما وإظلام الآخر، وقيل: في الطول والقصر والزيادة والنقصان قال ابن الخطيب: وعندني فيه وجه ثالث هو أنهما كما يختلفان في الأزمنة فهما يختلفان في الأمكنة فإن من يقول: إن الأرض كرة فكل ساعة عيبتها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي آخر عصر، وفي آخر مغرب. وفي آخر عشاء. وهلم جرّاً. هذا إذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول أما البلاد المختلفة في العرض فكل بلد يكون عرضه للشمال أكثر كانت أيامه الصيفية أطول وأيامه الشتوية بالضد من ذلك، فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلاد وعروضها أمر عجيب. قاله الكرخي.

وقال ابن سعدي رحمته في تفسيره:

وفي اختلافهما في الحر والبرد والتوسط في الطول والقصر والتوسط وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم وجميع ما على وجه الأرض من أشجار ونباتات، كل ذلك بانتظام وتدبير وتسخير تنبهر له العقول وتعجز عن إدراكه من الرجال الفحول ما يدل على قدرة مصرفها وعلمه وحكمته ورحمته الواسعة ولطفه الشامل وتصريفه وتدبيره الذي تفرد به وعظمته وعظمة ملكه وسلطانه مما يجب أن يؤله ويعبد ويفرد بالمحبة والتعظيم والخوف والرجاء وبذل الجهد في محابه ومراضيه.

وقال الماوردي رحمته: وآية الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر فيقبل الليل من حيث لا يعلم ويدبر النهار إلى حيث لا يعلم فهذا اختلافهما.

وقال الزحيلي في تفسيره (التفسير المنير): وآية الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر من حيث لا يعلم، واختلافهما في الأوصاف من النور والظلمة والطول والقصر.



س: ما المراد باختلاف الليل والنهار؟

ج: المراد والعلم عند الله تعالى: اختلافهما في الطول والقصر فهذا يطول أحياناً ويقصر هذا وهذا يقصر أحياناً ويطول هذا، واختلافهما أيضاً تعاقبهما.

قال الطبري رحمه الله:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ [البقرة: ١٦٤]. قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وتعاقب الليل والنهار عليكم أيها الناس.

وإنما (الاختلاف) في هذا الموضع (الافتعال)، من (خلوف) كل واحد منهما الآخر، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ١٦٢].

بمعنى: أن كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه، إذا ذهب الليل جاء النهار بعده، وإذا ذهب النهار جاء الليل خلفه. ومن ذلك قيل: (خلف فلان فلاناً في أهله بسوء)، ومنه قول زهير:

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُنْ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ

وأما (الليل). فإنه جمع (ليلة)، نظير (التمر) الذي هو جمع (تمر). وقد يجمع (ليال)، فيزيدون في جمعها ما لم يكن في واحدتها. وزيادتهم (الياء) في ذلك نظير زيادتهم إياها في (رباعية وثمانية وكرامية).

وأما (النهار)، فإن العرب لا تكاد تجمعها، لأنه بمنزلة الضوء وقد سمع في جمعه «النهر»، قال الشاعر:

لَوْلَا الثَّرِيدَانِ هَكَأُنَا بِالضُّمِّ ثَرِيدُ لَيْلٍ وَثَرِيدٌ بِالنُّونِ

ولو قيل في جمع قليلة (أنهرة) كان قياساً.



س: ما الدلالة من الفلك التي تجري في البحر على وحدانية الله ﷻ ورحمته

بالعباد؟

ج: وجه الاستدلال أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** سخر البحر لحمل هذه السفن العظام مع أن المسمار الصغير لا يحمله البحر بل يسقط فيه، وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

❖ **قال الحافظ ابن كثير** **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: ﴿وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾
[البقرة: ١٦٤] أي: في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الأقليم، ونقل هذا إلى هؤلاء.
❖ **وقال القرطبي** **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: ووجه الآية في الفلك تسخير الله إياها حتى تجري على وجه الماء ووقوفها فوقه مع ثقلها، وأول من عملها نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** كما أخبر تعالى.
❖ **وقال الماوردي** **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: **والآية فيها من وجهين:**
أحدهما: استقلالها بحملها.
الثاني: بلوغها إلى مقصدها.

❖ **وقال صديق حسن خان في فتح البيان:** والآية في ذلك أن الله لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في منافعهم، وأيضا فإن الله خص كل قطر من أقطار العالم بشيء معين وأحوج الكل إلى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالجامل ينتفع لأنه يربح والمحمول إليه ينتفع بما حمل إليه.

❖ **وقال ابن سعدي** **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في تفسيره: وفي ﴿وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ **[البقرة: ١٦٤]** وهي السفن والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعتها، وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية، ما أقدرهم عليها.
ثم سخر لها هذا البحر العظيم والرياح، التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال، والبضائع التي هي من منافع الناس، وبما تقوم به مصالحهم وتنتظم معاشهم.
فمن الذي ألهمهم صنعتها، وأقدرهم عليها، وخلق لهم من الآيات ما به

يعلمونها؟

أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية، النار والمعادن المعينة على حملها، وحمل ما فيها من الأموال؟
 فهل هذه الأمور، حصلت اتفاقاً، أم استقل بعملها هذا المخلوق الضعيف العاجز، الذي خرج من بطن أمه، لا علم له ولا قدرة؟ ثم خلق له ربه القدرة، وعلمه ما يشاء تعليمه؟
 أم المسخر لذلك رب واحد، حكيم عليم، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء؟

بل الأشياء قد دانت بربوبيته، واستكانت لعظمته، وخضعت لجبروته.
 وغاية العبد الضعيف، أن جعله الله جزءاً من أجزاء الأسباب، التي بها وجدت هذه الأمور العظام، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه، وذلك ويجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة، والذل والتعظيم.

❁ وقال شيبه الحمد في تفسيره: ووجه الاستدلال على وحدانية الله ﷻ بجريان الفلك في البحر بما ينفع الناس أنك لو ألقيت مسماراً في البحر غاص إلى أعماقه وقد علم الله ﷻ نوحاً ﷺ أن يصنع الفلك ليركب فيه هو والمؤمنون وأن يحمل معه من كل زوجين اثنين فصار نوح ﷺ يهوى المسامير العظام والأخشاب وبدأ يصنع السفينة ولم يكن أحد قد عرفها^(١) قبل ذلك فسخر منه المشركون، ولما أرسل الله الطوفان نجى نوحاً والذين آمنوا معه، وكانت تجري بهم في موج كالجبال وهي مصنوعة من الخشب والمسامير على حد قوله ﷻ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسْرٍ ۝١٣﴾
 تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفْرًا ﴿الْقَمَر: ١٣، ١٤﴾ الدُّسْر جمع دسار وهو المسمار، فصارت السفن الشبيهة بالجبال تمشي على متن الماء ويرسل الله ﷻ الرياح فتدفعها فوق الماء وتسوقها كما قال ﷻ: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ﴿الشورى: ٣٢﴾

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠)، ومسلم ص (١٨٤).

أي: ومن دلائل ألوهيته وربوبيته وقدرته هذه السفن التي تجري في البحر كأنها جبال، وكما قال ﷺ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤]، ومن المعلوم أن الله ﷻ خص كل قطر من أقطار الدنيا المتباعدة بمزايا وأشياء معينة لا توجد في القطر الآخر وكان الناس في كل بلد قد يحتاجون إلى ما في البلد الآخر، وقد يفصل بينهم وبين الجهات التي يحتاجون إلى حاصلاتها البحار الشاسعة والمحيطات العظيمة كالمحيط الهادي والمحيط الأطلسي والبحر الأحمر والمحيط الهندي وغيرها، وكان لا سبيل إلى الوصول إليها إلا بهذه السفن التي أرشدهم الله ﷻ إليها، مع ما في البحار من المنافع العظيمة، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لِحِمَا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَنَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ تَبْنَعُونَ مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢] وكما قال ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢].



س: وضع الدليل من إنزال المطر على وحدانية الله ﷻ ورحمته بالعباد؟

ج: وجه ذلك يتضح من قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِي أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٥، ٦].

❁ وكما قال تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣-٣٥].

(١) وإحيائها يكون بالمطر بإذن الله ﷻ كما يكون بإذن الله بالعيون.

❁ وكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

❁ وكما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الزخرف: ١١].

قال ابن سعدي **رحمته الله**: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤] فأظهرت من أنواع الأفوات وأصناف النباتات ما هو من ضرورات الخلائق التي لا يعيشون بدونها، أليس ذلك دليلاً على قدرة من أنزله وأخرج به ما أخرج ولطفه بعباده وقيامه بمصالحهم وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟ أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم؟ أليس ذلك دليلاً على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم؟!.



س: ما وجه الدلالة من بث الدواب على رحمة الله **ﷻ بالعباد ووحدانيته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؟**

ج: بث الدواب أي: نشرها وتفريقها في أنحاء الأرض، ووجه الدلالة من بثها على رحمة الله **ﷻ** ووحدانيته أنه سبحانه سخرها للناس ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع، فمنها دواب سخرت لحمله، ومنها دواب سخرت لمطعمه ومشربه يأكل منها اللحم ويشرب منها اللبن، ومنها دواب يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه، ومنها دواب وجه الانتفاع منها هو الاعتبار والاتعاظ فالحية مثلاً تخيفه رؤيتها فيتذكر مانع الزكاة مثلاً ما سيلقاه يوم القيامة من الشجاع الأقرع فيبادر بإخراج الزكاة، وتذكره فيتعوذ بالله من شرها.

ومنها دواب سخرت لحراسته ومصالحته إلى غير ذلك، فكل ذلك رحمة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بعباده وكون الله **ﷻ** رازق هذه الدواب ومتكفل بها وعالم بأمرها وحده سبحانه دليل على وحدانيته والله تعالى أعلم.



س: ما هو المراد بتصريف الرياح؟

ج: المراد: تنويعها فمرة تأتي عقيماً ومرة تأتي لواقح ومرة تأتي مبشرات إلى غير ذلك.

قال الطبري رحمته الله: و (تصريف) الله إياها أن يرسلها مرة لواقح، ومرة يجعلها عقيماً ويبعثها عذاباً تدمر كل شيء بأمر ربه. ثم أورد أثراً حسن الإسناد عن قتادة ^(١) قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] قال: قادرٌ والله ربنا على ذلك إذا شاء جعلها رحمةً لواقح للسحاب ونشراً بين يدي رحمته، وإذا شاء جعلها عذاباً ريحاً عقيماً لا تُلْقِحُ إنما هي عذاب على من أرسلت عليه.

ثم قال الطبري رحمته الله: وزعم بعض أهل العربية أن معنى قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] أنها تأتي مرة جنوباً وشمالاً وقبلاً ودبوراً ثم قال: وذلك تصريفها، وهذه الصفة التي وصف الرياح بها صفة تصرفها لا صفة تصريفها لأن (تصريفها) تصريف الله لها، و (تصرفها) اختلاف هبوبها.

وقد يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] تصريف الله تعالى ذكره هبوب الرياح باختلاف مهاها، والله أعلم.



س: ما وجه الدلالة من تصريف الرياح على وحدانية الله سبحانه؟

ج: وجه ذلك أن الذي يقدر على تصريف الرياح هو الله سبحانه وتعالى وحده لا يستطيع ذلك أحدٌ سواه، فكما قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: أي: فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه، وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمين وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة، وتارة دبوراً وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة.

(١) أثر رقم (٢٤٠٥).

ونحو ذلك قال ابن سعدي رحمته فقال: وفي ﴿وَنَصْرِيْفِ الرِّيْحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] باردة وحارة جنوباً وشمالاً وشرقاً ودبوراً وبين ذلك، وتارة تثير السحاب وتارة تؤلف بينه وتارة تلقحه وتارة تدره وتارة تمزقه وتزيل ضرره وتارة تكون رحمة وتارة ترسل بالعذاب فمن الذي صرفها هذا التصريف وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه؟ وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات وتصلح الأبدان والأشجار والحبوب والنباتات إلا العزيز الحكيم الرحيم اللطيف بعباده المستحق لكل ذلٍّ وخضوع ومحبة وإنابة وعبادة؟

وقال الملوودي في تفسيره: والآية فيها من وجهين:

أحدهما: اختلاف هبوبها في انتقال الشمال جنوبها، والصباب دبوراً فلا يعلم لانتقالها سبب، ولا لاتصرافها جهة.

والثاني: ما جعله في اختلافها من إنعام ينفع، وانتقام يؤذي. والله تعالى أعلم.



س: ما معنى تسخير السحاب بين السماء والأرض وكيف يكون ذلك؟

ج: تسخير السحاب تذليله وتوجيهه إلى حيث يشاء الله تعالى ويتم ذلك بأمر الله عز وجل كما قال سبحانه في كيفية ذلك: ﴿الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ يَأْتِيهِمْ فِيهَا مَاءٌ فِيضًا وَإِنَّ إِلَهُهُمُ عِنْدَ رَدْفِ الْمَسَاءِ وَإِنَّ إِلَهُهُمُ عِنْدَ رَدْفِ الْمَسَاءِ وَإِنَّ إِلَهُهُمُ عِنْدَ رَدْفِ الْمَسَاءِ وَإِنَّ إِلَهُهُمُ عِنْدَ رَدْفِ الْمَسَاءِ﴾ [النور: ٤٣].

وكما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ يُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧] والله أعلم.



س: ما الدلالة من تسخير السحاب بين السماء والأرض على وحدانية الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

ج: قال الماوردي رحمته (النكت والعيون ١ / ٢١٨): والآية فيه من ثلاثة أوجه: أحدها: ابتداء نشوئه وانتهاء تلاشيه.

والثاني: ثبوته بين السماء والأرض من غير عمدٍ ولا علائق.

والثالث: تسخيره وإرساله إلى حيث يشاء الله عز وجل.

✽ وقال ابن سعدي رحمته: وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير فيسوقه الله إلى حيث شاء فيحيي به البلاد والعباد ويروي التلول والوهاد وينزله على الخلق وفق حاجتهم إليه فإذا كان يضرهم كثرت أمسكه عنهم فينزله رحمةً ولطفاً وبصرفه عنايةً وعطفاً فما أعظم سلطانه وأغزر إحسانه وألطف امتنانه!!! أليس من القبيح بالعباد أن يتمتعوا برزقه ويعيشوا ببره وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه، أليس ذلك دليلاً على حلمه وصبره وعفوه وصفحه وعظيم لطفه؟ فله الحمد أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً.

✽ قال شعبة الحمد في تفسيره: ولما كان طبع الماء ثقيلاً يقتضي النزول كان بقاءه في الجو من الآيات البيّنات.

وقال صديق حسن خان (فتح البيان): والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظيمة يبقى معلقاً بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسنده، وفيه آيات أخر.



س: ما معنى (الدابة) في قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ (البقرة: ١٦٤)؟

ج: قال الطبري رحمته: والدابة (الفاعلة) من قول القائل: (دبت الدابة تدب دبيباً فهي دابة).

و (الدابة) اسم لكل ذي روح كان غير طائر بجناحيه لدبيبه على الأرض.

وقال القرطبي رحمته: ودابة تجمع الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس الطير وهو مردود، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فإن الطير يدب على رجليه في بعض حالاته.

قال الأعشى:

دَيْبٌ قَطَا الْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ

وقال علقمة بن عبدة:

صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيْبٌ

قلت (مصطفى): وحجة من أخرج الطير من الدواب قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يُطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨] أما الإجابة على قول من قال: إن الطير تدب على الأرض في بعض الأحيان فدفعه (على رأي من أخرج الطير) بأن الحكم للغالب وأغلب أحوال الطير أن يكون في الهواء لكن التحرير يقتضي أن الدابة في الأصل ما يدب على الأرض لكن لا يمتنع أحياناً أن يدخل فيها غيرها كمن يدب أحياناً على الأرض، وذلك كسائر الاصطلاحات في الكتاب العزيز أحياناً تأتي عامة وأحياناً تأتي ويراد بها الخصوص والذي يظهر لي في هذا الموطن أن الدابة يدخل فيها الطير، والله تعالى أعلم.



س: كيف يُحتج على أهل الكفر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [البقرة: ١٦٤] وهناك منهم من لا يرى أن السموات والأرض مخلوقتان؟

ج: ابتداءً قد لا يقول قائل بأن هذا احتجاج على الكفار إنما هو كما ذكره الله ﷻ آيات لقوم يعقلون.

أما وجه الاحتجاج بالآية الكريمة على المشركين (عند من يرى أن الآية تحمل احتجاجاً على المشركين) فهو على المشركين الذين يقرون بأن الله خالق السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وكما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] فناسب أن يحتج عليهم بما أقرؤا به.

ويحتج أيضاً على الملاحظة القائلين بأن السموات والأرض ليستا مخلوقتين بأن وجودهما على هذا الوضع الذي هي عليه تشير بأن لها خالقاً وتدل على ذلك غاية الدلالة، ولكن الملاحظة كابروا في ذلك أما العقلاء من الناس فأقروا لما رأوا ما عليه السموات والأرض من حسن وبهاء وكمال وجمال وإتقان أن لها مدبراً خالقاً.

وقد طرح الطبري رحمته نفس السؤال وأجاب عليه فقال: فإن قال قائل: وكيف احتج على أهل الكفر بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية، في توحيد الله؟ وقد علمت أن أصنافاً من أصناف الكفرة تدفع أن تكون السموات والأرض وسائر ما ذكر في هذه الآية مخلوقة؟

قيل: إن إنكار من أنكر ذلك غير دافع أن يكون جميع ما ذكر تعالى في هذه الآية، دليلاً على خالقه وصانعه، وأن له مدبراً لا يشبهه [شيء]، وبارئاً لا مثل له.

وذلك وإن كان كذلك، فإن الله حاج بذلك قوماً كانوا مقرين بأن الله خالقهم، غير أنهم يشركون في عبادته عبادة الأصنام والأوثان. فحاجهم تعالى ذكره فقال - إذ أنكروا قوله: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّ اللَّهَ وَجِدُّهُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ورعّموا أن له شركاء من الآلهة -: [إن إلهكم الذي خلق السموات وأجرى فيها الشمس والقمر لكم بأرزاقكم دائبين في سيرهما. وذلك هو معنى اختلاف الليل والنهار في الشمس والقمر]، وذلك هو معنى قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤] وأنزل إليكم الغيث من السماء، فأخصب به جنابكم بعد جدوبة، وأمرعه بعد دثوره، فنعشكم به بعد قنوطكم، وذلك هو معنى قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَبَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤] وسخر لكم الأنعام فيها لكم مطاعم ومأكلاً، ومنها جمالاً ومراكب، ومنها أثاث وملابس، وذلك هو معنى قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤] وأرسل لكم الرياح لواقح لأشجار ثماركم وغذائكم وأقواتكم، وسير لكم السحاب الذي بودقه حياتكم وحياة نعمكم ومواشيكم - وذلك هو معنى قوله: ﴿وَنَصْرَفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فأخبرهم أن إلههم هو الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، وتفرد لهم بها. ثم قال: هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، فشركوه في عبادتكم إياي، وتجعلوه لي نداً وعدلاً؟ فإن لم يكن من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، ففي الذي عدت عليكم من نعمتي، وتفردت لك بأيادي، دلالات لكم إن كنتم تعقلون مواقع الحق والباطل، والجور والإنصاف. وذلك أني لكم بالإحسان إليكم متفرد دون غيري، وأنتم تجعلون لي في عبادتكم إياي أنداداً. فهذا هو معنى الآية. والذين ذكروا بهذه الآية واحتج عليهم بها، هم القوم الذين وصفت صفتهم دون المعطلة والدهرية، وإن كان في أصغر ما عد الله في هذه الآية، من الحجج البالغة، والمقنع لجميع الأنام، تركنا البيان عنه، كراهة إطالة الكتاب بذكره.



س: الآيات الدالة على أن السحاب مسخر آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَفَلَّتْ سَحَابًا نَّفَاً لَأَسْقِنَهُ لِإِبِلِ كَمَيْتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِرُ سَحَابًا يَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ [الروم: ٤٨] إلى غير ذلك من الآيات، فاذا ذكر حديثاً يبين أن السحاب مسخر أيضاً؟

ج: هذا الحديث هو ما ورد في الصحيح^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بيننا رجلٌ بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءً في حرّةٍ فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه

(١) أخرجه مسلم حديث (٢٩٨٤).

وأكل أنا وعبالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه».



س: من متى يبدأ الليل ومتى ينتهي ومن متى يبدأ النهار ومتى ينتهي؟

ج: يبدأ الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

ويبدأ النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

قال الفرطبي رحمته الله: والصحيح أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، كما رواه ابن فارس في المعجم، يدل عليه ما ثبت في صحيح مسلم عن عدي بن حاتم قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] قال له عدي: يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين عقلاً أبيض وعقلاً أسود أعرف بهما الليل من النهار، فقال له رسول الله ﷺ: «إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل وبياض النهار»، فهذا الحديث يقضي أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهو مقتضى الفقه في الإيمان وبه ترتب الأحكام.



س: لماذا قدم الليل على النهار في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [البقرة: ١٦٤]؟

ج: يرى بعض أهل العلم أن الليل قدم على النهار لأن الظلمة أقدم، قاله صديق حسن خان (فتح البيان)، واستدل له بقوله تعالى: ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] وقال أيضاً: وهذا أصح القولين.

قلت: ويستشهد له أيضاً بقول النبي ﷺ: «إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ذلك النور ضل»^(١)، والله أعلم.

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (حديث ٢٦٤٢)، وقال: هذا حديث حسن، وأخرجه أيضاً أحمد (٢) / ١٧٦، ١٩٧)، وابن حبان (موارد الظمان حديث ١٨١٢، ١٨١٣)، والحاكم (١ / ٣٠) المستدرک من طرق عن ابن الديلمی (وهو عبدالله بن فيروز) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً. وانظر أيضاً الشريعة للأجري ص ١٧٥.



س: هل الليلة تابعة لليوم الذي قبلها أو اليوم الذي بعدها؟

ج: يرى كثير من العلماء أن الليلة تابعة لليوم الذي بعدها، واستثنوا من ذلك يوم عرفة فإن ليلته هي التي تأتي بعده (أي: هي التي يبيت فيها الناس بمزدلفة)، واستدلوا لهذا الاستثناء بحديث عروة بن مضرس^(١) إذ جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أتعبت نفسي وأكلت راحتي وما تركت جبلاً إلا وقفت عليه... فقال له النبي ﷺ: «من صلى معنا الفجر بمزدلفة وكان قبل ذلك قد وقف ساعة من ليلٍ أو نهارٍ بعرفات فقد أتم حجه وقضى نفثه». والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بالذي ينفع الناس في قوله تعالى: ﴿وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤]؟

ج: المراد - والله أعلم - ما يحصله الناس من وراء تلك الأسفار من تجارات ودفع مجاعات وسد جوعات وكسوة عاريات وحجج وعمرات وغزوٍ وفتوحات إلى غير ذلك من وسائل الانتفاع التي ينتفع بها الناس في دنياهم، والله تعالى أعلم.



س: لماذا قيل للسحاب سحاب؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وإنما قيل للسحاب سحاب إن شاء الله لجر بعضه بعضاً وسحبه إياه، من قول القائل: (مرَّ فلان يجر ذيله) يعني: (يسحبه).
وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: سمي السحاب سحاباً لانسحابه في الهواء، وسحبت ذيلي سحباً، وتسحب فلان على فلان: اجتراً، والسحب شدة الأكل والشرب والله تعالى أعلم.

(١) صحيح أخرجه أبو داود (حديث رقم ١٩٥٠)، والترمذي (حديث ٨٩١)، وقال: هذا حديث صحيح، والنسائي (٥ / ٢٦٣)، وابن ماجه حديث (٣٠١٦)، وأحمد (٤ / ١٥) وغيرهم.



MOSTAFAALADWY.COM

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ
اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَسَمَّوْنَا كَمَا تَبَرَّءُوا
مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا
هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

الكلمة	معناها
(أَندَادًا) ﴿١٦٥﴾	أمثالاً - نظراء - عدلاء.
(إِذْ يَرُونَ) ﴿١٦٥﴾	إذ يعاينون العذاب.
(الْأَسْبَابُ) ﴿١٦٦﴾	الأسباب هي: الوسائل التي يتوصل بها إلى النجاة ^(١) .
(كَرَّرَ) ﴿١٦٦﴾	رجعة إلى الدنيا ^(٢) .
(حَسْرَتٍ) ﴿١٦٦﴾	الحسرة: التلهف على ما فات، وقيل: الحسرة هي: أشد الندامة.



(١) وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في سؤال مستقل إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرج الطبري رحمه الله (٢٤٣٢) بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَسَمَّوْنَا كَمَا تَبَرَّءُوا

مِنَّا ﴾ [البقرة: ١٦٧]، أي: لنا رجعة إلى الدنيا.

س: تقدم أن الند معناه المثل والنظير والعدل فما المراد بالأنداد هنا؟

ج: المراد بالأنداد هنا الأوثان، وقد أخرج الطبري رحمته الله بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] من الكفار لأوثانهم ^(١).

✽ وقال بعض أهل العلم: إن المراد بالأنداد هنا السادة المطاعون من دون الله ﷻ الذين اتخذهم المشركون أولياء من دون الله ومشرعين من دون الله يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال، ويتقوى هذا الوجه بقوله تعالى في الآية اللاحقة: ﴿ إِذ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِن الَّذِينَ أَتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾.

[البقرة: ١٦٦]

والذي يظهر لي القول بالعموم أولى فيدخل فيه الأوثان ويدخل فيه السادة الذين أطاعهم قومهم من دون الله في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم، والله أعلم.



س: ما عقوبة من جعل لله ﷻ نداً؟

ج: عقوبته النار ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ كلمة وقلت أخرى، قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله نداً دخل الجنة ^(١). قلت: وذلك لأن من جعل لله نداً قد ارتكب أعظم ذنبٍ وقد تقدم في جواب النبي ﷺ لابن مسعود لما سأله: أي الذنب أعظم؟، قال: «أن تجعل لله نداً وهو خالقك...» الحديث.



س: لماذا تزيد محبة المؤمنين لله ﷻ على محبة المشركين لألهتهم؟

(١) الطبري أثر (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - (حديث ٤٤٩٧)، ومسلم (حديث ٩٢).

ج: ذلك لأن المؤمنين يوحدون الله ﷻ، أما المشركون فآلهتهم شتى فمن ثم تتوزع محبتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

هذا وقد أورد الرازي رحمه الله: سؤالاً مشابهاً فقال: فإن قيل: كيف يمكن أن يقال: محبة المؤمنين لله تعالى أشد، مع أنا نرى الهنود يأتون بطاعات شاقة لا يأتي بشيء منها أحد من المسلمين ولا يأتون بها إلا الله تعالى ثم يقتلون أنفسهم حباً لله؟! **(الجواب):** من وجوه:

(أحدها): أن الذين آمنوا لا يتضرعون إلا إلى الله بخلاف المشركين فإنهم يعدلون إلى الله عند الحاجة، وعند زوال الحاجة يرجعون إلى الأنداد، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] إلى آخره، والمؤمن لا يعرض عن الله في الضراء والسراء والشدة والرخاء، والكافر قد يعرض عن ربه، فكان حب المؤمن أقوى.

(وثانيها): أن من أحب غيره رضي بقضائه، فلا يتصرف في ملكه، فأولئك الجهال قتلوا أنفسهم بغير إذنه، أما المؤمنون فقد يقتلون أنفسهم بإذنه، وذلك في الجهاد.

(وثالثها): أن الإنسان إذا ابتلي بالعذاب الشديد لا يمكنه الاشتغال بمعرفة الرب، فالذي فعلوه باطل.

(ورابعها): قال ابن عباس: إن المشركين كانوا يعبدون صنماً، فإذا رأوا شيئاً أحسن منه تركوا ذلك وأقبلوا على عبادة الأحسن.

(وخامسها): أن المؤمنين يوحدون ربهم، والكفار يعبدون مع الصنم أصناماً فتنقص محبة الواحد، أما الإله الواحد فتتضمن محبة الجميع إليه.



س: قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] قولٌ مجمل نريد إيضاحه؟

ج: لأهل العلم في إيضاحه وجهان:

أحدهما: أن المشركين يحبون آلهتهم كحبهم لله ﷻ، فعلى هذا القول يثبت للمشركين شيء من المحبة لله ﷻ.

الثاني: أن المشركين يحبون آلهتهم كما يحب المؤمنون الله ﷻ.

❁ **قال الطبري رحمه الله:** ... وأن الذين اتخذوا هذه «الأنداد» من دون الله يحبون أندادهم كحب المؤمنين الله، ثم أخبرهم أن المؤمنين أشد حبا لله من متخذي هذه الأنداد لأندادهم.

ثم قال الطبري رحمه الله فإن قال قائل: وكيف قيل: «كحب الله»؟ وهل يحب الله الأنداد؟ وهل كان متخذو الأنداد يحبون الله؟، فيقال: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه، وإنما ذلك نظير قول القائل: (بعث غلامي كبيع غلامك)، بمعنى: بعته كما بيع غلامك، وكبيعتك غلامك، (واستوفيت حقي منه استيفاء حقل)، بمعنى استيفاءك حقلك، فتحذف من الثاني كناية اسم المخاطب، اكتفاء بكنايته في (الغلام) و (الحق)، كما قال الشاعر:

فلست مُسَلِّمًا ما دمت حيًّا على زيدٍ بتسليم الأمير

يعني بذلك: كما يسلم على الأمير.

فمعنى الكلام إذاً: ومن الناس من يتخذ، أيها المؤمنون، من دون الله أندادًا يحبونهم كحبكم الله.



س: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] أشد حبا لله من من؟

ج: لأهل العلم أيضًا قولان في هذا الباب:

أحدهما: أشد حبا لله من حب المشركين لله، فعلى هذا القول يكون المشركون يحبون الله ويحبون آلهتهم كحبهم لله كما قال تعالى مبيِّنًا حالهم وقولهم: ﴿تَأَلَّوْا

كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨].

الثاني: أشد حباً لله من حب المشركين لألهتهم، وكلا القولين له وجه، ونورد هنا ما ذكره ابن القيم **رحمته** في «التفسير القيم» لما فيه من الفائدة.

قال **رحمته:** ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشد حباً لله من أصحاب الأنداد لأناداهم، وألهتهم التي يحبونها، ويعظمونها من دون الله.

والثاني: والذين آمنوا أشد حباً لله من محبة المشركين بالأنداد لله، فإن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهب أندادهم بقسطٍ منها. والمحبة الخالصة أشد من المحبة المشتركة.

والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فإن فيها قولان:

أحدهما: يحبونهم كما يحبون الله. فيكون قد أثبت لهم محبة الله، ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أنداداً.

والثاني: أن المعنى يحبون أندادهم، كما يحب المؤمنون الله، أشد من محبة أصحاب الأنداد لأناداهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية **رحمته** يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله، كمحبة المؤمنين له. وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم، وهم في النار، أنهم يقولون لألهتهم وأندادهم، وهي محضرة معهم في العذاب ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم.

هذا حال قلب المؤمن: توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه، لا يتطرق إليهما

محو ولا إزالة. ولما كانت كثرة ذكر الشيء موجبة لدوام محبته، ونسيانه سبباً لزوال محبته أو ضعفها. وكان الله سبحانه هو المستحق من عباده نهاية الحب مع نهاية التعظيم، بل الشرك الذي لا يغفره الله لعبده: هو أن يشرك به في الحب والتعظيم، فيحب غيره ويعظم من المخلوقات غيره كما يحب الله تعالى ويعظمه قال تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] فأخبر سبحانه أن المشرك يحب الند كما يحب الله تعالى، وأن المؤمن أشد حُباً لله من كل شيء. وقال أهل النار في النار: ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لِنَفِي ضَلٰكِلِ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٠]، ومن المعلوم: أنهم إنما سووهم به سبحانه في الحب والتأليه والعبادة، وإلا فلم يقل أحد قط: إن الصنم أو غيره من الأنداد مساوٍ لرب العالمين في صفاته وفي أفعاله، وفي خلق السموات والأرض، وفي خلق عباده أيضاً. وإنما كانت التسوية في المحبة والعبادة.

وأضل من هؤلاء وأسوأ حالاً من سوى كل شيء بالله سبحانه في الوجود، وجعله وجود كل موجود، كامل أو ناقص. فإذا كان الله قد حكم بالضلال والشقاء لمن سوى بينه وبين الأصنام في الحب، مع اعتقاد تفاوت ما بين الله وبين خلقه في الذات والأوصاف والأفعال، فكيف بمن سوى الله بالموجودات في جميع ذلك، بل كيف بمن جعل ربه كل هذه الموجودات؟ وزعم أن من عبد حجراً أو شجراً، أو حيواناً فما عبد غير الله في كل معبود.



س: من المراد بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٥]؟ وما هو الدليل على ذلك؟

ج: المراد بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٦٥] المشركون، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخٰرِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، فالخلود لا يكون إلا للمشرك لحديث:

«وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله»^(١)، وكون الظلم يطلق على الشرك ففي كتاب الله ﷻ على هذا الإطلاق أدلة، منها قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ونحو ذلك، والله أعلم.



س: ما المراد بمحبة المشركين للأنداد؟

ج: المراد عبادتهم لهم وتعظيمهم إياهم، وعلى رأي من ذهب إلى أن الأنداد السادة الذين يطاعون في معصية الله وتحليل ما حرم وتحريم ما أحل، فيدخل في هذه المحبة الطاعة أيضًا.

هذا ولا يدخل في هذه المحبة التي يحبها المشركون للأنداد اعتقاد أن الأنداد خلقتهم، فهذا شيء لم يقربه المشركون، بل قال الله ﷻ حاكياً عن المشركين: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ١٧].
وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٤ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٨٥ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٨٦ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُكُ﴾ ٨٧ ﴿قُلْ مَنْ مِنْ يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٨ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوُكُ﴾ [يونس: ٣١].

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠)، ومسلم (ص ١٨٤).

هذا وقد قال ابن القيم رحمته (١): في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]: أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ندُّ في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم.



س. في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٦٥] قراءتان مشهورتان وضحهما، وبين معنى الآية على كل قراءة منهما؟
ج: القراءة الأولى هي: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بالياء (المثناة التحتانية) من يرى، وهي قراءة أهل الكوفة وأهل مكة.

والمعنى على هذا القول كما نقله القرطبي عن أبي عبيد: لو يرى الذين ظلموا في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعاً.

وقال الحافظ ابن كثير رحمته: قال بعضهم: تقدير الكلام، لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعاً، أي: أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] كما قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۗ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤْتِي وَتَأْفَهُ أَحَدًا ۗ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] يقول: لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال.

وقال الطبري رحمته (٢): ولو يرى الذين ظلموا عذاب الله الذي أعد لهم في جهنم لعلموا حين يرونه فيعاينونه أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب إذ يرون العذاب.

(١) التفسير القيم.

(٢) أي: في تفسير الآية على هذه القراءة، وإلا فقد اختار الطبري رحمته القراءة الثانية، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقال شيبه الحمد في تفسيره: أي: ولو يعاين هؤلاء الذين أشركوا مع الله غيره في المحبة ما أعد الله لهم من العذاب والعقوبة في نار جهنم لما أشركوا معه غيره، لأنهم لو عاينوا ذلك لعلموا أن القهر والسلطان والحكم لله وحده، وأن هؤلاء الأنداد لا يملكون لهم نفعاً ولا يدفعون عنهم ضرراً؛ بل يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة ويلعن بعضهم بعضاً.

أما القراءة الثانية فهي: (ولو ترى) بالتاء (المشاة الفوقانية) من ترى، وهي التي اختارها الطبري رحمته ونقلها عن عامة أهل المدينة والشام، فقال رحمته: اختلفت القراءة في قراءة ذلك فقراً عامة أهل المدينة والشام: ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ بالتاء ﴿إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ **[البقرة: ١٦٥]** بالياء ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ **[البقرة: ١٦٥]** بفتح (أَنَّ) و (أَنَّ) كليهما بمعنى: ولو ترى يا محمد الذي كفروا ظلموا أنفسهم حين يرون عذاب الله ويعاينونه ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ **[البقرة: ١٦٥]**... ثم قال الطبري رحمته: والصواب من القراءة عندنا في ذلك: ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ **[البقرة: ١٦٥]** - بالتاء من (ترى) - ﴿إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ **[البقرة: ١٦٥]** بمعنى: لرأيت أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب. فيكون قوله: (لرأيت) الثانية، محذوفة مستغنى بدلالة قوله: ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ **[البقرة: ١٦٥]** عن ذكره، إذ كان جواباً لـ (لو). ويكون الكلام، وإن كان مخرجه مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم - معنيًا به غيره، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا شك عالمًا بأن القوة لله جميعاً، وأن الله شديد العذاب، ويكون ذلك نظير قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **[البقرة: ١٧٧]**، وقد بيناه في موضعه.

وإنما اخترنا ذلك على قراءة (الياء)، لأن القوم إذا رأوا العذاب، قد أيقنوا أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب، فلا وجه أن يُقال: لو يرون أن القوة لله جميعاً - حينئذ، لأنه إنما يُقال: (لو رأيت)، لمن لم ير، فأما من قد رآه، فلا معنى لأن يقال له:

(لو رأيت).

ثم قال ﷻ:

وإنما عنى تعالى ذكره بقوله: ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ **[البقرة: ١٦٥]**، ولو ترى، يا محمد، الذين ظلموا أنفسهم، فاتخذوا من دوني أنداداً يحبونهم كحبكم إياي، حين يُعابنون عذابي يوم القيامة الذي أعددت لهم، لعلمتم أن القوة كلها لي دون الأنداد والآلهة، وأن الأنداد والآلهة لا تغني عنهم هنالك شيئاً، ولا تدفع عنهم عذاباً أحللتُ بهم، وأيقنتم أنني شديدٌ عذابي لمن كفر بي، وأدعي معي إليها غيري.



س: من الذين أتبعوا؟

ج: الذين أتبعوا هم المعبودون الذين كانوا يُعبدون في الدنيا من دون الله ﷻ ومع الله ﷻ، فيدخل فيهم الشيطان وتدخل فيهم الأوثان ويدخل الملائكة والجن والجبابرة والقادة والرؤساء، وعيسى **ﷺ** يتبرأ أيضاً من عابديه.

هذا وقد قصر بعض أهل العلم ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ **[البقرة: ١٦٦]** في هذا الموطن على الجبابرة والقادة والرؤساء في الشرك والضلال، فروي عن قتادة بإسنادٍ حسن^(١) في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ **[البقرة: ١٦٦]** وهم الجبابرة والقادة والرؤساء في الشر: ﴿مَنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ **[البقرة: ١٦٦]** وهم الأتباع الضعفاء ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ **[البقرة: ١٦٦]**.

وذهب الطبري **ﷺ في تأويل الآية الكريمة:** إلى أن المتبوعين على الشرك يتبرأون من تابعيهم، ولكنه حمل هؤلاء المتبوعين على الأنداد من الرجال، فقال **ﷻ**: والصواب من القول عندي في ذلك: أن الله تعالى ذكره أخبر أن المتبعين على الشرك بالله يتبرأون من أتباعهم حين يعابنون عذاب الله، ولم يخصص بذلك منهم بعضاً دون بعض، بل عم جميعهم، فداخلٌ في ذلك كل متبوع على الكفر بالله

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٢٤١٣).

والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتبعونه على الضلال في الدنيا، إذا عاينوا عذاب الله في الآخرة.

وأما دلالة الآية فيمن عني بقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]، فإنها إنما تدل على أن الأنداد الذين اتخذوهم من دون الله من وصف تعالى ذكره صفته بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ هم الذين يتبرءون من أتباعهم.

وإذ كانت الآية على ذلك دالة، صح التأويل الذي تأوله السدي في قوله^(١): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، أن (الأنداد) في هذا الموضوع، إنما أريد بها الأنداد من الرجال الذين يطيعونهم فيما أمرهم به من أمر، ويعصون الله في طاعتهم إياهم، كما يطيع الله المؤمنون ويعصون غيره - وفسد تأويل قول من قال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]، أنهم الشياطين تبرءوا من أوليائهم من الإنس، لأن هذه الآية إنما هي في سياق الخبر عن مُتَّخِذِي الْأَنْدَادِ. قلت (مصطفى): والقول بالتعميم أولى من قصرها على الأنداد، فعموم المعبودين يتبرأون من عابديهم، وهذا ما سيرد في السؤال اللاحق إن شاء الله تعالى.



تبرؤ المعبودين من عابديهم

س: اذكر بعض الأدلة توضح براءة المعبودين من عابديهم؟

ج: من هذه الأدلة أدلة عامة ومنها أدلة تفصيلية.

(١) أثر السدي عند الطبري رقم (٢٤١١) من طريق موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، قال: الأنداد من الرجال يطيعونهم كما يطيعون الله إذا أمرهم أطاعوهم وعصوا الله. وأخرج الطبري أيضًا (٢٤١٦) من نفس الطريق: موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]، أما: ﴿الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ فهم الشياطين تبرءوا من الإنس.

أما الأدلة العامة فمنها ما يلي:

❁ قول الله ﷻ: ﴿إِذ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦].

❁ قوله ﷻ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ أُخِنَّا﴾ [الأعراف: ٣٨].

❁ قوله سبحانه: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

[الزخرف: ٦٧]

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾.

[القصص: ٦٢ - ٦٤]

أما الأدلة التفصيلية:

فالملائكة تتبرأ من عابديها، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ [سبا: ٤٠ - ٤٢].

❁ وكذلك الشيطان يتبرأ من تابعيه، قال الله سبحانه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

❁ وكذلك الأوثان تتبرأ من عابديها، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

❁ والجن كذلك، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّيْسَ سَجِيبٌ

لَمْ يَلِكْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿الأحقاف: ٥٠، ٥١﴾.

❁ وكذلك عيسى بن مريم (عليه السلام) ^(١) يتبرأ ممن عبده، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿المائدة: ١١٦، ١١٧﴾

❁ وكذلك الجبابرة والظلمة يتبرءون ممن عبدهم وأطاعهم في معصية الله يوم القيامة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحَنُ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿سبأ: ٣١-٣٢﴾

❁ وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَصَلْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿الأحزاب: ٦٧، ٦٨﴾.



س: ما معنى ﴿يَهُمُّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ [البقرة: ١٦٦]؟ وما المراد بـ ﴿الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]؟

ج: أما ﴿يَهُمُّ﴾ فمعناها (عنهم) وهي كقوله تعالى: ﴿فَسْتَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾

(١) حمل عدد من أهل العلم هذه الآية على أن المعبودين (المدعويين من دون الله) هم الجن، ونرى أن معناها هنا أوسع، والله تعالى أعلم.

[الفرقان: ٥٩] أي: فاسأل عنه خبيرًا.

✽ أما معنى الأسباب، فالأسباب هي الوسائل التي يتوصل بها الشخص إلى مطالبه وإلى ما يريد، فقد يتوصل الشخص إلى مطلبه بجاهه، وقد يتوصل بعمله، وقد يتوصل بحيلة يحتالها، وقد يتوصل بقرابته، وقد يتوصل بماله، وقد يتوصل بصداقاته وأخلائه إلى غير ذلك من الوسائل فكل هذه أسباب، فالمراد بقوله تعالى: **﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾** **[البقرة: ١٦٦]**، أي: وانقطعت عنهم وسائل النجاة والخلاص التي يريدون أن ينجوا بها من عذاب الله ﷻ، وها هي بعض أقوال أهل العلم في تفسير الأسباب وإيضاحها.

✽ وأخرج الطبري ^(١) من طرق عن عبيد المكتب عن مجاهد **﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾** **[البقرة: ١٦٦]** قال: الوصال الذي كان بينهم في الدنيا، وفي رواية: توصلهم في الدنيا.

✽ وأخرج الطبري أيضًا بإسناد حسن ^(٢) عن قتادة: **﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾** **[البقرة: ١٦٦]**: أسباب الندامة يوم القيامة، وأسباب المواصلة بينهم في الدنيا يتواصلون بها ويتحابون بها، فصارت عليهم عداوة يوم القيامة، ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا ويتبرأ بعضهم من بعض، وقال الله تعالى ذكره: **﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾** **[الزخرف: ٦٧]**، فصارت كل خلة عداوة على أهلها إلا خلة المتقين.

✽ وأخرج الطبري كذلك بإسناد صحيح ^(٣) عن ابن زيد في قوله: **﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾** **[البقرة: ١٦٦]** قال: أسباب أعمالهم، فأهل التقوى أعطوا أسباب

(١) بيد أن عيسى بن مريم ﷺ من أهل الجنة ومن أهل الوجاهة والدرجات العلى والمقربين فيها، قال الله ﷻ في شأنه: **﴿وَجِبَاهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾** **[آل عمران: ٤٥]**، وأيضًا هو من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقد قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّيْلَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾** **[الأنبياء: ١٠١]**.

(٢) الطبري (٢٤١٧)، (٢٤١٨)، (٢٤١٩).

(٣) الطبري (أثر رقم ٢٤٢٤).

أعمالهم وثيقة فيأخذون بها فينجون، والآخرون أعطوا أسباب أعمالهم الخبيثة فتقطع بهم فيذهبون في النار.

❁ **وقال الطبري رحمه الله:** (والأسباب): الشيء يتعلق به، قال: و (السبب): الحبل، (والأسباب): جمع (سبب)، وهو كل ما تسبب به الرجل إلى طلبته وحاجته، فيقال للحبل: (سبب)، لأنه يتسبب بالتعلق به إلى الحاجة التي لا يوصل إليها لا بالتعلق به. ويقال للطريق (سبب)، للتسبب بركوبه إلى ما لا يدرك إلا بقطعه. وللمصاهرة (سبب)، لأنها سبب للحرمة. وللوسيلة (سبب)، للوصول بها إلى الحاجة، وكذلك كل ما كان به إدراك الطلبة، فهو (سبب) لإدراكها.

فإذ كان ذلك كذلك، فالصواب من القول في تأويل قوله: ❁ **وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ** ❁ **[البقرة: ١٦٦]** أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم - من أهل الكفر الذين ماتوا وهم كفار - يتبرأ - معانينهم عذاب الله - المتبوع من التابع، وتقطع بهم الأسباب.

وقد أخبر تعالى ذكره في كتابه أن بعضهم يلعن بعضاً، وأخبر عن الشيطان أنه يقول لأوليائه ❁ **مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيكَ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ** ❁ **[إبراهيم: ٢٢]**، وأخبر تعالى ذكره أن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، وأن الكافرين لا ينصر يومئذ بعضهم بعضاً، فقال تعالى ذكره: ❁ **وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** ❁ **[٤٤]** **مَا لَكُمْ لَانَّا صُرُونَا** ❁ **[الصفات: ٢٤-٢٥]**، وأن الرجل منهم لا ينفعه نسيبه ولا ذو رحمه، وإن كان نسيبه لله ولياً، فقال تعالى ذكره في ذلك: ❁ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاءَهُ فُلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ** ❁ **[التوبة: ١١٤]**، وأخبر تعالى ذكره أن أعمالهم تصير عليهم حسرات.

وكل هذه المعاني أسباب يتسبب في الدنيا بها إلى مطالب، فقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به، لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه، فهي منقطعة بأهلها. فلا

خلال بعضهم بعضاً نفعهم عند ورودهم على ربهم، ولا عبادتهم أندادهم ولا طاعتهم شياطينهم؛ ولا دافعت عنهم أرحامهم فنصرتهم من انتقام الله منهم، ولا أغنت عنهم أعمالهم، بل صارت عليهم حسرات. فكل أسباب الكفار منقطعة.

فلا معنى أبلغ - في تأويل قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] - من صفة الله [ذلك] وذلك ما بينا من [تقطع] جميع أسبابهم دون بعضها، على ما قلنا في ذلك. ومن ادعى أن المعنى بذلك خاص من الأسباب، سئل عن البيان على دعواه من أصل لا منازع فيه، وعورض بقول مخالفه فيه فلن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله.

وقال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] أي: الوصلات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من رحم وغيره، عن مجاهد وغيره، الواحد سبب ووصلة. وأصل السبب الجبل يشدُّ به الشيء فيجذبه، ثم جعل كل ما جرَّ شيئاً سبباً، وقال السدي وابن زيد: إن الأسباب أعمالهم، والسبب الناحية ومنه قول زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

وقال الرازي رحمه الله: أصل السبب في اللغة الجبل، قالوا: ولا يدعى الجبل سبباً حتى ينزل ويصعد به، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥] ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها: سبب، يُقال ما بيني وبينك سبب، أي: رحم ومودة، وقيل للطريق: سبب، لأنك بسلوكه تصل الموضع الذي تريده، قال تعالى: ﴿فَأَنْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥] أي: طريقاً، وأسباب السموات أبوابها، لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها، قال تعالى مخبراً عن فرعون: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [٣٦] **أسبَابُ السَّمَوَاتِ** ﴿[غافر: ٣٦، ٣٧]، قال زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

والمودة بين القوم تسمى سببًا، لأنهم بها يتواصلون.



س: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ [البقرة: ١٦٧] ماذا يراد به؟

ج: المراد - والله أعلم - كما أنهم تبرا بعضهم من بعض فأيضًا يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم.

وقيل أيضًا: كما أراهم الله العذاب في قوله: ﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٥] فكذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، والله أعلم.



س: هل الكفار لو ردوا إلى الدنيا لعادوا الله وحده كما زعموا في قولهم: ﴿لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمُ اللَّهُمَّ الْجَنَّةَ كُلَّ بَدَنٍ﴾ [البقرة: ١٢٧]؟

ج: كلا بل هم كاذبون في دعواهم، فلو ردوا لعادوا إلى الكفر وموالاته أهله أيضًا، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُوا عَلَى النَّارِ فَمَا لَوْ يَلْمِنُهَا نَزْدًا وَلَا نَكْزَابَ يَتَّيْتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢٧] بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفَوْنَ مِنْ قَبْلٍ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا إِلَيْهَا هُمْ عَنْهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٧﴾

[الأنعام: ٢٧، ٢٨]



س: ما المراد بالأعمال في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٧]؟

ج: لأهل العلم في المراد بالأعمال هنا جملة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالأعمال هنا الأعمال السيئة التي عملها الكفار فيري الله ﷻ للكفار أعمالهم السيئة فيودوا أنهم لم يعملوها وأنهم عملوا صالحًا غيرها.

وقد أخرج الطبري^(١) رحمه الله بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿حَسَرَاتٍ﴾

(١) أثر (١٣٤٢).

عَلَيْهِمْ ﴿البقرة: ١٦٧﴾، قال: أو ليس أعمالهم الخبيثة التي أدخلهم الله بها النار؟ [فجعلها] حسرات عليهم. قال: وجعل أعمال أهل الجنة لهم، وقرأ قول الله: ﴿يَمَّا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال: معنى قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٧]، كذلك يري الله الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم، لم عملوا بها؟ وهلاً عملوا بغيرها؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة، إذ رأوا جزاءها من الله وعقابها، لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندماً عليهم.

فالذي هو أولى بتأويل الآية، ما دل عليه الظاهر دون ما احتمله الباطن الذي لا دلالة له على أنه المعني بها. والذي قال السدي في ذلك، وإن كان مذهباً تحتمله الآية، فإنه منزوع بعيد. ولا أثر - بأن ذلك كما ذكر - تقوم به حجة فيسلم لها، ولا دلالة في ظاهر الآية أنه المراد بها. فإذا كان الأمر كذلك، لم يُحل ظاهر التنزيل إلى باطن تأويل.

القول الثاني: أن المراد بالأعمال هنا أوامر الله التي أمرهم الله بها ونواهيه التي نهاهم عنها سبحانه، فيري الله ﷻ هذه الأوامر والنواهي للكافرين فيتحسروا على عدم امتثالهم لأوامره وعدم اجتنابهم نواهيه.

وقد حكى الطبري هذا القول عن قائله فقال:

فقال بعضهم: معنى ذلك: كذلك يريهم الله أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيَعوها ولم يعملوا بها، حتى استوجب - ما كان الله أعدَّ لهم، لو كانوا عملوا بها في حياتهم، من المساكن والنعم - غيرهم بطاعته ربه.

فصار ما فاتهم من الثواب - الذي كان الله أعدّه لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا، إذ عاينوه عند دخول النار أو قبل ذلك - أسى وندامةً وحسرةً عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط^(١)، عن السدي: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٧]، زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها، لو أنهم أطاعوا الله، فيقال لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله! ثم تُقسم بين المؤمنين، فيرثونهم. فذلك حين يندمون.

حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبدالرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال حدثنا أبو الزعراء^(٢)، عن عبدالله - في قصة ذكرها - فقال: فليس نفسٌ إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار، وهو يوم الحسرة. قال: فيرى أهل النار الذين في الجنة، فيقال لهم: لو عملتم! فتأخذهم الحسرة. قال: فيرى أهل الجنة البيت الذي في النار، فيقال: لولا أن من الله عليكم!

فإن قال قائل: وكيف يكون مضافاً إليهم من العمل ما لم يعملوه على هذا التأويل؟

قيل: كما يعرض على الرجل العمل فيقال [له] قبل أن يعمله: هذا عملك. يعني: هذا الذي يجب عليك أن تعمله، وكما يقال للرجل يحضر غداؤه قبل أن يتغدى به: هذا غداؤك اليوم. يعني به: هذا ما تتغدى به اليوم. فكذلك قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٧٦١]. يعني: كذلك يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمُ التي كان لازمًا لهم العمل بها في الدنيا، حسرات عليهم.

❁ **القول الثالث:** أن المراد بالأعمال هنا الأعمال الصالحة التي عملها الكفار في الدنيا وذهب ثوابها في الآخرة بسبب كفرهم فيتحسرون على تلك الأعمال التي عملوها وذهب ثوابها، وذلك كما قال تعالى في شأن ذهاب ثواب تلك الأعمال.

❁ ﴿وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَكَرِهُوا النَّوْذِينَ﴾ [الفرقان: ٢٣].

(١) أخرجه الطبري (٧٣٤٢).

أسباط تكلم فيه بعض أهل العلم.

(٢) أبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ قال البخاري فيه: لا يتابع في حديثه.

❁ وكما قال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

❁ وكما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

❁ وثم أقوال آخر منها: أن المراد بـ (أعمالهم) سيادتهم ووجاهتهم في الدنيا يتحسرون على ذهابها، إلى غير ذلك من الأقوال، والله أعلم.



MOSTAFAALADWI.COM

يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
 خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
 بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا
 عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ أَعْيَابُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ
 ﴿١٧٠﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا
 دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

الكلمات	معناها
﴿حَلَلًا﴾	طلقاً - الحلال: ما أحله الله في كتابه.
﴿طَيِّبًا﴾	طاهرًا غير نجس ولا محرم - مستطابًا في نفسه غير ضار بالعقول والأبدان.
﴿خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾	طرقه، ومسالكه، وأفعاله، وما يأمر به من الخطايا ^(٢) .
﴿مُبِينٌ﴾	ظاهر العداوة.
﴿بِالسُّوءِ﴾	هو: كل ما يُسيء صاحبه، وقيل: هو: عموم المعاصي.
﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾	الكبائر، وما استفحش من الذنوب.
﴿أَلْفَيْنَا﴾	وجدنا ^(٣) .
﴿يَنْعِقُ﴾ ^(١)	ينادي - يصيح - يُصَوِّت.

(١) وقال بعض أهل العلم: كل معصية فهي من خطوات الشيطان.

(٢) أخرج الطبري (٢٤٤٨) بإسناد حسن عن قتادة: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠]، أي: ما وجدنا عليه آباءنا.

(٣) قال الطبري رحمه الله: وأما قوله: (ينعق) فإنه يصوت بالغنم (النعيق والنعاق) ومنه قول الأخطل.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]؟

ج: المعنى - والله أعلم - كلوا من الطيب الذي أحلته لكم في الأرض واجتنبوا ما حرّمته عليكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان الذي يهلككم ويرديكم فيحرم عليكم طيبات أحلّتها لكم، ويحل لكم ما حرّمته عليكم.

قال الطبري رحمته الله: يعني تعالى ذكره بذلك: يا أيها الناس كلوا مما أحلّت لكم من الأطعمة على لسان رسولي محمد صلى الله عليه وسلم، فطيبته لكم - مما تحرمونه على أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل وما أشبه ذلك مما لم أحرمه عليهم - دون ما حرّمته عليكم من المطاعم والمآكل فنجسته من ميتة ودم ولحم خنزير وما أهل به لغيري. ودعوا خطوات الشيطان - الذي يوبقكم فيهلككم، ويوردكم موارد العطب، ويحرم عليكم أموالكم - فلا تتبعوها ولا تعملوا بها، إنه - يعني بقوله: (إنه) إن الشيطان، و (الهاء) في قوله: (إنه) عائدة على الشيطان - لكم أيها الناس (عدو مبين)، يعني: أنه قد أبان لكم عداوته، بإبائه عن السجود لأبيكم، وغروره إياه حتى أخرج من الجنة، واستزله بالخطيئة، وأكل من الشجرة.

يقول تعالى ذكره: فلا تتصحوه، أيها الناس، مع إبانته لكم العداوة، ودعوا ما يأمركم به، والتزموا طاعتي فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه مما أحلّته لكم وحرّمته عليكم، دون ما حرّمتموه أنتم على أنفسكم وحلّتموه، طاعة منكم للشيطان واتباعاً لأمره.



س: نهانا الله صلى الله عليه وسلم عن اتباع خطوات الشيطان وحذرنا منه في جملة آيات اذكر بعضها؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

فَأَنعِقْ بَضَانِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَتَّكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَالًّا لَا
يعني: صوّت به.

س: اذكر بعض الأدلة التي استدلت بها الأصوليون على أن الأصل في المطعومات

الحل؟

ج: من هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾

[البقرة: ١٦٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾

[الأعراف: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ [البقرة: ٢٩].

وفي الحديث القدسي: «كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال...»^(١).



س: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:

١٦٩]، انتظم جميع الذنوب منسلسلة من الأصغر للأكبر وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن الآية بدأت بذكر السوء، وقد قال بعض أهل العلم إن المراد به

هنا المعاصي، ثم نثت الآية بالفحشاء والمراد بها الكبائر، ثم بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، فتدخل فيها البدع ويدخل فيها الكفر كذلك

فتكون الآية الكريمة قد انتظمت المعاصي (في قوله: بالسوء)، ثم الكبائر (في قوله:

والفحشاء)، ثم البدع والكفر (في قوله: وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)، والله

تعالى أعلم.



س: اذكر بعض عقوبات أكل الحرام؟

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً

حلالاً...» الحديث.

ونحلته، أي: أعطيته.

ج: من هذه العقوبات منع استجابة الدعاء > فقد ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلي السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له^(١).



س: ما المراد بالسوء، وكذلك ما المراد بالفحشاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ١٦٩]؟

ج: المراد بالسوء كل ما يسيء صاحبه، والمعاصي من السوء لأنها تسيء إلى صاحبها بسوء العاقبة التي يلقاها ويصير إليها والفحشاء هي كبائر الذنوب (كالزنا واللواط ونحو ذلك).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ١٦٩] سمي السوء سوءاً، لأنه يسوء صاحبه بسوء عواقبه. وهو مصدر ساءه يسوؤه سوءاً ومساءةً. إذا أجزته. وسوؤه فسيء: إذا أجزته. فحزن؛ قال الله تعالى: ﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧]. وقال الشاعر:

إن يك هذا الدهر قد ساءني فطالما قد سرنى الدهر
الأمر عندي فيهما واحد لذاك شكرٌ ولذاك صبر
والفحشاء أصله قبح المنظر؛ كما قال:

وجيدٌ كجيد الريم ليس بفاحشٍ

ثم استعملت اللفظة فيما يقبح من المعاني. والشرع هو الذي يحسن ويقبح؛ فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء. وقال مقاتل: إن كل ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنه الزنا؛ إلا قوله: ﴿الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ لِلْفَقْرِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. فإنه منع الزكاة.

(١) أخرجه مسلم (٧ / ٩٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً.

قلت: فعلى هذا قيل: السوء ما لا حد فيه، والفحشاء ما فيه حدٌ. وحكي عن ابن عباس وغيره، والله تعالى أعلم.



س: الشيطان يأمر بني آدم أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، اذكر شيئاً مما قاله بنو آدم وافتروه على الله ﷻ مما لا علم لهم به؟

ج: من هذه الافتراءات: تقولهم على الله ﷻ في مسائل التحليل والتحريم، فيحلون أشياء ويحرمون أشياء وينسبون ذلك إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرْتٌ حَجِرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ شَاءَ بِرِعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ طَهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرْنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ **إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾** قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿الأنعام: ١٣٦، ١٤٠﴾.

﴿ومنها: تقولهم وافتراؤهم وقولهم هذه سائبة وتلك وصيلة وذاك حام، وقد ردَّ الله ﷻ عليهم مزاعمهم تلك فقال سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾. **المائدة: ١٠٣﴾.**

كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ تَقْتُلُونَ ﴿٥٩﴾﴾. ثم افتراءات على الله ﷻ كما زعمت اليهود عليهم لعائن الله المتتابة إلى يوم القيامة حيث قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ

وَنَحْنُ أَعْيُنُهُمْ ﴿١٨١﴾ [آل عمران: ١٨١]. وزعمهم أن يد الله مغلولة، كما حكى الله ذلك عنهم فقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومزاعمهم مع النصارى: أن لله الولد، كما حكى ذلك الله سبحانه عنهم فقال ﷺ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضْهِتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ نَجَّاهُ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال الطبري رحمه الله: ﴿وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]. فهو ما كانوا يحركون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي، ويزعمون أن الله حرم ذلك. فقال تعالى ذكره لهم: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَا كَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

فأخبرهم - تعالى ذكره - في هذه الآية أن قيلهم: (إن الله حرم هذا!) من الكذب الذي يأمرهم به الشيطان، وأنه قد أحله لهم وطيبه، ولم يحرم أكله عليهم، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون حقيقته، طاعةً منهم للشيطان، واتباعاً منهم خطواته، واقتفاء منهم أثر أسلافهم الضلال وآبائهم الجهال، الذين كانوا بالله وبما أنزل على رسوله جهالاً، وعن الحق ومنهاجه ضلالاً - وإسرافاً منهم، كما أنزل الله في كتابه على رسوله ﷺ فقال تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠].



س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولُو كُفْرَاتٍ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]؟

ج: قال الطبري - رحمه الله - في معناها:

فمعنى الآية: وإذا قيل لهؤلاء الكفار: كلوا مما أحل الله لكم، ودعوا خطوات

الشیطان وطريقه، واعملوا بما أنزل الله على نبيه ﷺ في كتابه - استكبروا عن الإذعان للحق وقالوا: بل نأتم بأبائنا فنتبع ما وجدناهم عليه، من تحليل ما كانوا يحلون، وتحريم ما كانوا يحرمون.

قال الله - تعالى ذكره: ﴿أُولُو كَاثِبَاتٍ أَبَاؤُهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٠] يعني: آباء هؤلاء الكفار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم - ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ [البقرة: ١٧٠] من دين الله وفرائضه، وأمره ونهيه، فيتبعون على ما سلكوا من الطريق، ويؤتم بهم في أفعالهم - ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] لرشد، فيهتدي بهم غيرهم، ويقتدي بهم من طلب الدين، وأراد الحق والصواب؟

يقول - تعالى ذكره - لهؤلاء الكفار: فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتركون ما يأمركم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئاً ولا هم مصيبون حقاً ولا مدركون رشداً، وإنما يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه فيما هو به جاهل إلا من لا عقل له ولا تمييز.



س: الهاء والميم في قوله تعالى (لهم) من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٠] ترجع إلى من؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أنها ترجع إلى متخذي الأنداد.
فالمعنى: ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا.
 ﴿وذهب فريق من أهل العلم إلى أن الهاء والميم ترجع إلى الناس الذين خوطبوا بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨].

فالمعنى يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان.. وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، لكن يقال هنا: إن قوله: يا أيها الناس كلوا.. خطاب للحاضر، وقوله: وإذا قيل لهم.. حكاية عن

الغائب، فكيف يلتئم هذا؟، فلإجابة على هذا التساؤل يقال: إن الانتقال في الخطاب من الحاضر إلى الغائب أو من الغائب إلى الحاضر واردٌ في كتاب الله ﷻ في مواطن عدة.

﴿ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرًا مَّيْمَنًا ﴾ [يونس: ٢٢] فقال سبحانه: ﴿ كُنْتُمْ ﴾، وقال: ﴿ وَجَرِينَ بِهِمْ ﴾.

وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَسَقَّمَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿١١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإنسان: ٢١، ٢٢] فقال: ﴿ وَسَقَّمَهُمْ ﴾، ثم اتجه للمخاطب بقوله: ﴿ لَكُمْ ﴾ و﴿ سَعْيُكُمْ ﴾.

﴿ وهذا التأويل الأخير هو الذي اختاره الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ محتجاً له بأمرين:

أحدهما: أن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٧٠] عقب قوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [البقرة: ١٦٨].

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٧٠] نزلت في اليهود فالآية على ذلك بعيدة السياق والمعنى عن قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قلت: (مصطفى): أما الإسناد الذي أورده الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ يثبت به أن الآية الكريمة نزلت في اليهود فهو إسناد ضعيف إذ هو من طريق محمد ابن أبي محمد وهو مجهول، ولكن على كل حال فالآية تحتمل الوجهين المذكورين من التفسير، والله أعلم.

﴿ **أما قوله:** ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾: أي: اعملوا بما أنزل الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷻ فنفذوا ما أمركم الله به واجتنبوا ما نهاكم الله عنه وتدبروا ما فيه والعلم عند الله.



س: اذكر بعض الآيات الدالة على ذم التقليد والمقلدة في الباطل؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا ۗ أُولَٰئِكَ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا ۗ أُولَٰئِكَ كَانُوا ءِآبَاءَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا ۗ أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [القمان: ٢١].

❁ وقوله تعالى: ﴿أَمْ ءَأَلَيْكُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَمُهِمَّ بِهِ ۗ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءِآبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءِآثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءِآبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءِآثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءِآبَاءَكُمُ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانفَقْنَا مِنْهُمْ ءِآثَرًا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ [الزخرف: ٢١-٢٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِم ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنِّمَهُم لَعْنَا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].



س: قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾

[البقرة: ١٧١] فيه تأويلان مشهوران لأهل العلم وضحهما؟

ج: التأويل الأول هو: ومثل واعظ الذين كفروا الذي يعظهم مع هؤلاء الكفار كمثل صاحب بقر أو غنم أو بهيمة يناديها وينعق بها فتسمع ما يقول لكنها لا تفقه منه شيئاً، فهناك أربعة أطراف:

- ١- واعظ^(١) الذين كفروا.
 ٢- الذين كفروا.
 ٣- الناعق الذي ينطق (وهو الراعي).
 ٤- الذي لا يسمع.
 (وهي: الدواب التي يرهاها).

فحال واعظ الذين كفروا مع الذين كفروا كحال الراعي مع البهائم التي يناديها، فكما أن البهائم لا تفهم من راعيها شيئاً إلا صوته، فكذلك الذين كفروا لا يفهمون من واعظهم شيئاً إلا صوته فعلى ذلك فالذين كفروا بهائم، ويؤيد كونهم بهائم ما يلي:

﴿قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].
 ﴿قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩ - ٥١].

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٥].

﴿وَالْوَجْهَ الثَّانِي مِنْ أَوْجِهِ التَّأْوِيلِ: ومثل الذين كفروا مع آلهتهم التي يدعونها من دون الله (عند ندائهم لها وطلبهم منها) كمثل الراعي حين ينادي البهائم التي لا تفهم عنه ولا تعي ما يقول.

فهناك أيضاً أربعة أطراف:

- ١- الذين كفروا حين ينادون.
 ٢- الآلهة.

(١) وواعظ الكفار هو كل داعٍ لهم إلى الخير، وبالدرجة الأولى هو نبينا محمد ﷺ.

٣- الراعي حين ينادي.

٤- بهائمهم.

فكما أن البهائم لا تعقل شيئاً إلا أنها تسمع الدعاء والنداء، فكذلك الآلهة التي تدعى من دون الله لا تعقل شيئاً^(١).

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك^(٢):

❦ **قال أبو جعفر الطبري** رحمته الله: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك: فقال بعضهم معنى ذلك: مثل الكافر - في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه في كتابه وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به - مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعت بها ولا تعقل ما يقال لها.

ثم أورد جملة آثار منها: أثر قتادة^(٣) بإسناد حسن قوله: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ **[البقرة: ١٧١]** يقول: مثل الكافر كمثل البعير والشاة يسمع الصوت ولا يعقل ولا يدري ما عني به.

ثم قال الطبري رحمته الله: ومعنى قائله هذا القول - في تأويلهم ما تأولوا، على ما حكيت عنهم -: ومثل وعظ الذين كفروا وواعظهم، كمثل نعت الناقع بغنمه ونعيقه بها. فأضيف (المثل) إلى الذين كفروا، وترك ذكر (الوعظ والواعظ)، للدلالة الكلام على ذلك. كما يقال: (إذا لقيت فلاناً فعظمه تعظيم السلطان)، يراد به: كما تعظم السلطان، وكما قال الشاعر:

فلست مسلماً ما دمت حياً على زيدٍ بتسليم الأمير

يراد به: كما يسلم على الأمير.

وقد يحتمل أن يكون المعنى - على هذا التأويل الذي تأوله هؤلاء -:

ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن رسوله، كمثل المنعوق به من

(١) وإن قدر سماع فهو سماع الجنية التي في بعضها.

(٢) وسنستفيض في إيراد أقوالهم حتى يتضح المعنى تماماً إن شاء الله.

(٣) أثر (٢٤٥٦)، والآثار التي أشرنا إليها - غير هذا - في أسانيدنا ضعف.

البهائم، الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت. وذلك أنه لو قيل له: (اعتلف، أورد الماء)، لم يدر ما يقال له غير الصوت الذي يسمعه من قائله. فكذلك الكافر، مثله في قلة فهمه لما يؤمر به وينهى عنه - بسوء تدبره إياه وقلة نظره وفكره فيه - مثل هذا المنعوق به فيما أمر به ونهى عنه. فيكون المعنى للمنعوق به، والكلام خارجاً على الناعق، كما قال نابغة بني ذبيان:

وقد خفت، حتى ما تزيد مخافتي على وعلي في ذي المطارة عاقل

والمعنى: حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتي، وكما قال الآخر:

كانت فريضة ما تقول، كما كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى: كما كان الرجم فريضة الزنا، فجعل الزنا فريضة الرجم، لوضوح معنى الكلام عند سامعه، وكما قال الآخر:

إن سراجاً لكريمٍ مفخره تحلى به العين إذا ما تجهره

والمعنى: يحلى بالعين، فجعله تحلى به العين. ونظائر ذلك من كلام العرب أكثر من أن تحصى، مما توجهه العرب من خبر ما تخبر عنه إلى ما صاحبه، لظهور معنى ذلك عند سامعه، فتقول: (اعرض الحوض على الناقة)، وإنما تعرض الناقة على الحوض، وما أشبه ذلك من كلامها.

وقال آخرون: معنى ذلك: ومثل الذين كفروا في دعائهم ألهتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل، كمثلي الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً، وذلك الصدى الذي يسمع صوته ولا يفهم به عنه الناعق شيئاً.

فتأويل الكلام على قول قائل ذلك: ومثل الذين كفروا وألهمهم - في دعائهم إياها وهي لا تفقه ولا تعقل - كمثلي الناعق بما لا يسمعه الناعق إلا دعاءً ونداءً، أي: لا يسمع منه الناعق إلا دعاءه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله ^(١): ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: ١٧١]، قال: الرجل الذي يصيح في جوف الجبال فيجيبه فيها صوت يراجعه يقال له (الصدى). فمثل آلهة هؤلاء لهم، كمثل الذي يجيبه بهذا الصوت، لا ينفعه، لا يسمع إلا دعاء ونداء. قال: والعرب تسمي ذلك الصدى.

وقد نحتمل الآية على هذا التأويل وجهاً آخر غير ذلك. وهو أن يكون معناها: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم، كمثل الناعق بغنم له من حيث لا تسمع صوته غنمه، فلا تتفجع من نعقه بشيء، غير أنه في عناء من دعاء ونداء. فكذلك الكافر في دعائه آلهته، إنما هو في عناء من دعائه إياها وندائه لها، ولا ينفعه شيء.

قال أبو جعفر: وأولى التأويل عندي بالآية، الأول الذي قاله ابن عباس ومن وافقه عليه. وهو أن معنى الآية: ومثل وعظ الكافر وواعظه، كمثل الناعق بغنمه ونعيقه، فإنه يسمع نعقه ولا يعقل كلامه، على ما قد بينا قبل.

فأما وجه جواز حذف (وعظ) اكتفاء بالممثل منه، فقد أتينا على البيان عنه في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي غيره من نظائره من الآيات، بما فيه الكفاية من إعادته.

وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن هذه الآية نزلت في اليهود، وإياهم عنى الله تعالى ذكره بها، ولم تكن اليهود أهل أوثان يعبدونها، ولا أهل أصنام يعظمونها ويرجون نفعها أو دفع ضررها. ولا وجه - إذ كان ذلك كذلك - لتأويل من تأول ذلك أنه بمعنى: مثل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودعائهم إياها.

فإن قال قائل: وما دليلك على أن المقصود بهذه الآية اليهود؟

قيل: دليلنا على ذلك ما قبلها من الآيات وما بعدها، فإنهم هم المعنيون به.

(١) صحيح عن ابن زيد.

فكان ما بينهما بأن يكون خبراً عنهم، أحق وأولى من أن يكون خبراً عن غيرهم، حتى تأتي الأدلة واضحة بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم. هذا مع ما ذكرنا من الأخبار عمن ذكرنا عنه أنها فيهم نزلت، والرواية التي روينا عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم^(١). وبما قلنا من أن هذه الآية معني بها.

وقال ابن القيم رحمته الله (التفسير القيم):

(١) قال شاكركم رحمته الله هذا موضع مشكل في كلام أبي جعفر رحمته الله، كان ينبغي أن يبينه فضل بيان. فإن صدر عبارته قاض بأن كل الآيات التي قبل هذه الآية نزلت في يهود، وليس كذلك. ثم عاد بعد قليل يقول: «هذا مع الرواية التي رويناها عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم» - يعني في يهود. ولو كان الأمر كما يفهم من صدر عبارته، لم يكن لنصه بعد ذلك على أن الآية التي «قبل هذه الآية» نزلت فيهم، فيما روي عن ابن عباس - معنى مفهوم.

والظاهر أن أبا جعفر كان أراد أن يقول: إن الآيات السالفة نزلت في اليهود - إلا الآيات الأخيرة من أول قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَعَلَّيْكَ﴾ [البقرة: ١٦١ - ١٦٣]. فهي قد نزلت في كفار العرب، وذكر ابن عباس أن الآية الأخيرة: (١٧٠) نزلت في يهود أيضاً. ثم أن الآيات بعدها هي ولا شك في يهود وأهل الكتاب، فلذلك حمل معنى الآية هذه أنه مراد به اليهود. فكأنه جعل الآيات من (١٦٣ - ١٦٩) اعتراضاً في سرد قصة واحدة، هي قصة يهود.

فإن لم يكن ذلك كذلك، فلست أدري كيف يتسق كلامه. فهو منذ بدأ في تفسير هذه الآيات من ٣٦١-٩٦١ لم يذكر إلا أهل الشرك وخدمهم، وبين أن المقصود بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا﴾ - هم الذين حرموا على أنفسهم البحائر والسوائب والوصائل (ص ٥٠٣)، ثم عاد في تأويل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا﴾ فقال: فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي (ص ٣٠٣). واليهود، كما أنهم لم يكونوا أهل أوثان يعبدونها، أو أصنام يعظمونها كما قال أبو جعفر، فهم أيضاً لم يحرموا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة كما ذكر في تفسير الآيات السالفة.

فهذا تناقض منه رحمته الله - إلا إذا حمل كلامه على استثناء الآيات التي ذكرت أنه فسرها على أنه مراد بها مشركو العرب الذين حرموا على أنفسهم ما حرموا على البحائر والسوائب والوصائل.

والصواب من القول عندي، أن هذه الآية تابعة للآيات السالفة، وأن قصتها شبيهة بقصة ما قبلها في ذكر المشركين الذي قال الله لهم: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]، وأن العود إلى قصة أهل الكتاب هو أول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [البقرة: ١٧٤] والآيات التي تليها.

وانظر ما سيأتي: ٧١٣، فإنه قد عاد هناك، فجعل الآية خاصة بالمشركين من أهل الجاهلية، بذكره ما حرموا على أنفسهم من المطاعم، وهو تناقض شديد.

تضمن هذا المثل: ناعقاً أي: مصوتاً بالغنم وغيرها، ومنعوقاً به. وهو الدواب فقيل: الناعق العابد، وهو الداعي للصنم. والصنم: هو المنعوق به المدعو، وأن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه. هذا قول طائفة. منهم عبدالرحمن بن زيد وغيره.

واستشكل صاحب الكشاف وجماعة معه هذا القول، وقالوا: قوله ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: ١٧٦] لا يساعد عليه. لأن الأصنام لا تسمع دعاء ولا نداءً.

وقد أحيب عن هذا الاستشكال بثلاثة أجوبة:

أحدها: أن «إلا» زائدة. والمعنى بما لا يسمع دعاء ونداء.

قالوا: وقد ذكر ذلك الأصمعي في قول الشاعر:

حراجيح ما تنفك إلا مناخة

أي: ما تنفك مناخة. وهذا جواب فاسد. فإن «إلا» لا تزداد في الكلام المثبت.

الجواب الثاني: أن التشبيه وقع في مطلق الدعاء، لا في خصوصيات المدعو.

الجواب الثالث: أن المعنى: أن مثل هؤلاء في دعائهم أهتهم التي لا تفقه دعاءهم

كمثل الناعق بغنمه فلا ينتفع من نعيقه بشيء، غير أنه هو في دعاء ونداء. وكذلك المشرك ليس له من دعائه وعبادته وليه الميت إلا العناء.

وقيل: المعنى: ومثل الذي كفروا كالبهائم التي لا تفقه مما يقول الراعي أكثر من

الصوت. فإن الراعي هو داعي الكفار، والكفار هم البهائم المنعوق بها.

قال سيبويه: المعنى: ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به.

وعلى قوله فيكون المعنى: مثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الغنم والناعق ولك

أن تجعل هذا من التشبيه المركب، وأن تجعله من التشبيه المفرق.

فإن جعلته من المركب كان تشبيهاً للكفار. في عدم فقههم وانتفاعهم. بالغنم التي

ينعق بها الراعي، فلا تفقه من قوله شيئاً غير الصوت المجرد، الذي هو الدعاء والنداء.

وإن جعلته من التشبيه المفرق، فالذين كفروا بمنزلة البهائم، ودعاء داعيهم إلى

الطريق والهدى بمنزلة البهائم التي ينعق بها ودعاؤهم إلى الهدى بمنزلة النعق، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق.

❦ **وقال القرطبي** رحمته: والمعنى ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم فحذف لدلالة المعنى.

❦ **وقال أيضاً**: وقال قُطْرِب: المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم - يعني الأصنام كمثل الراعي إذا نعق بغنمه وهو لا يدري أين هي.

وقال ابن سعدي رحمته:

ثم قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ القرة: ١٧١.

لما بين تعالى، عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، وردهم لذلك، بالتقليد، وعلم من ذلك أنهم غير قابلين للحق، ولا مستجيبين له، بل كان معلوماً لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم أخبر تعالى أن مثلهم - عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان - كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها، وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها.

فهم لا يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم عليه الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقهاً ينفعهم، فلهذا كانوا صمًا لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عميًّا، لا ينظرون نظر اعتبار، بكمًا، فلا ينطقون بما فيه خير لهم.

والسبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء وأجهل الجهلاء.

فهل يستريب العاقل، أن من دعي إلى الرشاد، وزيد عن الفساد، ونهي عن اقتحام العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه، وفوزه، ونعيمه فعصى الناصح، وتولى عن أمر ربه، واقتحم النار على بصيرة، واتبع الباطل، ونبذ الحق - أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء، فإنه من أسفه السفهاء.

وقال الزجاج (في معاني القرآن وإعرابه) رحمه الله:

وضرب الله ﷻ لهم هذا المثل وشبههم بالغنم المنعوق بها بما لا يسمع منه إلا الصوت فالمعنى مثلك يا محمد ومثلهم كمثل الناعق والمنعوق به بما لا يسمع لأن سمعهم ما كان ينفعهم فكانوا في شركهم وعدم قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمع: أصم، قال الشاعر:

أصمُّ عما ساءه سميع

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ (زاد المسير ص ١٧٤ / ١):

قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾ [البقرة: ١٧١].

في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناها: ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق بها الراعي، وهذا قول الفراء، وثعلب، قالاً جميعاً: أضاف المثل إلى الذين كفروا، ثم شبههم بالراعي، ولم يقل: كالغنم، والمعنى: ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فلو قال لها الراعي: ارعي، أو اشربي؛ لم تدر ما يقول، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن، وإنذار الرسول، فأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى في المرعي، وهو ظاهر كلام العرب، يقولون: فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنى: كخوفه الأسد.

قال الشاعر:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم

المعنى: كما كان الرجم فريضة الزنا.

والثاني: أن معناها: ومثل الذين كفروا، ومثلنا في وعظهم، كمثل الناعق والمنعوق به، فحذف: ومثلنا، واختصاراً، إذ كان الكلام ما يدل عليه. هذا قول ابن قتيبة، والزجاج.

والثالث: ومثل الذين كفروا في دعائهم ألهمتهم التي يعبدون، كمثل الذي ينعق، هذا قول ابن زيد، والذي ينعق هو الراعي، يقال: نعق بالغنم، ينعق نعقاً ونعيقاً

ونعقاً. قال ابن الأنباري: والفاشي في كلام العرب أنه لا يقال: نعق، إلا في الصباح بالغنم وحدها، فالغنم تسمع الصوت ولا تعقل المعنى. ﴿صُمُّ بَكْمٌ﴾ [البقرة: ١٧١] إنما وصفهم بالصم البكم، لأنهم في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع، وكذلك في النطق والنظر، وقد سبق شرح هذا المعنى.



س: كيف يقال عن الكفار: إنهم: (صم وبكم وعمي) مع أنهم يسمعون ويتكلمون ويبصرون؟

ج: المراد - والله أعلم - أنهم صم عن سماع الحق فلا يسمعون وإن سمعوه لا يعقلوه، وبكم أي: خرس عن التكلم به، وعمي عن رؤيته والله تعالى أعلم.

هذا وقد قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾ [البقرة: ١٧١] هؤلاء الكفار الذين مثلهم كمثل الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ﴿صُمُّ﴾ [البقرة: ١٧١] عن الحق فهم لا يسمعون ﴿بَكْمٌ﴾ [البقرة: ١٧١] يعني خرس عن قيل الحق والصواب والإقرار بما أمرهم الله أن يقرؤا به وتبين ما أمرهم الله - تعالى ذكره - أن يبينوه من أمر محمد ﷺ للناس فلا ينطقون به ولا يقولونه ولا يبينونه للناس ﴿عُمِيٌّ﴾ [البقرة: ١٧١] عن الهدى وطريق الحق فلا يبصرونه.

ثم أورد الطبري رَحِمَهُ اللهُ أثراً بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: قوله: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾ [البقرة: ١٧١] يقول: صم عن الحق فلا يسمعون ولا ينتفعون به ولا يعقلونه، عمي عن الحق والهدى فلا يبصرونه، بكم عن الحق فلا ينطقون به (١).

(١) الطبري أثر (٢٤٦٤).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا
 رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٣﴾
 إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ
 وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا
 عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٤﴾

الكلمة	معناها
﴿كُلُوا مِن﴾ ﴿طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ﴿اضْطُرَّ﴾	كلوا من الرزق الحلال الطيب الذي أحلته لكم فطاب لكم بتحليلي إياه. ألجأته الضرورة.



(١) وقد تكون الضرورة بالجوع المفضي إلى الموت أو الذي يخشى منه الموت، أو تكون الضرورة بإكراه من عدو إلى غير ذلك، والله أعلم.

س: رزق الله للعباد يستلزم الشكر، ومزيد الرزق يستلزم مزيد الشكر وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن العبد عليه أن يكون فطناً ذكياً فكلما أنعم الله عليه بنعمة أحدث لها شكراً فتزداد نعم الله عليه، وإلا سلبت منه تلك النعم، وكان الجحود مؤذناً بزوالها.

ألا ترى أن سليمان عليه السلام لما أنعم الله عليه بما أنعم ورأى عرش ملكة سبأ مستقراً عنده ماذا قال؟!!

﴿ قال عليه السلام: هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠] ألا ترى أن موسى عليه السلام لما اصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه ماذا قال الله له، قال عليه السلام: ﴿يَمْوَسَّىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَاتِي فَخُذْ مَاءً مِّنْ آتِنَاكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿ وقال الله تعالى لأهل الإيمان لما من عليهم بالرزق الحلال: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالى لقوم سبأ: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُم بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥]، وقال الله عليه السلام: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل: ١١٤].

﴿ ولما أنعم الله على يوسف عليه السلام بالتوحيد والإيمان ماذا قال؟

﴿ قال عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٨].

﴿ وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَنْقُبُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ

فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿[الأحقاف: ١٥، ١٦].

❁ وقال النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا أكل أحدكم الأكلة أن يحمده عليها وإذا شرب الشرية أن يحمده عليها».

❁ وقال نوح لما نجاه الله من القوم الظالمين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّنا مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحت على شكر الله على نعمه وآلائه.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿لَئِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]؟

ج: المراد - والله أعلم - اشكروا لله إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين، فكلوا مما أباحه لكم، ودعوا ما حرّمه الشيطان عليكم.



س: أمر الله ﷻ المؤمنين بما أمر به المرسلين في أكل الطيبات، وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما أخرج به مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] الحديث.



س: ما صلة هذه الآية ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ [البقرة: ١٧٣] بالآية التي

قبلها؟

ج: الصلة بين الآيتين تتضح من إيراد المعنى، وهو كلوا أيها المؤمنون مما أحللتها لكم واشكروا نعم الله عليكم في تحليله لكم ما أحله وتطيبه لكم، ولا تحرموا على أنفسكم الطيبات التي أحللتها لكم، ولا تعتقدوا في شيء أنه محرّم فتمتنعون من أكله فإن الذي حرّمته عليكم إنما هو الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله،

وما سوى ذلك فهو لكم حلال.

قال الطبري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] يعني: اطعموا من حلال الرزق الذي أحلناه لكم فطاب لكم بتحليلي إياه لكم مما كنتم تحرمون أنتم ولم أكن حرمة عليكم من المطاعم والمشارب، ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢] يقول: وأثنوا على الله بما هو أهله منكم على النعم التي رزقكم وطيبها لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] يقول: إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين فكلوا مما أباح لكم وحلله وطيبه لكم ودعوا في تحريمه خطوات الشيطان. وقد ذكرنا بعض ما كانوا في جاهليتهم يحرمونه من المطاعم وهو الذي ندهم إلى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه إذ كان تحريمه إياه في الجاهلية طاعة منهم للشيطان، واتباعاً لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف ثم بين لهم تعالى ذكره ما حرم عليهم وفصله لهم مفسراً.



س: هل هناك محرمات أخرى أضيفت إلى ما في هذه الآية الكريمة؟

ج: نعم هناك محرمات أخرى منها: كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من السباع فقد حرمها النبي ﷺ.



س: القراءة في ﴿الْمَيْتَةِ﴾ [البقرة: ١٧٣] هل هي بالتخفيف أم بالتشديد؟

ج: ذكر الطبري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فيها الوجهين فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وأما ﴿الْمَيْتَةِ﴾ [البقرة: ١٧٣] ، فإن القراءة مختلفة في قراءتها. فقرأها بعضهم بالتخفيف، ومعناه فيها التشديد، ولكنه يُخففها كما يخفف القائلون في: «هو هيِّن لِيْن» «الهيِّن اللين»، كما قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميتُ ميتُ الأحياء

فجمع بين اللغتين في بيت واحد، في معنى واحد.

وقرأها بعضهم بالتشديد، وحملوها على الأصل، وقالوا: إنما هي (مَيُوت) (فيعل)، من الموت. ولكن (الياء) الساكنة، (الواو) المتحركة لما اجتمعتا، (والياء) مع سكونها متقدمة، قلبت (الواو) (ياء) وشدت، فصارتا (ياء) مشددة، كما فعلوا في ذلك في (سيد وجيد). قالوا: ومن خففها، وإنما طلب الخفة. والقراءة بها على أصلها الذي هو أصلها أولى.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في «ياء» «الميتة» لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب، فبأيهما قرأ ذلك القارئ فمصيب. لأنه لا اختلاف في معنيهما.



س: ما المراد بالإهلال في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]؟، وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]

ج: المراد بالإهلال رفع الصوت، ومن ثمَّ قيل للملبي مُهل؛ لرفعه صوته بالتلبية، وقال النبي ﷺ: «ما من مولود يولد إلا ويطن الشيطان في خاصرته حين يولد فيستهل صارخًا...» الحديث، فالإهلال رفع الصوت.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] فمعناه - والله أعلم - وما ذبح وذكر عليه اسم غير اسم الله ﷻ، وذلك أنهم كانوا يذكرون اسم آلهتهم على الذبيحة ويرفعون أصواتهم بذلك.

وأخرج الطبري رحمه الله بإسنادٍ صحيح إلى ابن وهب قال: قال ابن زيد - وسأله عن قول الله: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] قال: ما يذبح لآلهتهم، الأنصاب التي يعبدونها ويسمون أسماءها عليها، قال: يقولون: (باسم فلان)، كما تقول أنت: (باسم الله)، قال: فذلك قوله: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾^(١).

ومن العلماء من قال: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ [البقرة:

(١) الطبري أثر (٦٧٤٢).

١٧٣] ما ذبح لغير الله ^(١)، والله تعالى أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، منها:

القول الأول: غير باغ على الناس خارج على الأئمة بسيفه بغير حق ولا خارج في معصية الله ولا مفارق للجماعة ولا عادياً عليهم بحرب وعدوان، فمن خرج وهو مفارق للجماعة أو خرج على إمام المسلمين أو خرج قاطعاً للطريق ولم يجد طعاماً فليس له أن يأكل من الميتة والدم ولحم الخنزير وممن قال بهذا القول مجاهد بن جبر رضي الله عنه فقد روى الطبري ذلك عنه من عدة طرق ^(٢).

والقول الثاني: وهو غير باغ غير طالب للحرام وللشهوة، و﴿وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة:

٣٧١] أي: ولا تمتد القدر الذي أبيح له أن يأكله.

فليس له أن يطلب الحرام ويشنّده، وليس له أن يأكل أكثر من حاجته.

وقد أخرج الطبري ^(٣) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] قال: غير باغ في أكله ولا عاد أن يتعدى حلالاً إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة. وأخرج الطبري أيضاً بإسناد صحيح إلى ابن زيد ^(٤) في قوله: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] قال: يأكل ذلك بعياً وتعدياً عن الحلال إلى الحرام ويترك الحلال وهو عنده، ويتعدى بأكل هذا الحرام هذا التعددي ينكر أن يكونا مختلفين ويقول: هذا وهذا واحد.

﴿قال الطبري رضي الله عنه: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: فمن اضطر غير باغ بأكله ما حُرّم عليه من أكله، ولا عاد في أكله، وله عن ترك أكله - بوجود غيره

(١) وقد أخرج ذلك الطبري بإسناد حسن عن قتادة (أثر ٨٦٤٢).

(٢) وقد تعقب الطبري هذا القول كما سيأتي إن شاء الله.

(٣) الطبري أثر (٧٨٤٢).

(٤) الطبري أثر (٢٩٤٢).

مما أحله الله له - مندوحة وغنى .

وذلك أن الله - تعالى ذكره - لم يرخص لأحد في قتل نفسه بحال . وإذ كان ذلك كذلك، فلا شك أن الخارج على الإمام والقاطع الطريق، وإن كانا قد أتيا ما حرّم عليهما :- من خروج هذا على من خرج عليه، وسعي هذا بالإفساد في الأرض - فغير مبيح لهما فعلهما ما فعلا مما حرم الله عليهما - ما كان حرم الله عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من ذلك - من قتل أنفسهما . (وردّهما إلى محارم الله عليهما بعد فعلهما ما فعلا، وإن كان قد حرم عليهما ما كان مُرَخَّصًا لهما قبل ذلك من فعلهما، وإن لم نردّهما إلى محارم الله عليهما تحريمًا فغير مرخص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حرامًا) . فإذا كان ذلك كذلك، فالواجب على قطاع الطريق والبغاة على الأئمة العادلة، الأوبة إلى طاعة الله، والرجوع إلى ما ألزمهما الله الرجوع إليه، والتوبة من معاصي الله - لا قتل أنفسهما بالمجاعة، فيزدادن إلى إثمهما إثمًا، وإلى خلافهما أمر الله خلافًا .

وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه غير باغٍ في أكله شهوة، فأكل ذلك شهوة، لا لدفع الضرورة المخوف منها الهلاك مما قد دخل فيما حرمه الله عليه - فهو بمعنى ما قلنا في تأويله، وإن كان للفظه مخالفاً .

فأما توجيه تأويل قوله: ﴿وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ولا آكل منه شعبة، ولكن ما يمسك به نفسه، فإن ذلك، بعض معاني الاعتداء في أكله، ولم يخص الله من معاني الاعتداء في أكله معنى فيقال: عنى بعض معانيه .

فإذ كان ذلك كذلك، فالصواب من القول ما قلنا: من أنه الاعتداء في كل معانيه المحرمة .

وقال الماوردي في تفسيره: وفي قوله: ﴿غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] ثلاثة

أقوال:

أحدها: غير باغ على الإمام ولا عاد على الأمة بإفساد شملهم فيدخل الباغي

على الإمام وأمته، والعادي قاطع الطريق، وهو معنى قول مجاهد وسعيد بن جبير.
والثاني: غير باغ في أكله فوق حاجته، ولا عاد يعني متعدياً بأكلها وهو يجد غيرها،
وهو قول قتادة والحسن وعكرمة والربيع وابن زيد.

والثالث: غير باغ في أكلها شهوة وتلذذاً ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع،
وهو قول السدي، وأصل البغي في اللغة: قصد الفساد، يقال: بغت المرأة تبغي بغاءً
إذا فجرت، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَنِيَتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]،
وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد، والعرب تقول: خرج الرجل في بغاء إبل له،
أي: في طلبها ومنه قول الشاعر:

لا يـمـنـعـنـكـ مـنـ بـغـاء
الـخـيـر تـعـقـادُ التـمـائم
إـن الأـشـاء مـ كـالأـيـام
مـن والأـيـام كـالأـشـاء

❁ وذهب الشنقيطي ❁ في أضواء البيان: إلى أن الباغي والعادي هو المتجانف
لإثم، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] ثم قال: والمتجانف المائل ومنه قول الأعشى:

تـجـانـف عـن حـجـر الـيـمـامـة نـاقـي
وـمـا قـصـدـت مـن أهـلـها لـسـوائـكـا

يفهم من الآية: أن الباغي والعادي كلاهما متجانف لإثم وهذا غاية ما يفهم
منها.



س: ما موقع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] من التأويل في هذه
الآية الكريمة: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:
١٧٣]؟

ج: موقعها أن من أكل شيئاً من هذه الأطعمة المحظورة مضطراً إليها غير باغ ولا
عاد فإن الله غافر له ذنبه رحيم بكم إن أطعتموه.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] أي: يغفر المعاصي، فأولى ألا يؤاخذ بما رخص فيه، ومن رحمته أنه رخص.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال أبو جعفر: يعني بقوله - تعالى ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾: إن أطعتم الله في إسلامكم، فاجتنبتم أكل ما حرم عليكم، وتركتم اتباع الشيطان فيما كنتم تحرّمونه في جاهليّتكم - طاعة منكم للشيطان واقتفاء منكم خطواته - مما لم أحرمه عليكم، لما سلف منكم، في كفركم وقبل إسلامكم، في ذلك من خطأ وذنب ومعصية، فصافح عنكم، وتارك عقوبتكم عليه، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم إن أطعتموه.



س: اذكر آيتين في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]؟

ج: أما الآية الأولى فهي قوله تعالى من سورة النحل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وتمّ آية أخرى من سورة المائدة: قال الله ﷻ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ..إلى قوله تعالى: .. فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ

مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿المائدة: ٣﴾.



س: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْخِنْزِيرَ وَمَا أُهْلَ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ [البقرة: ١٧٣] عامٌّ فهل جاءه تخصيص؟

ج: نعم خصصت الآية الكريمة.

فالميتة أبيض منها ميتة السمك والجراد؛ قال الله ﷻ: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعْنَاكُمْ وَاللَّسْيَارَةَ﴾^(١) [المائدة: ٩٦] وحديث جابر رضي الله عنه في العنبر يخصص الآية الكريمة وكذلك^(٢) الحوت الذي قذفه البحر لأصحاب رسول الله ﷺ فأكلوا منه

(١) قال الشنقيطي رحمته الله (أضواء البيان): قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ﴾ [البقرة: ١٧٣] الآية ظاهر هذه الآية: أن جميع أنواع الميتة والدم حرام، ولكنه بين في موضع آخر أن ميتة البحر خارجة عن ذلك التحريم، وهو قوله: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ﴾ [المائدة: ٩٦] الآية، إذ ليس للبحر طعام غير الصيد إلا ميتته وما ذكره بعض العلماء من أن المراد بد (طعامه) قديده المجفف بالملح مثلاً، وأن المراد ب (صيده) الطري منه، فهو خلاف الظاهر لأن القديد من صيده فهو صيد جعل قديداً، وجمهور العلماء على أن المراد بطعامه ميتته.

﴿وقال القرطبي رحمته الله: وأكثر أهل العلم على جواز أكل جميع دواب البحر حيها وميتها.

(٢) أخرج البخاري (١٦٣٤)، ومسلم (حديث ٥٣٩١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ ونحن ثلاثمائة راكب. وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح. نرصد غيراً لقريش. فأقمنا بالساحل نصف شهر. فأصابنا جوع شديد. حتى أكلنا الخبط. فسمي جيش الخبط. فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر. فأكلنا منها نصف شهر. وادها من ودكها حتى ثابت أجسامنا^(١) قال: فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه^(٢). ثم نظر إلى أطول رجل في الجيش، وأطول جمل فحمله عليه، فمر تحته. قال: وجلس في حجاج^(٣) عينه نفر. قال: وأخرجنا من وقب عينه كذا وكذا قلة ودك^(٤). قال: وكان معنا جرابٌ من تمرٍ فكان أبو عبيدة يعطي كل رجل منا قبضة قبضة ثم أعطانا ثمرةً ثمرةً. فلما فنى وجدنا فقده.

وفي رواية لمسلم (ص ٥٣٥١) عن جابر. قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبو عبيدة. نتلقى غيراً^(٥) لقريش. وزودنا جراباً^(٦) من تمرٍ لم يجد لنا غيره. فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرةً ثمرةً. قال فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها^(٧) كما يمص الصبي. ثم نشرب عليه من الماء. فتكفينا يوماً إلى الليل. وكنا نضرب بعصينا الخبط^(٨). ثم نبله بالماء فنأكله. قال: وانطلقنا على ساحل البحر. فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب^(٩) الضخم. فأتيناها فإذا هي دابة تدعى العنبر. قال: قال أبو عبيدة: ميتةٌ ثم قال: لا. بل نحن رسل رسول الله ﷺ. وفي سبيل الله. وقد اضطررتم فكلوا. قال: فأقمنا عليه شهراً. ونحن ثلاث مائة حتى سمنا. قال: ولقد رأيتنا نغترف

وقول النبي ﷺ في البحر: «هو الظهور ماؤه الحل ميتته»^(١).

وقال ابن عمر: أحلت لنا ميتتان ودمان؛ أما الميتتان فالسمك والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال^(٢).

- (١) ثابت أجسامنا، أي: رجعت إلى الحالة الأولى.
- (٢) فنصبه، كذا هو في النسخ: فنصبه. والضلع مؤنث. ووجه التذكير أنه اراد العضو.
- (٣) حجاج، الحياء مكسورة ومفتوحة. لغتان مشهورتان. وهو بمعنى وقب عينه المذكور في الرواية السابقة.
- (٤) ودك: هو دسم اللحم.
- (٥) عيرا: العير هي الإبل التي تحمل الطعام وغيره.
- (٦) جرابا: بكسر الجيم وفتحها. الكسر أفصح، وهو: وعاء من جلد.
- (٧) نمصها: بفتح الميم وضمها. الفتح أفصح وأشهر.
- (٨) الخبط: ورق السلم.
- (٩) الكثيب: هو الرمل المستطيل المجدوب.
- من وقب^(١) عينه، بالقلال^(٢) الدهن منه الفدر^(٣) كالثور (أو كقدر الثور^(٤)) فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً. فأقعدهم في وقب عينه. وأخذ ضلعاً. من أضلاعه فأقامها ثم رحل^(٥) أعظم يعير معنا. فمر من تحتها. وتزدنا من لحمه وشائق^(٦). فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ. فذكرنا ذلك له. فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم. فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه. فأكله.
- وأخرج مسلم كذلك في آخر صحيحه من حديث جابر بن عبد الله ﷺ (حديث ٤١٠٣): وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع فقال: «عسى الله أن يطعمكم»، فأتينا سيف البحر فوخر البحر زخرة فألقى دابة فأورينا على شقها النار فاطبخنا واشتوتينا وأكلنا حتى شبعنا، قال جابر: فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا فأخذنا ضلعاً من أضلاعه فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل في الركب وأعظم جمل في الركب وأعظم كفل في الركب فدخل تحت ما يطأ رأسه.
- (١) صححه عددٌ من أهل العلم منهم البخاري رحمه الله (ليس معنى ذلك أنه أخرجه في صحيحه، فقد يصحح البخاري أحاديث ليست في صحيحه، والحديث ليس في صحيح البخاري) ولمزيد من الوقوف على طريقه ومن صححه وأقوال العلماء فيه انظر التلخيص الحبير (حديث رقم ١) فهو أول حديث فيه.
- (٢) صحيح موقفاً على ابن عمر رحمه الله لكن له حكم الرفع فقول الصحابي: (أحل لنا كذا)، له حكم الرفع عند جمهور المحققين، وقد رواه موقفاً على ابن عمر البيهقي رحمه الله في «السنن الكبرى» (١/٤٥٢) وفي «السنن الصغرى» (٢/٨٠٤) وقد روي هذا الحديث عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان... الحديث»، وقد أخرجه من هذا الوجه المرفوع الشافعي في مسنده (ص ٤٣)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٢/١٤)، وأحمد في «المسند» (٢/٧٩)، وابن ماجه في سننه (١٢٣، ٤١٣٣)، والبيهقي في «الكبرى»

والدم قد خصص بالدم المسفوح كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا...﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥].
 وخرج منه أيضًا الكبد والطحال على ما تقدم، وكذلك الدم الذي في العروق
 وعلى اللحم بعد الذبح كما سيأتي (كالحمرة التي تعلقو القدر من أثر تقطيع اللحم).



س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في استعمال أنفحة الميته؟

ج: أوردها القرطبي مختصرة فقال:

فأما أنفحة الميته ولبن الميته فقال الشافعي: ذلك نجس؛ لعموم قوله تعالى: ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣] وقال أبو حنيفة بطهارتهما؛ ولم يجعل لموضع الخلقة أثرًا في تنجس ما جاوره مما حدث في خلقه، قال: ولذلك يؤكل اللحم بما فيه من العروق، مع القطع بمجاورة الدم لدواخلها من غير تطهير ولا غسل إجمالًا. وقال مالك نحو قول أبي حنيفة: إن ذلك لا ينجس بالموت، ولكن ينجس بمجاورة الوعاء النجس وهو مما لا يتأتى فيه الغسل. وكذلك الدجاجة تخرج منها

= (٧٥٢/٩)، (٧/٠١) وفي المعرفة (٧/١٩١)، وابن عدي في «الكامل» (٤/١٧٢، ٤٥٢)، والدارقطني في «السنن» (٤/١٧٢، ٢٧٢) وغيرهم لكن رجح أكثر أهل العلم الموقوف وصوبوا أنه من قول ابن عمر رضي الله عنهما.
 وممن رجح الموقوف الدارقطني والبيهقي وقبلهما أبو حاتم الرازي.

- (١) وقب: هو داخل عينه ونقرتها.
 - (٢) بالقلال، جمع قلة: وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديها، أي: بحملها.
 - (٣) الفدر: هي القطع.
 - (٤) كقدر الثور: رويناه بوجهين مشهورين في نسخ بلادنا: أحدهما بقاف مفتوحة ودال ساكنة، أي: مثل الثور، والثاني كقدر جمع فدر. والأول أصح.
 - (٥) رحل، أي: جعل عليه رحلاً.
 - (٦) وشائق: قال أبو عبيد: هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء، ولا ينضج، ويحمل في الأسفار. يقال: وشقت اللحم فاتشق. والشيقة الواحدة منه. والجمع وشائق ووشق. وقيل: الوشيقة القديد.
- ✽ ووصف بعض أهل العلم الحديث المرفوع بالنكارة (وممن وصفه بذلك العقيلي في الضعفاء). وعلى كلِّ الموقوف هنا له حكم الرفع كما قدمناه، والله تعالى أعلم.

البيضة بعد موتها؛ لأن البيضة لينة في حكم المائع قبل خروجها، وإنما تجمد وتصلب بالهواء.

قال ابن خويز منداد: فإن قيل: فقولكم يؤدي إلى خلاف الإجماع؛ وذلك أن النبي ﷺ والمسلمين بعده كانوا يأكلون الجبن وكان مجلوباً إليهم من أرض العجم، ومعلوم أن ذبائح العجم وهم مجوس ميته، ولم يعتدوا بأن يكون مجمداً بأنفحة ميته أو ذكبي. قيل له: قدر ما يقع من الأنفحة في اللبن المجبن يسير؛ واليسير من النجاسة معفو عنه إذا خالط الكثير من المائع. هذا جواب على إحدى الروايتين. وعلى الرواية الأخرى إنما كان ذلك في أول الإسلام، ولا يمكن أحد أن ينقل أن الصحابة أكلت الجبن المحمول من أرض العجم، بل الجبن ليس من طعام العرب؛ فلما انتشر المسلمون في أرض العجم بالفتوح صارت الذبائح لهم؛ فمن أين لنا أن النبي ﷺ والصحابة أكلت جبناً فضلاً عن أن يكون محمولاً من أرض العجم ومعمولاً من أنفحة ذبائحهم!



س: يشق على الشخص، وهو ينظف الذبيحة أن يخلصها تماماً من الدم الموجود باللحم والعروق فماذا يصنع؟

ج: لا بأس بطبخ اللحم وهو على هذه الحالة، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقد قيد الدم الممنوع بالدم المسفوح، قال القرطبي:

قال ابن خويز منداد: وأما الدم فمحرم ما لم تعم به البلوى، ومعفو عما تعم به البلوى. والذي تعم به البلوى هو الدم في اللحم وعروقه، ويسيره في البدن والشوب يصلى فيه. وإنما قلنا ذلك لأن الله تعالى قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]، وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] فحرم المسفوح من الدم. وقد روت

عائشة رضي الله عنها قالت: كنا نطبخ البرمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلوها الصفرة من الدم فأكل ولا ننكره؛ لأن التحفظ من هذا إصرٌ وفيه مشقة، والإصر والمشقة في الدين موضوع. وهذا أصل في الشرع، أن كل ما حرجت الأمة في أداء العبادة فيه وثقل عليها سقطت العبادة عنها فيه؛ ألا ترى أن المضطر يأكل الميتة؛ وأن المريض يفطر ويتيمم في نحو ذلك.

قلت: ذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الدم هاهنا مطلقاً، وقيده في الأنعام بقوله: **﴿مَسْفُوحًا﴾**، وحمل العلماء هاهنا المطلق على المقيد إجماعاً. فالدم هنا يراد به المسفوح؛ لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع، وكذلك الكبد والطحال مجمع عليه.



س: ما حكم شحم الخنزير؟

ج: قال القرطبي رحمته الله: أجمعت الأمة على تحريم شحم الخنزير. وكذلك نقل هذا الإجماع ابن جزى الكلبي في تفسيره ونقله أيضاً غير واحد من العلماء.

﴿وقال ابن العربي في أحكام القرآن:﴾ اتفقت الأمة على أن (لحم) ^(١) الخنزير حرام بجميع أجزائه، والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه، وقد شغفت جماعة المبتدعة بأن تقول: فما بال شحمه، بأي شيء حرم؟ وهم أعاجم لا يعلمون أنه من قال لحمًا فقد قال شحمًا ومن قال شحمًا فلم يقل لحمًا، إذ كل شحم لحم وليس كل لحم شحمًا من جهة اختصاص اللفظ، وهو لحم من جهة حقيقة اللحمية، كما أن كل حمدٍ شكر وليس كل شكر حمدًا من جهة ذكر النعم، وهو حمد من جهة ذكر فضائل المنعم.



س: ما حد الاضطرار المبيح لأكل الميتة والدم...؟

(١) كلمة (لحم) مثبتة في بعض النسخ، محذوفة من البعض الآخر، والذي يبدو لي أن الأولى حذفها، والله أعلم.

ج: أجاب على ذلك الشنقيطي رحمته الله في أضواء البيان بقوله: حد الاضطراب المبيح لأكل الميتة، هو الخوف من الهلاك علمًا أو ظنًا.

قال الزرقاني في شرح قول مالك في الموطأ ما جاء فيمن يضطر إلى أكل الميتة:

وحد الاضطراب أن يخاف على نفسه الهلاك علمًا أو ظنًا. ولا يشترط أن يصير إلى حال يشرف معها على الموت، فإن الأكل عند ذلك لا يفيد.

وقال النووي في شرح المهذب: الثانية في حد الضرورة:

قال أصحابنا: لا خلاف أن الجوع القوي لا يكفي لتناول الميتة ونحوها، قالوا: ولا خلاف أنه لا يجب الامتناع إلى الإشراف على الهلاك؛ فإن الأكل حينئذ لا ينفع، ولو انتهى إلى تلك الحال لم يحل له أكلها؛ لأنه غير مفيد، واتفقوا على جواز الأكل إذا خاف على نفسه لو لم يأكل من جوع أو ضعف عن المشي أو عن الركوب، وينقطع عن رفقته ويضيع، ونحو ذلك.

فلو خاف حدوث مرض مخوف في جنسه فهو كخوف الموت، وإن خاف طول المرض فكذلك في أصح الوجهين، وقيل: إنهما قولان، ولو عيل صبره، وأجهده الجوع، فهل يحل له الميتة ونحوها أم لا يحل حتى يصل إلى أذنى الرمق؟ فيه قولان ذكرهما البغوي وغيره، أصحابهما: الحل.

قال إمام الحرمين وغيره: ولا يشترط فيما يخافه تيقن وقوعه لو لم يأكل، بل يكفي غلبة الظن، انتهى منه بلفظه. وقال ابن قدامة في المغني: إذا ثبت هذا فإن الضرورة المبيحة هي التي يخاف التلف بها إن ترك الأكل، قال أحمد: إذا كان يخشى على نفسه سواء كان من الجوع، أو يخاف إن ترك الأكل عجز عن المشي، وانقطع عن الرفقة فهلك أو يعجز عن الركوب فيهلك، ولا يتقيد ذلك بزمن محصور.

وحد الاضطراب عند الحنفية هو أن يخاف الهلاك على نفسه أو على عضو من أعضائه يقينًا كان أو ظنًا، والله تعالى أعلم.



س: هل يجب الأكل من الميتة ونحوها إن خاف الهلاك أو يباح من غير وجوب؟

ج: أجاب على ذلك الشنقيطي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضًا فقال:

اختلف العلماء في ذلك، وأظهر القولين الوجوب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ومن هنا قال جمع من أهل الأصول: إن الرخصة قد تكون واجبة، كأكل الميتة عند خوف الهلاك لو لم يأكل منها، وهو الصحيح من مذهب مالك، وهو أحد الوجهين للشافعية، وهو أحد الوجهين عند الحنابلة أيضًا، وهو اختيار ابن حامد.

وهذا هو مذهب أبي حنيفة - رحمه الله - وقال مسروق: من اضطر إلى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات، دخل النار إلا أن يعفو الله عنه. وقال أبو الحسن الطبري المعروف بالكيا: وليس أكل الميتة عند الضرورة رخصة بل هو عزيمة واجبة، ولو امتنع من أكل الميتة كان عاصيًا، نقله القرطبي وغيره، ومن اختار عدم الوجوب ولو أدى عدم الأكل إلى الهلاك، أبو إسحاق من الشافعية، وأبو يوسف - صاحب أبي حنيفة - رحمه الله، وغيرهم، واحتجوا بأن له غرضًا صحيحًا في تركه وهو اجتناب النجاسة، والأخذ بالعزيمة.

وقال ابن قدامة في المغني في وجه كل واحد من القولين ما نصه: وهل يجب الأكل

من الميتة على المضطر فيه وجهان:

أحدهما: يجب وهو قول مسروق، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي قال الأثرم: سئل أبو عبد الله عن المضطر يجد الميتة ولم يأكل، فذكر قول مسروق: من اضطر فلم يأكل ولم يشرب دخل النار. وهذا اختيار ابن حامد. وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وترك الأكل مع إمكانه في هذا الحال إلقاء بيده إلى التهلكة، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ولأنه قادر على إحياء نفسه بما أحله الله فلزمه، كما لو كان

معه طعام حلال.

والثاني: لا يلزمه؛ لما روي عن عبدالله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله ﷺ: أن طاغية الروم حبسه في بيت وجعل معه خمراً ممزوجاً بماء، ولحم خنزير مشوي ثلاثة أيام، فلم يأكل ولم يشرب حتى مال رأسه من الجوع والعطش وخشوا موته، فأخرجوه فقال: قد كان الله أحله لي، لأني مضطر، ولكن لم أكن لأشمتك بدين الإسلام، ولأن إباحة الأكل رخصة فلا تجب عليه كسائر الرخص، ولأن له غرضاً في اجتناب النجاسة والأخذ بالعزيمة، وربما لم تطب نفسه بتناول الميتة، وفارق الحلال في الأصل من هذه الوجوه. وقد قدمنا أن أظهر القولين دليلاً وجوب تناول ما يمسك الحياة، لأن الإنسان لا يجوز له إهلاك نفسه، والعلم عند الله تعالى.



س: هل يُقدم المضطر الميتة أو مال الغير؟

ج: أجب على ذلك الشنقيطي رحمه الله كذلك فقال:

اختلف العلماء في ذلك: فذهب مالك إلى أنه يقدم مال الغير إن لم يخف أن يجعل سارقاً ويحكم عليه بالقطع. ففي موطنه ما نصه: وسئل مالك عن الرجل يضطر إلى الميتة يأكل منها وهو يجد ثمرًا لقوم أو زرعًا أو غنمًا بمكانه ذلك، قال مالك: إن ظن أن أهل ذلك الثمر، أو الزرع، أو الغنم يصدقونه بضرورته حتى لا يعد سارقًا فتقطع يده، رأيت أن يأكل من أي ذلك وجد ما يرد جوعه ولا يحمل منه شيئاً. وذلك أحب إلي من أن يأكل الميتة...

وإن هو خشى ألا يصدقوه. وأن يعد سارقاً بما أصاب من ذلك، فإن أكل الميتة خير له عندي. وله في أكل الميتة على هذا الوجه سعة مع أني أخاف أن يعدو عادٍ ممن لم يضطر إلى الميتة يريد استجازه أموال الناس وزروعهم وثمارهم بذلك بدون اضطرار.

قال مالك: وهذا أحسن ما سمعت. اهـ. وقال ابن حبيب: إن حضر صاحب المال فحق عليه أن يأذن له في الأكل. فإن منعه فجائز للذي خاف الموت أن يقاتله حتى

يصل إلى أكل ما يرد نفسه. الباجي: يريد أنه يدعوه أولاً إلى أن يبيعه بثمن في ذمته، فإن أبي استطعمه، فإن أبي أعلمه أنه يقاتله عليه.

وقال خليل بن إسحاق المالكي في مختصره الذي قال فيه مبيناً لما به الفتوى عاطفاً على ما يقدم المضطر على الميتة وطعام غيره إن لم يخف القطع، وقاتل عليه. هذا هو حاصل المذهب المالكي في هذه المسألة.

ومذهب الشافعي فيها: هو ما ذكره النووي في شرح المهذب بقوله: المسألة الثامنة: إذا وجد المضطر ميتة وطعام الغير وهو غائب فثلاثة أوجه. وقيل ثلاثة أقوال: أصحها يجب أكل الميتة، والثاني يجب أكل الطعام، والثالث يتخير بينهما.

وأشار إمام الحرمين إلى أن هذا الخلاف مأخوذ من الخلاف في اجتماع حق الله تعالى وحق الآدمي، ولو كان صاحب الطعام حاضراً، فإن بذله بلا عوض أو بثمن مثله أو بزيادة يتغابن الناس بمثلها ومعه ثمنه أو رضي بذمته لزمه القبول، ولم يجز أكل الميتة، فإن لم يبعه إلا بزيادة كثيرة فالمذهب، والذي قطع به العراقيون والطبريون وغيرهم: أنه لا يلزمه شراؤه ولكن يستحب، وإذا لم يلزمه الشراء فهو كما إذا لم يبذله أصلاً، وإذا لم يبذله لم يقاتله عليه المضطر إن خاف من المقاتلة على نفسه، أو خاف هلاك المالك في المقاتلة، بل يعدل إلى الميتة، وإن كان لا يخاف، لضعف المالك وسهولة دفعه فهو على الخلاف المذكور فيما إذا كان غائباً، هذا كله تفريع على المذهب الصحيح. وقال البغوي: يشترطه بالثمن الغالي، ولا يأكل الميتة ثم يجيء الخلاف السابق في أنه يلزمه المسمى أو ثمن المثل، قال: وإذا لم يبذل أصلاً، وقلنا طعام الغير أولى من الميتة يجوز أن يقاتله ويأخذه قهراً والله أعلم. وحاصل مذهب الإمام أحمد في هذه المسألة أنه يقدم الميتة على طعام الغير. قال الخرقفي في مختصره: ومن اضطر فأصاب الميتة وخبزاً لا يعرف مالكة أكل الميتة. اهـ.

وقال ابن قدامة في المغني في شرحه لهذا الكلام ما نصه: وبهذا قال سعيد بن

المسيب، وزيد بن أسلم. وقال مالك: إن كانوا يصدقونه أنه مضطر أكل من الزرع والتمر، وشرب اللبن، وإن خاف أن تقطع يده أو لا يقبل منه؛ أكل الميتة، ولأصحاب

الشافعي وجهان:

أحدهما: يأكل الطعام وهو قول عبد الله بن دينار، لأنه قادر على الطعام الحلال فلم يجز له أكل الميتة كما لو بذله له صاحبه.

ولنا أن أكل الميتة منصوص عليه، ومال الأدمي مجتهد فيه، والعدول إلى المنصوص عليه أولى، ولأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق الأدمي مبنية على الشح والتضييق، ولأن حق الأدمي تلزمه غرامته وحق الله لا عوض له.



MOSTAFAALADWIY.COM

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ
 وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي
 بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا
 أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ
 لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

معناها	الكلمة
لا يطهرهم من دنس الذنوب، مؤلم موجه.	﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾
فما أجرأهم على العمل الذي يدخلهم النار - العجب كيف يتحملون النار؟ كيف سيصبرون على النار؟	﴿أَلِيمٌ﴾ ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾
منازعة ومفارقة للحق بعيدة عن الرشد والصواب.	﴿شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

س: من الذين كتموا ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَلِكْتَابٍ ﴾ [البقرة: ١٧٤]؟ وما الشيء الذي كتموه؟

ج: الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب هم اليهود والنصارى^(١)، والذي كتموه جملة أمور، منها صفة محمد ﷺ، ومنها أمور آخر تتعلق بالحدود^(٢) وغيرها.
 ﴿ وَقَدْ أُخْرِجَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ﴾^(٣) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَلِكْتَابٍ ﴾ [البقرة: ١٧٤] الآية كلها: هم أهل الكتاب كتموا ما أنزل الله عليهم وبين لهم من الحق والهدى من بعث محمد ﷺ وأمره.



س: الضمير في قوله: ﴿ بِهِ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ﴾ [البقرة: ١٧٤] يرجع إلى ماذا؟ وضح المعنى بعض الإيضاح؟

ج: الضمير في قوله تعالى: ﴿ بِهِ ﴾ يرجع إلى المكتوم أي: أنهم يشترون بالشيء الذي كتموه ثمنًا قليلًا، فمحتمل أنهم كانوا يأخذون مقابل كتمانهم أمر محمد ﷺ بعض الرشاوي أو يظنون أنهم يحصلون بعض الجاه والمنزلة عند أتباعهم، ويحتمل أيضًا أنهم يحرفون الكتاب ويأخذون عوضًا مقابل تحريفه بما يتمشى مع أهل الشرف والمال منهم، والله تعالى أعلم.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ [البقرة: ١٧٤]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: ما يأكلون في بطونهم إلا ما يوردهم النار. وأطلق على ما يأكلونه أنه نار باعتبار ما سيؤول إليه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]،

(١) وأكثر من كتم اليهود.

(٢) وذلك كآية الرجم ونحوها، وقد تقدم ذلك.

(٣) الطبري (أثر رقم ٤٩٤٢).

والله أعلم.

س: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٤] فنفى سبحانه تكليمه للكفار في هذه الآية الكريمة، وقد أثبتته في آيات أخرى، اذكر بعض الآيات التي ثبت فيها أن الله ﷻ يكلم الكفار، وكيف تجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله للكفار والآيات التي أثبتت ذلك؟

ج: من الآيات التي ورد فيها أن الرب سبحانه يكلم الكفار قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِدْنَا رَبَّنَا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخَسُّوا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي حَزِنْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِرُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ [المؤمنون: ١٠٦ - ١١٤].

أما وجه الجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله عز وجل للكفار والآيات التي أثبتت ذلك فهو أن تحمل الآيات التي نفت الكلام على أنها نفت كلاماً مخصوصاً وهو الكلام الذي يأتي من ورائه بشارة أو خير للكافرين، أما الآيات التي أثبتت فثبتت نوعاً من الكلام يحمل التعذيب والتأنيب والتوبيخ لأهل الكفر، والله تعالى أعلم.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ [البقرة: ١٧٥]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أولئك الذين اتبعوا الضلالة تركوا الهدى، وأخذوا ما يوجب لهم العذاب وتركوا ما يجلب لهم المغفرة.



س: قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] ما معناها؟

ج: لأهل العلم فيها أقوال، منها:

الأول: فما الذي جرأهم على النار.

وقد أخرج الطبري  بإسناد حسن ^(١) عن قتادة: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾

[البقرة: ١٧٥] يقول: فما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار.

الثاني: فأى شيء صبرهم على النار، وانظر السؤال الآتي وإجابته.



س: (ما) في قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٥] ما معناها؟

ج: بعض أهل العلم يرى أن (ما) هنا استفهامية، والمعنى: ما الذي أصبرهم على

النار؟

وقد أخرج الطبري بإسناده ^(٢) إلى ابن جريج قال، قال لي عطاء: ﴿فَمَا

أَصْبَرَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٥] قال: ما يصبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا

الباطل؟

وأخرج من طريق أبي كريب ^(٣) قال: سئل أبو بكر بن عياش: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى

النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] قال: هذا استفهام، ولو كانت من الصبر قال: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾

رفعاً، قال: يقال للرجل: (ما أصبرك) ما الذي فعل بك هذا؟

وأخرج كذلك بإسناد صحيح ^(٤) إلى ابن زيد قال: هذا استفهام، يقول: ما هذا

الذي صبرهم على النار حتى جرأهم فعملوا بهذا؟!!!

 ومن أهل العلم من يرى أنها للتعجب، والمعنى: فما أشد جرأتهم على النار

(١) الطبري (أثر رقم ٠٠٥٢).

(٢) أخرجه الطبري (أثر ٨٠٥٢).

(٣) أخرجه الطبري (٩٠٥٢).

(٤) أخرجه الطبري (٠١٥٢).

حتى عملوا بعمل أهلها.

وهذا التعجب كالتعجب في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] تعجباً من كفره، فالتعجب من صبرهم على الأعمال التي تؤدي بهم إلى النار، وقد علموا أن شراء الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة موجب للنار.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: ما أجرأهم على النار، بمعنى: ما أجرأهم على عذاب النار وأعملهم بأعمال أهلها. وذلك أنه مسموع من العرب: (ما أصبر فلاناً على الله)، بمعنى: ما أجرأ فلاناً على الله! وإنما يعجب الله خلقه بإظهار الخبر عن القوم الذين يكتُمون ما أنزل الله ﷻ من أمر محمد ﷺ ونبوته، واشترائهم بكتمان ذلك ثمناً قليلاً من السحت والرشى التي أعطوها - على وجه التعجب من تقدمهم على ذلك مع علمهم بأن ذلك موجبٌ لهم سخط الله وأليم عقابه.

وإنما معنى ذلك: فما أجرأهم على عذاب النار! ولكن اجتزئ بذكر (النار) من ذكر (عذابها)، كما يقال: (ما أشبه سخاءك بحاتم)، بمعنى: ما أشبه سخاءك بسخاء حاتم، (وما أشبه شجاعتك بعنزة).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]

يُخبر تعالى أنهم في عذاب شديد هائل يتعجب من رأيهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال عياداً بالله من ذلك، وقيل: معنى قوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] أي: فما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم إلى النار.

وقال الزمخشري في كشافه^(١): ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] تعجب

(١) لا يخفى علينا حال الزمخشري من الاعتزال، ومن كان مثله يهجر من كلامه ما يخالف فيه أهل السنة والجماعة، ويبقى شأنه في الباقي شأن غيره من أهل العلم.

من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان: ما أصبرك على القيد والسجن، تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب، وقيل: فما أصبرهم: فأى شيء صبرهم، يقال: أصبره على كذا وصبره بمعنى، وهذا أصل معنى فعل التعجب، والذي روي عن الكسائي أنه قال: قال لي قاضي اليمن بمكة: اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه، فقال له: ما أصبرك على الله، فمعناه: ما أصبرك على عذاب الله.

وقال الشوكاني رحمه الله (فتح القدير ١ / ١٧١): وقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] ذهب الجمهور، ومنهم الحسن ومجاهد إلى أن معناه التعجب، والمراد: تعجب المخلوقين من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار، فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم، وحكى الزجاج أن المعنى: ما أبقاهم على النار، من قولهم: ما أصبر فلاناً على الحبس، أي: ما أبقاه فيه، قيل: المعنى: ما أقل جزعهم من النار، فجعل قلة الجزع صبراً، وقال الكسائي وقطرب: أي: ما أدومهم على عمل أهل النار، وقيل: (ما) استفهامية، ومعناه التويخ، أي: أي شيء أصبرهم على عمل أهل النار قاله ابن عباس والسدي وعطاء وأبو عبيدة^(١).

(١) هنا تنبيهان:

أولهما: أن كثيراً من أهل العلم يتساهلون في تصحيح الآثار ونسبتها إلى قائلها فلا يكادون يدققون كثيراً في هذا الباب، فكم من أثر يعزى إلى ابن عباس أو مجاهد أو عطاء مثلاً ويكون فيه ضعف ولا يبينون هذا الضعف، فالآثار التي أوردها أنا أتحرى فيها الصحة أو الحسن وأبين ذلك، أما الآثار التي ترد عند ذكر بعض أقوال أهل العلم وينقلونها في كلامهم كما نقل الشوكاني رحمه الله مثلاً عن ابن عباس والسدي.. فالعهدة فيها على قائلها (أي: على الشوكاني) وإن كنت في بعض الأحيان أنه على بعض ما فيها.

التنبيه الثاني: كثيراً من المفسرين ينقل بعضهم من بعض، وبعضهم يبالغ في ذلك فيسير وراء من نقل عنه وينقل عنه كلامه برمته ولا يبين ممن أخذه، وممن يسلك هذا المسلك صديق حسن خان رحمه الله فينقل من فتح القدير للشوكاني ولا يكاد يبين ويوضح ممن أخذه فليتنبه لذلك.



س: (ذلك) في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ أَنْ اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦]؟

يرجع إلى ماذا؟

ج: الذي يظهر لي - والعلم عند الله - أنه يرجع إلى أنواع التعذيب المذكورة، فيكون المعنى: ذلك التعذيب^(١) الذي ذكرناه وأنه يحل بالذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثمناً قليلاً إنما حل بهم وحق عليهم لأن الله ﷻ نزل الكتاب بالحق فكفروا به وخالفوه وكتُموا ما فيه.

قاضل الطبري رحمته الله: وأولى الأقوال بتأويل الآية عندي: أن الله - تعالى ذكره - أشار بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾، إلى جميع ما حواه قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ [البقرة: ١٧٤]، إلى قوله: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ أَنْ اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦]، من خبره عن أفعال أخبار اليهود، وذكره ما أعد لهم - تعالى ذكره - من العقاب على ذلك، فقال: هذا الذي فعلته هؤلاء الأحرار من اليهود - بكتمانهم الناس ما كتُموا من أمر محمد ﷺ ونبوته مع علمهم به، طلباً منهم لعرض من الدنيا خسيس - وبخلافهم أمري وطاعتي - وذلك - من تركي تطهيرهم وتركيتهم وتكليمهم، وإعدادي لهم العذاب الأليم - بأني أنزلت كتابي بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه. فيكون في (ذلك) حينئذ وجهان من الإعراب: رفعٌ ونصب. والرفع بـ (الباء)، والنصب بمعنى: فعلت ذلك بأني أنزلت كتابي بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه. وترك ذكر (كفروا به واختلفوا)، اجتزاءً بدلالة ما ذكر من الكلام عليه.



س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِيٰ شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

[البقرة: ١٧٦]؟ ومن هم الذين اختلفوا فيه، وفيهم اختلفوا؟

(١) وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٧١].

ج: أما الكتاب فذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد به التوراة، والذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى، واختلفوا في جملة أمور منها اختلافهم في شأن عيسى، فرعمت اليهود أن التوراة ليس فيها ذكر عيسى وكفرت يهود بعيسى وبمريم عليهما السلام.

أما النصارى فآمنوا ببعض ما في التوراة من شأن عيسى وكفروا ببعض آخر وهو أنهم ألّهُوا عيسى عليه السلام وجعلوه ربًّا يُعبد.

واليهود والنصارى كلاهما اختلفوا في شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي صفته المثبتة في كتبهم بعد أن حرقوها وكتموها.

واختلفوا في أمور آخر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أضل الله من قبلنا عن يوم الجمعة...» الحديث، فاختارت اليهود السبت واختارت النصارى الأحد.

❁ ومن العلماء من قال: إن المراد بالكتاب القرآن، والذين اختلفوا فيه اليهود والنصارى والمشركون.

أما وجه اختلافهم فاختلف اليهود والنصارى فيه شيء مما ذكر سابقاً واختلاف المشركين في تقولهم على الكتاب فمنهم من قال: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، ومنهم من قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ [٢٤] ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤، ٢٥]، ومنهم من قال: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] إلى غير ذلك.

قال الطبري رحمته الله: وأما قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اختلفوا في الكتاب لفي شقاقٍ بعيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، يعني بذلك: اليهود والنصارى. اختلفوا في كتاب الله، فكفرت اليهود بما قص الله فيه من قصص عيسى بن مريم وأمه. وصدقت النصارى ببعض ذلك، وكفروا ببعضه، وكفروا جميعاً بما أنزل الله فيه من الأمر بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم. فقال لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء الذين اختلفوا فيما أنزلت إليك يا محمد لفي منازعة ومفارقة للحق بعيدة من الرشد والصواب، كما قال الله - تعالى ذكره: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧].

كما حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط ^(١) عن السدي: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، يقول: هم اليهود والنصارى. يقول: هم في عداوة بعيدة. وقد بينت معنى (الشقاق)، فيما مضى، والله تعالى أعلم.



MOSTAFAALADWIY.COM

(١) أسباط وهو ابن نصر متكلم فيه .